AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 00973 2300

02-B5923

Nov. 27

FROM THE
LIBRARY OF
THE
AMERICAN UNIVERSITY
IN
CAIRO

من مكتبة
الجامعة الامريكية بالقاهرة

PJ
7828
F5
A6
1935

ديوان حافظ

من صباه إلى وفاته

تشتمل هذه الطبعة على ما لم ينشر فى الطبعات السابقة

من منظومات فقيد الشعر

محمد حافظ ابراهيم

حقوق الطبع محفوظة

١٣٥٣ هـ - ١٩٣٥ م

يطلب من ملتزمة نشره

مكتبة الهلال بشارع الفجالة بمصر

OCLC
36813781

B1211747x
13413132

مقدمة شاعر القطرين

خليل مطران

زارنى زائر كريم هو حضرة الأستاذ الألمعى محمد رفعت من أسرة المغفور له محمد حافظ بك إبراهيم عقب الأيام التى أحييت فيها ذكرى ذلك الشاعر العظيم فى ختام العام الثانى لوفاته رحمه الله ، فأخبرنى بما صحت عليه العزيمة من طبع ديوان الفقيد مشتملاً على ما نشر قبلا من شعره وعلى طائفة من القصائد والمقطوعات التى نظمها بعد ذلك مما عثر عليه فى شتى المظنات . وسألنى ان أقدم هذا الديوان فلم أتردد فى القبول وهل كان شىء أحب الى من خدمة ذكرى الصديق الكريم بما يجريه على قلمى اكبارى لمزيته و إعجابى بعبقريته .

وهاءنذا أكتب هذه الكلمة وفى عينى صور حاضرة لما خطته فى الصحف أيدى المحزونين ، وفى أذنى أصداء متجاوبة لأقوال الراثين والمؤبنين منذ وفاة حافظ الى انقضاء الحول الثانى على انتقاله الى جوار ربه ، فلا أجد بدا قبل الشروع فى وصف الناحية التى آثرتها موضوعا لهذه المقدّمة من نبوغ حافظ ، ان أوجه تحية اجلالى الى الأمة المصرية التى تفانى حافظ فى حبها إلى آخر نسمة من نسماته وقابلت منه ذلك الشعور بمثله فى حياته وفى مماته وأن أدفع عنها بما أوتيت من قوة ، مصدرها الحق ، ريبة أراد أناس أن يعلقوها بوفائها سواء أكان ذلك منهم عن خطل أم عن غرض فزعموا فى غير مزعم وعتبوا فى غير معتب

الأمة المصرية بارك الله فيها تكرم شعراءها الكبار وعلماءها العاملين وأعلامها البارزين فى كل منحى من مناحى المعارف والآداب والسياسة والقضاء والإدارة والاجتماع والاقتصاد . وما منهم إلا من له فى فؤادها مقام معلوم فان زعم زاعم انها تنسى موتاها العظماء ففى الحق انها لا تنسى . غير ان مظاهر حبها ووفائها تختلف عن أمثالها عند الأمم الأخرى. هى تنفق من شعورها ما لا ينفقه سواها . ولكنه قد يفوتها فى أحوال جمع

كلمتها المتفرقة من حيث انها لم تألف التعاون على متعدد صوره فذلك لا ينقص من كنه ما بذلت . بيد انه ينقص من قوته وخصوصا فيما يبدو منه للناس . مثل شعورها فى أكثر أمرها مثل الماء الضحضاح المنتشر رقيقا فوق وجه الأرض لتبدد أجزائه لو احتفر له مسيل مهما رحب ، وردت أطرافه الى ذلك العقيق ، لاندفع اندفاع النيل يحمل الثقال من الجوارى المنشئات تخطر عليه خفافا ، ولأفاض الخير من كل جانب .

وذلك كان شأنها مع المغفور له محمد حافظ إبراهيم بك شاعرها الذى كان فى مدى أربعين سنة من سنيها الأخيرة ملء أبصارها وأسماعها . وكانت له المواقف التى وطدت وأيدت سيادتها الأدبية فى العالم العربى وكل قارىء وكاتب من أهلها كان يعرف حافظاً ويحب حافظاً وينشد شعراً لحافظ لأن حافظاً كان المعبر عن آلامها وآمالها بأصدق ما عبر عنها شاعر سواه . فحيثما حلّ فله الأكبار . وحيثما انتقل فله الكرامة الموفورة والتجلة النزيهة . عاش كذلك بينها منذُ أبلغته عبقريته المجوادة ووطنيته الفياضة مكانته الرفيعة بين جوانحها . فلما قبض إلى ربه عم حزنها عليه لم يخل منه إنسان ولا بيت ولا عشيرة كما حقق ذلك كل منا فى نفسه وفى محيطه .

ألأمة بأسرها وجمت عليه ورُوعت لفقده بلا مراء وقال كل حى بانفراده فى تأبين حافظ مالو ضم بعضه إلى بعض لملأ الخافقين . ولكن دُفن حافظ ومشهدُه لا تسير فيه إلا بضع مئات واخطأ التوفيق أصحابه ومريديه فى إقامة حفلة تأبين له من الحفلات الجوامع الكبر . فهل كان هذا لأن الأمة لم ترع عهداً لحافظ أو لأنها جحدت فضله أو ضنّت عليه بما هو أدنى حقه ؟ لا ولا . بل تأتى هذا التفريط من أن القوة المهيمنة المنظِّمة لم توجد . فاقتصر الشأن على أن كل مصرى بكى حافظاً كما يبكى أباه أو أخاه أو حبيباً له وأن كل مصرى عَزى فيه أو عزِّى عنه بين أهله الأدنين أو صحبه الأقربين .

وها قد انقضت سنتان بعد وفاة حافظ فلم يكد فريق من الأدباء ينبرى للكتابة عنه وإكرام ذكراه حتى تجددت المآتم فى كل نفس وجرت الدموع من كل عين .

ورددت أصداء البيوت والآندية أحاسن الأقوال فى تمجيد حافظ . فحافظ حى أبداً فى أمته كريم عليها مصون الآثار لديها . ولئن فاته شىء من ناحية التبجيل فى مجتمعات عامة لقد علم وهو فى عالم الحقيقة أن ما فاته هو العرض الذى لا يؤبه له إلا لأغراض دنيوية محضة وأن الجوهر الذى أفنى فيه حياته سليم كل السلامة مصون كل الصيانة وهذا ماأردت بيانه فى بدء هذا المقال لأثبت أن الأمة المصرية وفية لكبرائها أحياء أو أمواتاً وأن كل فرد من أفرادها صادق فى الشعور الذى يوليهم إياه . ولا ذنب له إن كان قادته أو مرشدوه من حكام أو غير حكام لم يهيئوا الأسباب أحياناً ليظهر تكافله فى أكبار أفذاذه ونابغيه بأعظم مظاهره لدى العالمين

***

فلننتقل الآن إلى الكلام على حافظ رحمه الله وما موضوع هذه المقدمة إلاّ الجواب عن السؤال التالى :

ما هو العامل الأكبر فى محبة الأمة لحافظ ؟

الجواب : هو أن حافظاً كان صادقاً فى محبته إياها صدقا لم يبال معه ثقال التبعات التى تعرّض لها سواء أكانت منها أم كانت من أجلها . وهذا ديوانه بين يدي بل هذا لباب حياته ومستودع أسرار نفسه وأداة مكاشفته للناس بما كان يجيش به من من الخوالج . سأنظر فيه نظرة سريعة جداً وسأخرج لكم من كنوزه المطوية ما تتبينون منه مبلغ صدقه فى هواه لأوطانه

من آيات حافظ فى ذلك الصدق . أنه لم يخش فى بدء أمره مجاهرة قومه بحقيقة حالهم ولو كرهوا ذلك منه وأحسّوا شدة وطأته على عزتهم . على أن القوم وهم فى جمودهم وتواكلهم وتخاذلهم وقناعتهم من غنائم العيش بالسلامة ، وذلك كله قبل هَبَّتهم الأولى لثلاثين عاماً مضت ، كانوا فى حاجة إلى مثل ذلك العتاب و إن جرح فدونكم ما يقول لهم حافظ فى إحدى الاول من قصائده وهو قليل من كثير .

فان تكن نسبتى للشرق مانعتى ... حظاً فواهاً لمجد الترك والعرب

وماضياتٍ لهم كانت إذا اخترطت ... تدثر الغرب فى ثوب من الرهب

وجمرة لهم فى الشرق ماهمدت ولا علاها رماد الختل والكذب
متى أرى النيل لاتحلو موارده لغير مرتهب لله مرتقب
فقدغدت مصر في حال إذاذكرت جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
كأننى عند ذكرى ما ألمّ بها قرم تردد بين الموت والهرب
إذا نطقت فقاع السجن متكئى و إن سكنت فان النفس لم تطب

و إليكم قوله فى قصيدة بعيد ذلك

رجائى فى قومى ضعيف كأنه جَنانُ وزير سودته مناصبه
ودائى كداء الدين عز دواؤه وحظى كحظ الشرق نحس كواكبه
فياليت لى وجدان قومى فارتضى حياتى ولا أشقى بما أنا طالبه
ينامون تحت الضيم والأرض رحبة لمن بات يأبى جانب الذلّ جانبه

وفى ختام عهده الأول رأى حافظ أن من محللات الأخلاق بقاء الشعر على حالة قديمة أصبحت لاتتفق مع ماتقتضيه المطالب الحديثة لأيقاظ الأمة من سباتها فنشر قصيدة رائعة رسم بها خطة التجديد للمجددين وليت الشعراء جعلوها دستورهم واتبعوا سبيله فيما رسم

قال يخاطب الشعر :

ضعت بين النهى و بين الخيال ياحكيم النفوس يا ابن المعالى
ضعت فى الشرق بين قوم هجود لم يفيقوا وأمة مكسال
قد أذالوك بين أنس وكأس وغرام بظبية أو غزال
ونسيب ومدحة وهجاء ورثاء وفتنة وضلال
وحماس أراه فى غير شىء وصغار يجر ذيل اختبال
عشت مابينهم مُذالاً مضاعاً وكذا كنت فى العصور الخوالى
حملوك العناء من حب ليلى وسليمى ووقفة الاطلال
وبكاء على عزيز تولى ورسوم راحت بهن الليالى
و إذا ماسموا بقدرك يوماً أسكنوك الرحال فوق الجمال

آن ياشعر أن نفك قيوداً قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشتمّ ريح الشمال

***

أما الدور الثانى من حياة حافظ فقد أنشدنا فيه قصيدته التى عنوانها « غادة اليابان » وتصرف فى نظمها تصرف الآخذ إخذهُ الجديد فى الشعر وقد ظل على مذهبه هذا بقية عمره غير أن طائفة من الحوادث القاهرة كانت بين آن وآن تفعل فعلها فى ردّه إلى الميناء الذى أقلع منه

وما علينا من هذا البحث الآن قال فى « غادة اليابان » أبياتاً خطابها خطوة جديدة فى التحذير والتبصير

إيه يادنيا اعبسى أو فابسمى لا أرى برقك إلا خلبا
انا لولا أن لى من أمنى خاذلا ما بت أشكو النوبا
أمةٌ قد فت فى ساعدها بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلى وتفدّى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لاتبالى لعب القوم بها أم بها صرف الليالى لعبا

ثم أردف مدمياتها بمدميات أخرى مصرًّا مستمرًّا فى الاستهداف لعتب من يعتب وعذل من يعذل إلى أن جاء يوم تنفست فيه الأمة الصعداء بعد طول أناتها ونفّست من كربها بغضبة رائعة غضبتها لكرامتها فعندئذ استقبل حافظ بشرى الحوادث صادقا فى سروره بمثل ما كان صادقا في ملامه وحزنه

قال من قصيدة فى رأس سنة هجرية بلسان الشرق

مضى زمن والغرب يسطو بحوله علىّ ومالى فى الأنام ظهير
إلى أن أتاح الله للصفْر نهضة ففلّت غرار الخطب وهو طرير
جرت أمة اليابان شوطا إلى العلا ومصر على آثارها ستسير

وأبلغ ماترونه لحافظ فى هذا الدور الثانى بين مداعبة الأمل الواثب وتذكّر

ما كان من خيبة الأمس الذاهب الأبيات التى أنشدها فى افتتاح الجامعة المصرية

لاتلجأوا فى العلا إلا إلى همم وثابة لاتبالى همة النوب
فان تأميلكم فى غيركم وهن فى النفس يرخى عنان السعى والدأب
إن قام منا منادٍ قال قائلهم لاتصخبوا فهلاك الشعب فى الصخب
أو نابنا حادث نرجو إزالته قالوا استكينوا وخلّوا سورة الغضب
فما سمونا إلى نجد نحاوله إلا هبطنا إلى غور من العطب
يامصر هل بعد هذا اليأس متسع يجرى الرجاء به فى كل مضطرب
لانحن موتى ولا الأحياء تشبهنا كأننا فيك لم نشهد ولم نغب
نبكى على بلد سال النضار به للوافدين وأهلوه على سغب
متى نراه وقد باتت خزائنه كنزاً من العلم لا كنزا من الذهب

* * *

أما الدور الثالث من حياة حافظ فقد امعنت فيه عبقريته ماضية إلى غاياتها وتجلت مواهبه فى اسنى مجاليها وتعاقبت الغُرَر من قصائده يتناشدها الحاضر والبادى فى أرجاء الشرق من أقصاه الى أقصاه : ديباجة لا تنافسها ديباجة فى الصفاء والرواء والسلاسة والانسجام فضلا عن الفصاحة الخالية من الشوائب . ومعانٍ عند ما يُشتَهى لها من نضج وحلاوة وقوة تغذية للأرواح . وهذا الدور يمثله القسم الأخير من ديوانه فلا تقع العين فيه الا على آيات تتلوها آيات : بعضها تدعوه الى نظمه دواعى الانسانية كقصيدته البديعة فى « زلازل إيطاليا » و بعضه تدعوه اليها دواع لها فى قلبه موقع خاص لما رسخ فى عقيدته من أن الشرق جدير بالتعاطف والتكافل والتراحم وابلغ ماله فى هذا المعنى قصيدته التى عنوانها « الأمتان تتصافحان » ومنها قوله عن مصر والشام

خدران للضاد لم تهتك ستورهما ولا تحول عن مغناهما الأدب
امُّ اللغات غداة الفخر أمهما وان سألت عن الآباء فالعرب
ايرغبان عن الحسنى و بينهما فى رائعات المعالى ذلك النسب

إذا ألمت بوادى النيل نازلة باتت لها راسبات الشام تضطرب

أما سائر قصائد هذا القسم فلتحية مصر ولتنشيط نهضة مصر ولمقاضاة كل جان على استقلال مصر أو مثبط لرقى مصر وما يمثل حالهُ هذه كوصفه الرائع العجيب فى قصيدة عنوانها « آلامنا وآمالنا »

لقد نصل الدجى فمتى تنام أهم ذاد نومك أم هيام
غفا المحزون والشاكى واغضى أخو البلوى ونام المستهام
وأنت تقلب الكفين آنا وآونة يقلبك السقام
تحدرت المدامع منك حتى تعلَّم من محاجرك الغمام
وضجت من تقلبك الحشايا واشفق من تلهفك الظلام
تبيت تساجل الافلاك سهداً وعين الكون رنقها المنام
وتكتمنا حديث هواك حتى اذاع الصمت ما أخفى الكلام
بربك هل رجعت الى رسيس من الذكرى وهل رجع الغرام
وقد لمع المشيب وذاك سيف على فوديك علقه الحمام
أيجمل بالاديب أديب مصر بكاء الطفل ارهقه الفطام
ويصرفه الهوى عن ذكر مصر ومصر فى يد الباغى تضام
عدمت يراعتي إن كان ما بى هوى بين الضلوع له ضرام
وما أنا والغرام وشاب رأسى وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما ارقت لغير مصر ومالى دونها أمد يرام
ذكرت جلالها أيام كانت تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال وأيام الزمان لها غلام
فاقلق مضجعي ما بات فيها وباتت مصر فيه فهل ألام ؟

ثم انظروا كيف يقول حافظ وهو يحيي الشباب فى رأس سنة هجرية ويوصى ويعظ ويشجع ويضع برنامجا جريئاً لمستقبل بلاده المحبوبة .

أهلا بنابتة البلاد ومرحبا جددتم العهد الذى قد أخلقا

لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم ... فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
مدت له الآمال من أفلاكها ... خيط الرجاء الى العلا فتسلقا
فتجشموا للمجد كل عظيمة ... انى رأيت المجد صعب المرتقى
من رام وصل الشمس حاك خيوطها ... سبباً الى آماله وتعلقا
عارٌ على ابن النيل سباق الورى ... مهما تقلب دهره ان يُسْبقا
أو كلما قالوا تجمع شملهم ... لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا
فتدفقوا حججا وحوطوا نيلكم ... فلكم أفاض عليكم وتدفقا
حملوا علينا بالزمان وصرفه ... فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا
هزوا مغاربها فهابت بأسهم ... يا و يلكم إن لم تهزوا المشرقا
فتعلموا فالعلم مفتاح العلى ... لم يبق بابا للسعادة مغلقا
ثم استمدوا منه كل قواكم ... إن القوىَّ بكل أرض يتقى
وابنوا حوالى حوضكم من يقظة ... سوراً وخطّوا من حذار خندقا
وزنوا الكلام وسدّدُوه فأنهم ... خبأوا لكم فى كل حرف مزلقا
وامشوا على حذر فان طريقكم ... وعر أطاف به الهلاك وحلقا
نصبوا لكم فيها الفخاخ وارصدوا ... للسالكين بكل فج موبقاً
الموت فى غشيانه وطروقه ... والموت كل الموت أن لا يطرقا
وتحيَّنوا فرص الحياة كبيرة ... وتعجلوها بالعزائم والرقى
أو فاخلقوها قادرين فانما ... فرص الحياة خليقه ان تخلقا

***

لعمر أبيكم هل بعد مافى هذه الأبيات حب خالص لمصر كحب حافظ وتفانٍ فى الولاء لها كتفانى حافظ و يقظة لانتعاشها من عثرتها كيقظة حافظ .

إنه من أجل هذا الصدق فى هواه لوطنه أحبه أبناء وطنه و بكاه حين تولى كل من فى وطنه وسيردِّد ذكره و يرفع قدره كل جيل يأتى بعد جيل من أهل وطنه .

هذا يسير من كثير مما فى ديوان حافظ

خليل مطران



المرحوم حافظ بك ابراهيم — شاعر النيل

حافظ بك ابراهيم

يقول الشعر ، فى كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه ، ومن عادته دخول حديقة الأزبكية بعد الظهر طلباً لتلك الخلوة ، ولا يختلط عليه الفكر خلال الضجيج المحيط به .

يتعب فى قرض قريضه تعب النحات الماهر فى استخراج مثال جميل من حجره .

يؤثر الجزالة على الرقة وله فيها آيات .

يطرق الموضوع فى الغالب من جوهره ، وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع ، شأن الصانع القدير الذى يبدأ بأصعب ما بين يديه ، آمناً أن تهن عزيمته دون الاجادة بعد ذلك عالماً أن الكلام لابد أن يأتيه فى أى مقام طيعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخير نفائس مفرداتها ، وأعلاق حلاها .

إذا صب البيت فى قالب من العروض أعاده نغماً على سمعه ، مستشيراً بذلك ذوقه عن طريق أذنه ، وطالما صدقته الأذن بنصيحتها . أما تغنيه فبدوى ، أخذه عن الشيخ الكاظمى ، وطريقته أن ينطق بالكلمات ملحنة تلحيناً ساذجاً من إطالة فى الحروف المعتلة ، ووجفة فى القرار كرة أربعة أنفاس وتقتضب .

له غرام باللفظ لايقل عن الغرام بالمعنى . وفى أقصى ضميره يؤثر

البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فاذا فاته الابتكار حيناً فى التصور لم يفته الابتكار حيناً فى التصوير .

أولع بالاجتماعيات فقال فيها ، وأجاد ما شاء .

كبير الآمال ، عاثر الجد ، تجد على أكثر منظومه أثراً من ألم النفس ، أو مسحة من الشكوى ، وتحمل بعض حروفه من بثه ما يلذع لذع النار الكامنة فى غير متقد .

فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربى فى مصر لهذا العصر ، ولكل من تلك النجوم منزلته ، وإضاءته ، وأثره الخالد .

اما شعره فشعر البيان وإن من البيان لسحراً .

خليل مطران

introduction

مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

الشعر علم وُجد مع الشمس ، لا تعرف الانس له واضعاً ، قد كمن فى نفوس البشر كمون الكهرباء فى الأجسام ، فلا يهتدى إلى مكمنه الخاطر ، ولا يعثر به الخيال إلا إذا أثارته حركة النفس ، وهو من الكلام بمنزلة الروح من الجسد ، فلا بدع إذا عجز لسان الكون عن تعريف كنهه ، عجزه عن إدراك كنه الروح . ولقد عرفه بعضهم فقال : إنه نفثة روحانية . تمتزج بأجزاء النفوس ، ولا تحس به غير النفوس الزكية . وقال آخر : إنه قول يصل إلى القلب بلا إذن ، ولم أعثر حتى اليوم على تعريف له شاف فى كتب العرب والافرنج . ومبلغ القول فيه : أنه ظرف الحكمة ، ومسرح الخيال ، ومعنى الفصاحة ، وخدر البلاغة ، ووعاء الحقيقة ، فلو أنهم سألوا الحقيقة أن تختار لها مكانا تشرف منه على الكون ، لما اختارت غير بيت من الشعر ، ولو لم تكن آيات الكتاب العزيز كلها ظروفاً للحكمة ، وأوعية للحقيقة ، لما وجد الملحدون السبيل إلى القول بأنه جاء على طريقة الشعر ، وإن كان منثوراً . وخير الشعر ما سبق دبيبه فى النفس دبيب الغناء ، ثم سبح بها فى عالم الخيال ، فان كان غزلا مر بها على مسارح الظباء ، وكنس الآرام ، وطاف بها على أودية العشق والغرام ، فأراها أسراب الأرواح ترفرف على نواحيها ، غاديات رائحات فى مروج الهوى ، سانحات سارحات فى رياض المنى ، طائرات سابحات فى أجواء الهيام ، حافات بأرواح أولئك الذين قضوا صرعى

العيون ، وشهداء الجفون ، وأراها جميلا وهو يرنو إلى بثينته ويقول :

« وكم قلت فى شعرى لكم وصبابتى أحاديث شوق شرحهن يطول !
فان لم يكن قولى رضاك فعلمى نسيم الصبا يابثن كيف أقول » !

والمجنون وهو يضرع إلى ليلاه وينشد :

« على ألية إن كنت أدرى : أينقص حب ليلى أم يزيد » !

ثم ردها بعد ذلك وقد أذابها رقة ، وأسالها شوقا . وإن كان حماساً طار بها إلى مكامن البلاء . ومساقط القضاء ، فشق بها صفوف الحوادث ، وكتائب الكوارث ، حتى إذا راضها على مصافحة الحمام ، ومكافحة الأيام ، انتقل بها إلى المعامع ، فحبب إليها لثم البتار ، ومعانقة الخطار ، وأراها عبد بنى عبس وهو يسابق المنية لاختطاف الأرواح وينادى :

« لى النفوس ، وللطير اللحوم ، وللـــوحش العظام . وللخيالة السلب » !

ثم ردها وهى تنظر إلى فرند القرضاب ، نظر المحب إلى لمى الرضاب . وإن كان فخرا سما بها إلى عرش الجلال ، فأراها الشريف الرضى متربعاً فى ناديه ، يطالع فى صحيفة أنسابه جريدة أحسابه ، وهو يشتم من لحيته ريح الخلافة ، ويخاطب صاحبها بقوله :

« مهلا أمير المؤمنين ، فاننا فى دوحة العلياء لا نتفرق » !

وإن كان حكمة خرج بها عن ذلك العالم المجبول على الأذى ، وآسى عندها بين الوجود والعدم ، فروح عنها ، وهون عليها ، ثم سرى بها من بيت العظة إلى بيت الاعتبار ، فأراها بينهما شيخ المعرة وأبو الطيب بجانبه ، يستصبح كلاهما بنور صاحبه ، وأسمعها الأول وهو يقول :

« ويدلنى أن المهمات فضيلة كون الطريق إليه غير ميسر » .

والثانى وهو ينشد :

« إلف هذا الهواء أوقع فى الأنفس أن الحمام مر المـــذاق

والأسى قبل فرقة الروح عجز ، والأسى لا يكون بعد الفراق » .

ثم ردها بعد ذلك وهى تنظر إلى هذا الدهر وأبنائه ، نظرة المعمود إلى غذائه . وإن كان زهدا طرح عن منكبيها رداء الطمع ، واستل من جنبيها خيوط الجشع ، ومثل لها الشيخ أبا العتاهية مضجعًا فى بيته يتغنى ببيته :

« الناس فى غفلاتهم ورحى المنية تطحن » !

ثم غادرها وهى تكتفى من دنياها باحراز مسكة الحوباء ، وتجتزىء منها بشربة من الماء . وإن كان مدحا مثل لها الممدوح يسحب مطارف احمد ، ويجر ذيول الثناء ، وقد كساه المادح حلة لا تبلى ، وأحله المحل الذى لا ترقى إليه همة الزمان ، وأراها صاحب مسلم بن الوليد الذى يقول فيه :

« موحد الرأى ، تنشق الظنون به عن كل ملتبس فيها ومعقود
يلقى المنية فى أمثال عدتها ، كالسيل يقذف جلمودا بجلمود » .

وقد شفت له الآراء عن مواطن الصواب ، وانشقت له حجب الظنون عن مكامن الغيب ، ومثله لها فى البيت الأول وهو يسرى ورأيه يضىء إضاءة الكهرباء ، وفى البيت الثانى وهو يدفع الموت بالموت ، ويدرأ الحتوف بالحتوف ، إذا شمر له الموت عن ساعديه شمر ، وإذا تنمر له الحمام تنمر . وإن كان استعطافاً مثل لها النفس الموتورة وهو يحلل من حقدها ، ويقلم من أظفار ضغنها ، وقد مال بها إلى جانب الصفح والتجاوز ، وأراها سيف الدولة فى ديوان إمرته ، وأبو الطيب جالس بحضرته ، ينشده قوله :

« ترفق أيها المولى عليهم فان الرفق بالجانى عتاب
ولم تجهل أياديك البوادى ولكن ربما خفى الصواب » :

وقد سكت عنه الغضب ، وهبت من شمائله نسائم الرفق ، وجال فى محياه ماء الصفح . وإن كان وصفاً مثل لها الشىء الموصوف ، حتى إنها لتكاد تهم بلمسه ، وأثبت لها أن الشعر تصوير ناطق ، وأراها ذلك السيف الذى يقول فى وصفه أبو الطيب :

« سله الركض بعد وهن بنجد فتصدى للغيث أهل الحجاز » .

وهو يخطف البصر قبل اختطاف الهام ، ويلمع لمعان شقة البرق طارت فى الغمام ، أو ذلك السيف الذى يقول فيه ابن دريد :

« يرى المنايا وهى تقفو إثره فى ظلم الأحشاء سبلا لا ترى » .

وهو كأنه سراج يضىء لعزريل ، فيهتدى إلى مكامن الأرواح . وإن كان تشبيهاً جلى لها وجه الشبه فى مرآة الخيال ، فأشكل عليها الأمر ، ولم تدر أيهما المشبه بالآخر وأراها بزاة ابن المعتز التى يقول فيها :

« وفتيان سروا والليل داج وضوء الصبح متهم الطلوع
كأن بزاتهم أمراء جيش على أكتافهم صدأ الدروع » .

وهى كأنها أولئك الأمراء ، وهؤلاء الأمراء وهم كأنهم تلك البزاة .

ذلكم تأثير الشعر السرى فى النفوس ، ولقد بلغ من تأثيره أن بيتا منه أذكى نار الحرب بين العرب والفرس زمناً طويلا ، وهو قول ليلى بنت لكيز :

« قيدونى ، غللونى ، ضربوا ملمس العفة منى بالعصا » !

وأن بيتين منه أتيا على أمة بأسرها ، وهما قول سديف :

« لا يغرنك ما ترى من أناس إن تحت الضلوع داء دويا !
فضع السيف وارفع الصوت حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا » !

وقد ترجل أحد الجيوش لبيت ابن هانىء المشهور .

« من منكم الملك المطاع كأنه تحت السوابغ تبع فى حمير » ؟

أما قول أصحاب العروض إن الشعر هو الكلام المقفى الموزون ، فليس هذا من بيان الشعر فى شىء ، بل يراد به النظم ، فكم رأينا على تلك القاعدة التى رسموها كلاماً ، ولم نر فيه شيئاً من الشعر .

ولقد وفقت جماعة المنطق بعض التوفيق حيث قالوا : إن الشعر هو كل ما أحدث أثراً فى النفس ، وخيره ماكان موزوناً ، فلم يحبسوه فى تلك الأوزان ، وتلك القوافى ، بل أوسعوا له المجال ، فجعل يتنزه بالتنقل من رياض المنظوم ، إلى جنان المنثور ، فاذا عثر به خيال الشاعر نظمه تارة ، ونثره أخرى ، وحسبكم دليلا على ذلك ماجاء فى قول بشار بن برد ، وهو خير مايضرب به المثل هنا ، حيث قال ناظما :

« هززتك : لا أنى وجدتك ناسياً لأمرى ، ولا أنى أزدت التقاضيا
ولكن رأيت السيف من بعد سله إلى الهز محتاجاً وإن كان ماضيا » !

وحيث قال ناثرا : والله لقد عشت حتى أدركت أناساً لو أخلقت الدنيا لما تجملت إلا بهم ، واليوم أعيش فى قوم لا أرى بينهم عاقلا حصيفاً ، ولا كريماً شريفاً ، ولا من يساوى مع الخبرة رغيفا » ! ألا ترون فى منظومه ومنثوره هذين روحا من الشعر . لم تكن فى الثانى بأقل أثراً فى نفس السامع منها فى الأول ؟ ويدخل فى ذلك ما كتب به أبو الطيب المتنبى إلى صديق له كان يعوده وهو مريض ، فلما أبل انقطع عنه : « لقد وصلتنى معتلا ، وقطعتنى مبلا ، فان رأيت أن لا تحبب العلة إلى ، ولا تكدر الصحة على . فعلت إن شاء الله » : أليس فى هذه الجملة النثرية تلك الروح التى تجدونها فى نظم ذلك الشاعر الكبير . ومن اطلع على شعر المعرى ورسائله علم أنه شاعر فى نظمه ونثره .

هذا هو الشعر ، وتلك حقيقته . أما طريقة عمله ، فخيره ماجاء عن غير كد ولا تعمل ، وخير الشعراء من توخى فى شعره السهولة ، وتحامى

طريق التعسف والتكلف ، وتنكب عن المعاظلة فى الكلام ، والتماس الألفاظ النافرة ، والقوافى القلقة . ولقد كان هم الشعراء فى الجاهلية مصروفا إلى التقاط الألفاظ الغريبة . فاذا ظفروا بها أودعوا فيها المعانى النفيسة فكانت معانيهم تحت ألفاظهم كالحسناء تحت الأطمار . وأما شعراء الحضارة فطفقوا يلتمسون الألفاظ الرقيقة . فيسكنون فيها المعانى الدقيقة ، فكانت معانيهم فى ألفاظهم كالعروس فى معرضها يوم جلائها ، وأفضل الشعراء من كان عالما بمواضع الأسباب والايجاز ، فهو إذا أسهب أجاد ، وإذا أوجز أفاد ، ولا أعرف شاعراً استطرد به جواد الاسهاب وسلم من العثار مثل ابن الرومى ، ذلك الذى كان أطول الشعراء نفساً ، وأكثرهم غوصاً على المعانى ، ولقد أدمنت النظر فى شعر بشار بن برد ، فألفيت فيه الرصانة والتجويد ، وبناء القافية على الأساس المتين ، والجمع بين متانة البدو وسلامة الحضر ، وأكثرت من مطالعة شعر مسلم بن الوليد فعلمت أنه يجرى مع ابن برد فى ميدان واحد . وسرحت الطرف فى شعر أبى نواس ، فرأيته حلو الفكاهة إذا هزل ، مر المراس إذا جد ، وهو إذا صحا كان أكثر الشعراء تفنناً فى ضروب الكلا ، ورجعت البصر فى شعر أبى تمام ، فألفيت فيه كثرة الابتداع ، والقدرة على الابتكار ، ورأيت فى جيده مالم أره فى جيد غيره ، من حسن الصياغة ، وبعد الغاية . وأنعمت النظر فى شعر البحترى ، فلمحت فيه حسن الديباجة ، وطلاوة الانسجام ، وأكثرت التأمل فى شعر أبى الطيب ، فاذا شعره حى يتفزز ولم أر فى الشعراء نفسا أعلى من نفسه ، ولا طريقاً إلى المعانى أخصر من طريقه ، وخير شعره ما كان فى الحكم والأمثال ، ولو سلمت أقواله من ذلك التفاوت ولم يكن أسلوبه عاقا لأساليب اللغة العربية ، لكان أشعر شاعر فى الاسلام ولقد ذهب الشريف الرضى بحسن اختيار اللفظ وصقله ،

وسلامة الذوق فى انتقاء المفردات والأساليب ، وجمع متنبى الغرب (ابن هانىء الأندلسى) فى شعره بين جزالة العرب ، ورقة الأندلس ، وانفرد ابن المعتز بحسن التشبيه ، واختص العباس ابن الأحنف برقة الشعور وحلاوة التركيب ، ولم أر فيمن ذكرنا من يدانى شيخ المعرة فى صفاء الذهن ، وقوة الذاكرة ، وسعة الاطلاع . وغزارة المادة

ولا يقوم بنفس أحدكم أن الشعر كان للعرب دون غيرهم ، فان لكل أمة قسمتها منه ، وإن لها نصيبها من الشعراء ، تلكم أمة الفرس ، وهذا قانها صاحب الشاه نامه (أى ديوان الملوك) قد بلغ فى أمته مكانا عظيما . واشتمل ديوانه على سبعين ألف بيت من الشعر وهذا عمر الخيام ، الذى تفتح اليوم الاندية باسمه فى إنجلترة وأمريكة ، وتتهافت شعراء المغرب على مطالعة منظوماته ، وقد نقش اسمه فى ذلك العهد على أكثر من اثنى عشر ناديا .

أسلفنا أن الشعر قديم وجد مع الشمس ، وأن لكل أمة حظا منه . فما بلغ بنا التاريخ إلى أمة ، ولا وقف بنا عند جيل إلا ورأينا لواء الشعر عليه معقوداً ، ولقد حمله « بنتاؤر » فى الفراعنة و « هومير » فى اليونان . و « فراجيل » فى الرومان . وقد كثر نبوغ الشعراء فى هذه الأمة ، ولا تزال دواوين أكثرهم محفوظة بمكتبة مولانا السلطان ، وسائر مكاتب الآستانة العلية إلى اليوم . ولو شئنا أن نذكر كل أمة وشاعرها لضاق بنا المقام .

أما الشعر العربى وما كان من أمره فى الجاهلية والاسلام فأخباره طويلة ، مودعة فى بطون الكتب ، فلا حاجة إلى ذكرها .

الباب الأول

فى المديح

قال يمدح الجانب الخديو العالى ، ويهنئه بعيد جلوسه على أريكة الخديويه سنة ١٩٠١

ماذا ادخرت[١] لهذا العيد من أدب؟ فقد عهدتك رب السبق والغلب
تشدو وترهف بالأشعار مرتجلا[٢] وتبرز القول بين السحر والعجب
وتصقل اللفظ فى عينى فأحسبنى[٣] أرى فرند سيوف الهند فى الكتب[٤]
هذا هو العيد قد لاحت مطالعه وكلنا بين مشتاق ومرتقب[٥]
فادع البيان ليوم لا تطاوله[٦] يد البلاغة فى الأشعار والخطب
إنى دعوت القوافى حين أشرق لى عيد الأمير فلبت غرة الطلب[٧]
وأقبلت كأياديه اذا انسجمت[٨] على الورى وغدت منى على لشب[٩]
فقمت أختار منها كل كاسية[١٠] تاهت بنضرتها فى ثوبها القشب[١١]
وحار فيه بيانى حين صحت به بالعز يبدأ أم بالمجد والحسب

---

(١) ادخرت أى اخترت أو أتخذت (٢) شدى بالشعر أى ترنم به ورهف صيره رقيقاً وارتجله أى تكلم به من غير أن يهيئه (٣) تصقل اللفظ أى تجليه وتزينه (٤) فرند السيف جوهره ووشيه كالافرند (٥) مرتقب أى منتظر (٦) طاوله أى امتد اليه (٧) لبت أى أجابت (٨) الايادى المنن وانسجمت أى سالت (٩) الكثب بالتحريك أى القرب (١٠) قافية كاسية أى ذات كساء بفتح الكاف أى شريفة المعنى متينة المبنى (١١) تاهت أى زهت والنضرة والنضور والنضارة الحسن وثوب قشب أو قشيب أى جديد

يا من تنافس فى أوصافه كلمى [١] تنافس العرب الأمجاد فى النسب
لم يبق أحمد من قول أحاوله فى مدح ذاتك فاعذرنى ولا تعب
فلست ممن سمت بالشعر همتهم الى الملوك ولا ذاك الفتى العربى
لكن عيدك يا عباس أنطقنى كالبدر أطلق صوت البلبل الطرب
عيد الجلوس لقد ذكرت أمته يوماً تأبه فى الأيام [٢] والحقب [٣]
اليمن أوله والسعد آخره [٤] وبين ذلك صفو العيش لم يشب [٥]
فالعرش فى فرح والملك فى مرح [٦] والخلق فى منح [٧] والدهر فى رهب [٨]
والملك فوق سرير الملك تحرسه [٩] عين الاله وترعى أعين الشهب [١٠]
الحلم حليته والعدل قبلته والسعد لحته كشافة الكرب [١١]
مشيئة الله فى العباس قد سبقت الى الجدود ومن يأتى على العقب [١٢]
فهو ابن أكرم من سادوا ومن ملكوا وهو الأب المفتدى للسادة النجب [١٣]
يا من توهم أن الشعر أعذبه فى الذوق أكذبه أزريت بالأدب [١٤]
عذب القريض قريض بات يعصمه [١٥]
ذكر ابن توفيق عن لغو وعن كذب [١٦]

---

(١) نافس أى تبارى (٢) تأبه أى تعظم (٣) الحقب بسكون القاف أو بضمها الزمن أو السنة أوالسنون من ثمانين أو أكثر وجمعها أحقاب وأحقب
(٤) اليمن والميمنة البركة (٥) لم يشب أى لم يكدر (٦) المرح من مرح يمرح مرحاً شدة الفرح والنشاط (٧) المنح جمع منحة بكسر الميم أى العطية والنعمة (٨) الرهب الخوف (٩) الملك بسكون اللام لغة فى ملك بكسرها (١٠) الضمير فى ترعى محذوف أى ترعاه (١١) اللحة مابدا من محاسن الوجه وجمعها ملاح (١٢) ومن يأتى بعده (١٣) جمع نجيب وهو الكريم الحسيب (١٤) أزرى به أى عابه وزرى عليه نادر (١٥) القريض نظم الشعر ويعصمه أى يقيه ويمنعه (١٦) اللغو واللغا القسط الذى لا يعتد به من الكلام

وقال مادحاً جنابه العالى وواصفاً الزينة التى أقيمت احتفالا بعيد جلوسه الفخيم :

يا ليلة ألهمتنى ما أتيه به (١) على حماة القوافى أينما تاهوا (٢)
انى أرى عجباً يدعو الى عجب الدهر أضمره والعيد أفشاه (٣)
هل ذاك ما وعد الرحمن صفوته (٤) روض وحور وولدان وأمواه (٥)
أم الحديقة ذات الوشى قد جليت (٦) فى منظر يستعيد الطرف مرآه (٧)
أرى المصابيح فيها وهى مشرقة كأنها النور والوسمى حياه (٨)
أو إنما هى ألفاظ مدبجة (٩) وكل لفظ تجلى فيه معناه
أرى عليها قلوب القوم حائمة (١٠) كالطير لاح له ورد فوافاه (١١)
أرى بنى مصر تحت الليل قد نسلوا (١٢) الى سعود به ضاح محياه
ارى على الأرض حلياً قد نسيت به (١٣) حلى السماء وحسناً لست أنساه
أرى أريكة عباس تخف بها (١٤) وفاية الله والأقبال والجاه
أرى سمو خديوينا وقد بسطت بالعدل والبذل يمناه ويسراه
قل للأولى جعلوا للشعر جائزة فيم الخلاف ؟ ألم يرشدكمو الله
إنى فتحت لها صدراً تليق به ان لم تجلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد فى الشعر يسبقنى إلا فتى ماله فى السبق إلاه

---

(١) ألهمه أى لقنه وتاه افتخر واختال وتكبر (٢) المراد بحماة القوافى أمراء الشعر (٣) أفشى أى أذاع وأظهر (٤) من اختارهم (٥) جمع ماء (٦) الوشى النقش من كل لون ولا يكون الا فى الثوب واستعمله هنا لارض الحديقة لانه انما فرض لها ثوباً من نبتها وخضرتها (٧) استعاده النظر أى جعله يكرره (٨) النور هو الأبيض من الزهر والوسمى مطر الربيع الأول (٩) مدبج أى مزخرف ومنمق (١٠) حام على الشىء رامه (١١) الورد النصيب من الماء (١٢) نسل ينسل أى أسرع (١٣) الحلى ما يتخذ للزينة (١٤) الاريكة كل ما يتكأ عليه من سرير ومنصة وفراش والمراد بها هنا سرير

ذاك الذى حكمت فينا يراعته (١) وأكرم الله والعباس مثواه (٢)

وقال مادحاً جنابه العالى ومهنئاً له بعيد الفطر سنة ١٣١٨

مطالع سعد أم مطالع أقمار تجلت بهذا العيد أم تلك اشعارى
إلى سدة العباس وجهت مدحتى (٣) بتهنئة شوقية النسج معطار (٤)
مليك أباح العيد لثم يمينه ويا ليت ذاك العيد يبسط أعذارى
ويحمل عنى للعزيز تحية ويذكر شيئاً من حديثى وأخبارى
لآل على زينة الملك وجهتى وان قيل شيعى فقد نلت أوطارى (٥)
أحن لذكراهم وأشدوا بمدحهم كأنى بجوف الليل هاتف أسحار (٦)
وأنشد أشعارى وان قال حاسدى نعم شاعر لكنه غير مكثار
فحسبى من الأشعار بيت أزينه بذكرك يا عباس فى رفع مقدارى
كذا فليكن مدح الملوك وهكذا يسوس القوافى شاعر غير ثرثار (٧)
ويسلب أصداف البحار بناتها (٨) بنفثة سحر أو بخطرة أفكار (٩)
معان وألفاظ كما شاء أحمد طوت جزل بشار ورقة مهيار (١٠)
اذا نظرت فيها العيون حسبنها
لحسن انسجام القول كالجدول الجارى (١١)

---

(١) اليراعة القصبة ويريد بها القلم (٢) المثوى المنزل والمنزلة (٣) السدة بالضم باب الدار (٤) معطار ومعطير أى طيب الرائحة سواء للمذكر أو للمؤنث (٥) الوجهة بضم الواو وكسرها الناحية وشيعة الرجل أتباعه وأنصاره وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته كرم الله وجهه ورضى عنهم حتى صار خاصاً بهم (٦) شدا أى غنى والهاتف الصائح والاسحار جمع سحر وهو ما قبل الصبح (٧) ساس أى أمر ونهى والثرثار المهذار (٨) المراد ببنات الصدف اللؤلؤ (٩) النفث شبيه بالنفخ ودون التفل ونفثة السحر أو نفث الشيطان يراد بهما الشعر (١٠) طوى الشىء أى أخفاه والجزل من الكلام رقيقه وبشار ابن برد أمام الشعراء المحدثين كان فى صدر الدولة العباسية (١١) الجدول النهر الصغير

أمولاى هذا العبد وافاك فاحبه (١) بحلة اقبال ويمن وإيثار (٢)
ويمنه وانثر من سعودك فوقه (٣) وتوجه بالبشرى ومره بأسفار (٤)
فلا زالت الأعياد تبغى سعودها لدى ملك يسرى على عدله السارى
ولا رلت فى دست الجلال مؤيداً (٥) ولا زال هذا الملك فى هذه الدار

وقال يمدح صاحب الفضيله الأستاذ الشيخ محمد عبده ويهنئه لتوليه منصب الافتاء الجليل

بلغتك لم أنسب ولم أتغزل (٦) ولما أقف بين الهوى والتذلل
ولما أصف كأساً ولم أبك منزلا ولم أنتحل فخراً ولم أتنبل (٧)
فلم يبق فى قلبى مديحك موضعاً تجول به ذكرى حبيب ومنزل
رأيتك والأبصار حولك خشع فقلت أبو حفص ببرديك أم على (٨)
وخفضت من حزنى على مجد أمة (٩) تدار كتها والخطب للخطب يعتلى (١٠)
طلعت بها باليمن من خير مطلع وكنت لها فى الفوز قدح ابن مقبل (١١)
وجردت للفتيا حسام عزيمة (١٢) بحديه آيات الكتاب المنزل

---

(١) حبا أى أعطى بلا جزاء ولا من (٢) الايثار الاكرام (٣) يمنه باركه
(٤) الاسفار الاضاءة والاشراق (٥) الدست الصدر (٦) نسب بالمرأة نسباً ونسيباً أى شبب بها وغازلها أى حادثها وتغزل بها أى كلف بها ولهج ولما بمعنى لم حرف نفى وسكون (٧) انتحل الشىء ادعاه لنفسه وهو لغيره وتنبل وصف نفسه بالنبل بضم النون وسكون الباء فهو نبيل أى نجيب وذكى (٨) الخشوع للصوت والبصر كالخضوع للبدن أى التذلل وأبو حفص عمر بن الخطاب ثانى الخلفاء الراشدين وعلى ابن أبى طالب ابن عم المصطفى صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم أجمعين (٩) خفض من حزنه أى قلله (١٠) والخطب يعتلى الخطب أى يتلوه
(١١) باليمن أى بالبركة وابن مقبل رجل من جاهلية العرب كان كثير المقامرة فاز قدحه سبعين مرة متتالية فضرب به المثل فى الفوز والقدح بكسر القاف مفرد قداح .
(١٢) جرد الحسام سله والفتيا والفتوى ما أفتى به الفقيه فى الأمر أى ما أبانه وأوضحه

محوت به فى الدين كل ضلالة وأثبت ما أثبت غير مضلل
لئن ظفر الافتاء منك بفاضل لقد ظفر الاسلام منك بأفضل
فما حل عقد المشكلات بحكمة سواك ولا أربى على كل حول (١)

وقال يمدح فضيلته أيضاً ويصف حضرته

قالوا صدقت فكان الصدق ماقالوا ماكل منتسب للقول قوال (٢)
هذا قريضى وهذا قدر ممتدحى هل بعد هذين أحكام وإجلال
انى لأبصر فى أثناء (٣) بردته نوراً به تهتدى للحق ضلال
حللت داراً بها تتلى مناقبه (٤) ببابها ازدحمت للناس آمال
رأيت فيها بساطا جل ناسجه عليه فاروق هذا الوقت يختال (٥)
بمشية (٦) بين صفى حكمة وتقى يحبها الله لا تيه ولا خال (٧)
تبسم المصطفى فى قبره جذلا (٨) لما سموت إليها وهى معطال (٩)
فكان لفظك درا حول لبتها (١٠) العدل ينظم والتوفيق لآل (١١)
لى كل حول لبيت الجاه منتجع (١٢) كما تشد لبيت الله أرحال (١٣)

---

(١) أربى أى زاد الحول البصير بالأمور وتحويلها (٢) رجل قوال وقوالة ومقوال حسن القول أوكثيره (٣) أثناء الشىء أى خلاله (٤) المناقب جمع منقبة أى مفخرة (٥) الفاروق اسم لعمر بن الخطاب رضى الله عنه سماه به رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أسلم فى دار الأراقم فتم به المسلمون أربعين نفساً خرجوا فأظهروا الدين ففرق الله لذلك بعمر بين الحق والباطل (٦) اسم مصدر من مشى (٧) التيه الصلف والتكبر والخال الاعجاب بالنفس (٨) الجذل الفرح (٩) عطلت المرأة وتعطلت خلا جيدها من القلائد فهى معطال والضمير فى اليها عائد إلى محذوف وهو الفتيا (١٠) اللبة واللبب المنحر وموضع القلادة من الصدر (١١) اللآل بائع اللؤلؤ وثاقبه والقياس لؤلؤى (١٢) المنتجع المنزل فى طلب الكلأ واسم المصدر النجعة وهو المقصود هنا أى المسير فى مقصد (١٣) الرحل الأثاث الذى يستصحبه الانسان فى السفر وجمعه رحال ولايقال أرحال الا ضرورة

وزهرة غضة ألقى الامام بها (١) لها على أختها فى الروض إدلال (٢)
تفتح الحمد عنها حين أسعدها منك القبول وفيها نور القال (٣)
نثرت منظوم تيجان الملوك بها فراح ينظمه فى وصفك البال
يا من تيمنت الفتيا بطلعته أدرك فتاك فقد ضاقت به الحال

وقال مادحا سعادة الشهم الكامل والعالم الفاضل أمير الشعر ورب البلاغة فى هذا العصر

محمود باشا سامى البارودى

تعمدت قتلى فى الهوى وتعمدا فما أثمت عينى ولا لحظه اعتدى (٤)
كلانا له عذر فعذرى شبيبتى وعذرك أنى هجت سيفا مجردا (٥)
هوينا فما هنا كما هان غيرنا (٦) ولكننا زدنا مع الحب سؤددا (٧)
وما حكمت اشواقنا فى نفوسنا بأيسر من حكم السماحة والندى (٨)
نفوس لها بين الجنوب منازل بناها التقى واختارها الحب معبدا
وفتانة أوحى إلى القلب لحظها فراح على الايمان بالوحى واغتدى
تيممتها والليل فى غير زيه (٩) وحاسدها فى الأفق يغرى بى العدا

---

(١) وزهرة غضة أى ناضرة يريد بها قصيدته (٢) أدل عليه أى أفرط عليه فى التيه (٣) القال أى المقال (٤) عمد للشىء أو تعمد الشىء قصده . أثم اثماً ومأثماً أذنب وعمل مالا يحل . عدا عليه عدواً وعدوا وعداء وعدوانا بضم العين وكسرها وعدوى بضمها أى ظلمه ومثله تعدى واعتدى (٥) هاج أى ثار وقد تتعدى كاهتاج أى أثار والمعنى فى البيتين أننى قد تعمدت قتل نفسى بتعرضى لهواك واستهدافى لسهام لحظك وقد تعمدته أنت أيضا بنظرتك إلى فلا أنا أذنبت فى ذلك ولا أنت اعتديت

(٦) هوى هوى فهو هو أى أحب وهان ذل (٧) السؤدد بهمز الواو وضم الدال السودد بفتح الدال وبلا همز السيادة والرفعة (٨) يعنى ولم يكن خضوع نفوسنا للحب بأقل منه للسماحة والكرم بل الكل فيها سواء ولكل مقام

(٩) الزى بكسر الزاى الهيئة والضمير فى حاسدها عائد إلى محذوف وهو القمر وأغرى به أى أولع وحض عليه يريد أنه قصد محبوبته والليل فى غير حلوكته المعتادة يعنى فى ليلة مقمرة والقمر فى الافق يفضحه بنوره للعدى

سريت ولم أحذر وكانوا بمرصد
وهل حذرت قبلى الكواكب مرصدا (١)
فلما رأونى أبصروا الموت مقبلا وما أبصروا ألا قضاء تجسدا (٢)
فقال كبير القوم قد ساء فألنا فانا نرى حتفا بحتف تقلدا (٣)
فليس لنا إلا اتقاء سبيله والا أعل السيف منا وأوردا (٤)
فغطوا جميعا فى المنام ليصرفوا (٥) شبا صارمى عنهم وقد كان مغمداً (٦)
وخضت باحشاء الجميع كأنهم نيام سراهم فاجىء الرعب مرقداً (٧)
ورحت إلى حيث المنى تبعث المنى
وحيث حدابى من هوى النفس ماحدا (٨)
وحيث فتاة الخدر ترقب زورتى (٩) وتسأل عنى كل طير تغردا
وترجو رجاء اللص لو أسبل الدجى على البدر ستراً حالك اللون أسودا (١٠)

---

(١) سرى أى سار ليلا والمرصد مكان الرصد والرصد القوم ينتظرون فى الطريق خفية سواء فيه المفرد والجمع والمؤنث والمذكر (٢) أراد بالموت المقبل عليهم نفسه فكأنما هو قضاء الله قد تجسد لهم فصار رجلا (٣) ساء فأله أى خاب ظنه والحتف الموت وقلد وتقلد من الأفعال التى لاتتعدى بحروف الجر أصلا
(٤) أورده أى سقاه وأعله أى سقاه ثانية وثالثة شربة بعد شربة وأعل السيف منه أى سقاه من دمه حتى رواه أى قتله (٥) غط فى النوم أى استغرق فى النوم حتى صار له فيه نخير (٦) شباة الصارم حده وجمعها شبا وقد تستعمل فى الشعر بدل المفرد (٧) يقول انه كان يمشى فيضع قدمه فى أحشائهم وهم نيام لايستيقظون رعباً وهلعاً (٨) يقول ورحت الى حيث المنى التى هى حبيبتى تبعث إلى القلب المنى بمعنى الهناء وحدا الشىء أو حدا به أى تبعه (٩) رقبه رقبة ورقبانا بكسر الراء ورقوباً بضمها ورقابة ورقوباً ورقبة بفتحها انتظره وكذلك ترقبه وارتقبه والخدر كل ماواراك من بيت ونحوه وقد كثر اطلاقه على الموضع الخاص بالنساء من البيت والزورة الزيارة
(١٠) اللص السارق وأسبل أى أرخى والدجى الليل وحلك بكسر اللام فهو حالك ومحلوك من الحلوكة والحلك أى شدة السواد

ولو أنهم قدوا غدائر فرعها ... فحاكوا له منها نقاباً إذا بدا (١)
فلما رأتنى مشرق الوجه مقبلا ... ولم تثنى عن موعدى خشية الردا
تنادت وقد أعجبتها كيف فتهم ... ولم تتخذ الا الطريق المعبدا (٢)
فقلت سلى أحشاءهم كيف روعت ... وأسيافهم هل صافحت منهم يدا
فقالت أخاف القوم والحقد قد برى ... صدورهم وأن يبلغوا منك مقصدا (٣)
فلا تتخذ عند الرواح طريقهم ... فقد يقنص البازى وان كان أصيدا (٤)
فقلت دعى ماتحذرين فانى ... أصاحب قلباً بين جنبى أيدا (٥)
فمالت لتغرينى ومالاها الهوى ... فحدثت نفسى والضمير تردد (٦)
أهم كما همت فأذكر أننى ... فتاك فيدعونى هداك إلى الهدى
كذلك لم أذكرك والخطب يلتقى ... به الخطب إلا كان ذكرك مسعدا (٧)
أمير القوافى ان لى مستهامة ... بمدح ومن لى فيه أن أبلغ المدا (٨)
أعرنى لمدحيك اليراع الذى به ... تخط وأقرضنى القريض المسددا (٩)
ومر كل معنى فارسى بطاعتى ... وكل نفور منه أن يتوددا (١٠)

---

(١) قد أى قطع والغدائر ضفائر الشعر والفرع شعر رأس المرأة خاصة دون الرجل وحاك الثوب نسجه والنقاب البرقع (٢) الطريق المعبد أى الممهد والمسلوك (٣) برى الحقد صدورهم أى أسقمها وأذابها (٤) قنصه أى صاده والبازى نوع من الصقور أصيد أى أكثر قدرة على الصيد ومعرفة به (٥) أى قال لها دعى ما أنت منه خائفة فان لى بين جنبى قلباً أيداً أى قوياً شديدا (٦) فمالت على لتغرينى بمواصلتها ومالأها أى ساعدها (٧) الخطب يلتقى بالخطب أى تأتى الخطوب تلو الخطوب (٨) أمير القرافى منادى مضاف . ان لى مستهامة صفة لمحذوف أى ان لى نفساً مستهامة بمدحك ومن لى أن أبلغ فيه ما يجب لك منه (٩) أعاره الشىء أى سلفه . اليراع جمع يراعة وهى القصبة او قلم الكتابة وكثيرا تستعمل مفردة وأقرضه قرضاً اى سلفه ايضا وأعطاه الشىء ليتقاضاه منه . والقريض الشعر . والمسدد الموفق للصواب (١٠) معنى فارسى اى معنى بديع نسبة الى فارس والمعنى النفور أى البعيد المنال

وهبنى من أنوار علمك لمعة على ضوئها أسرى وأقفو من اهتدى (١)

وأربو على ذاك الفخور بقوله

(إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشدا (٢))

سلبت بحار الأرض در كنوزها فأمست بحار الشعر للدر موردا

وصيرت منثور الكواكب فى الدجى نظيما بأسلاك المعانى منضدا (٣)

وجئت بأبيات من الشعر فصلت إذا ماتلوها ألقى الناس سجدا (٤)

إذا ذكروا منه النسيب رأيتنا وداعى الهوى منا أقام وأقعدا (٥)

وإن ذكروا منه الحماس حسبتنا نرى الصارم المخضوب خداً موردا (٦)

ولو أننى نافرت دهرى وأهله بفخرك ما أبقيت فى الناس سيدا (٧)

وكتب من السودان إلى المرحوم السيد محمد بك بيرم

أثرت بنا من الشوق القديم وذكرى ذلك العيش الرخيم (٨)

وأيام كسوناها جمالا وأرقصنا لها فلك النعيم

ملأناها بنا حسناً فكانت بجيد الدهر كالعقد النظيم

وفتيان مساميح عليهم جلابيب من الذوق السليم (٩)

---

(١) من لمع لمعاً ولمعاناً أى أضاء . وسرى أى مشى ليلا . وقفا يقفو أى تبع

(٢) ربا يربو ربوا أى زاد وأراد بذلك الفخور أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبى الكوفى الشاعر الكبير المشهور وأول البيت :

وما الدهر الا من رواة قصائدى اذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً

(٣) بعد أن طلب من ممدوحه أن يعيره فائق بيانه وباهر تبيانه وان يأمر القوافى المتينة والمعانى العالية والابتكارات المنيعة باطاعته ومسالمته ليستعين بها على ايفاء قدر مديحه فخاطبه مادحاً (٤) كلام فصل أى قوى الحجة (٥) النسيب التشبيب بالنساء كما قدمنا (٦) الحماس الشجاعة والمراد بها هنا ذكرها فى الشعر (٧) نافره فى الفخر بالنسب أى قعد معه الى الحكم أمام قاض عالم بالأنساب كما هى عادة العرب فى الجاهلية

(٨) أثار أى اهتاج والعيش الرخيم أى العيش اللين الرغد (٩) مساميح جمع مسماح وهو الجواد الكريم والجلابيب جمع جلباب وهو القميص او الخمار أو مطلق الثوب .

لهم شيم ألذ من الأمانى وأطرب من معاطاة النديم (١)
كهمك فى الخلاعة والتصابى وان كانوا على خلق عظيم (٢)
دعوتهم إلى أنس فوافوا موافاة الكريم إلى الكريم
وجاءوا كالقطا وردت نميرا على ظمإ وهبوا كالنسيم (٣)
وكان الليل يمرح فى شباب ويلهو بالمجرة والنجوم (٤)
فواصلنا كؤوس الراح حتى بدت للعين أنوار الصريم (٥)
وأعملنا بها رأى ابن هانى فألحقنا بأصحاب الرقيم (٦)
وظبى من بنى مصر غرير شهى اللفظ ذى خد مشيم (٧)
ولحظ بابلى ذى انكسار كأن بطرفه سيما اليتيم (٨)
سقانا فى منادمة حديثا نسينا عنده بنت الكروم (٩)

---

(١) الشيم جمع شيمة وهى الخلق والمعاطاة المناولة يقول ان اولئك الاخوان كانت اخلاقهم أحلى فى النفس من نيل المراد وأطرب من مسامرة النديم المؤانس وقال المعاطاة لأنه إنما أراد بالنديم حديثه لا شخصه (٢) همه الأمر وأهمه أى أحزنه وشغله وكهمك أى كما تريد من الانهماك فى مغازلة الحسان ومعاقرة بنت الحان غير أنهم ذوو أخلاق كريمة وصفات حميدة (٣) القطا جمع قطاة وهى الحمام البرى — يضرب بها المثل فى الهدى لأنها لا تخطىء طريق الماء ولا موضع فراخها فى الصحراء والماء النمير او النمر بفتح النون وخفض الميم اى العذب (٤) مرح أى نشط وتبختر ويريد بالليل فى شبابه أى فى أوله والمجرة التى فى السماء هى شموس متجمعة فى السماء ترى فى الليل والجو جلى أقلها أكبر من شمس الدنيا وضوء بعضها قد لا يصل الينا الا فى سنين عديدة وقال يلهو أى يلعب (٥) الصريم من أسماء الاضداد يراد به الليل أو النهار وهو المقصود هنا (٦) الحسن بن هانى الشهير بأبى نواس كان من أئمة شعراء صدر الدولة العباسية

(٧) غرير أو مغرور وخد مشيم أى به شامة وهى الخال (٨) بابل بلد بالعراق ينسب اليه الخمر والسحر فاللحظ البابلى اذاً هو اللفظ الذى يعمل فى القلوب والعقول عمل الخمر فى الرؤوس والسحر فى النفوس أى لحظ ساحر فاتن (٩) بنت الكروم أى الخمر وهو من كثيرا اسمائها

سـلام الله يا عهد التصابى عليك وفتية العهد القـديم
أحن لهم ودونهمو فلاة كأن فسيحها صدر الحليم (١)
كان أديمها أحشاء صب قد التهبت من الوجد الأليم (٢)
كان سرابها إذ لاح فيها خداع لاح فى وجه اللئيم (٣)
تضل بليلها لهب فتحكى بوادى التيه أقوام الكليم (٤)
وتمشى السافيات بها حيارى إذا نقل الهجير عن الجحيم (٥)
فمن لى أن أرى تلك المغانى وما فيها من الحسن المقيم
فما حظ ابن داوود بحظى ولا أوتيت من علم العليم (٦)
ولا أنا مطلق كالفكر أسرى فأستبق الضواحك فى الغيوم (٧)
ولكنى مقيدة رحالى بقيد العدم فى وادى الهموم

---

(١) الحنين الشوق والطرب عن فرح او حزن والفلاة القفر أو المفازة البعيدة او الصحراء الواسعة (٢) اديم الأرض وجهها والوجد هنا بمعنى الشوق والأليم الموجع (٣) السراب الذى نراه نصف النهار فى الخلاء فنظنه ماء ولاح اى ظهر وبدا والخداع الختل والمكر وتظاهر المرء بغير مايضمر لقصد سيء أو لاساءة مقصودة (٤) ضل الشيء فعل لازم بمعنى ضاع وضل الشيء متعد أى نسيه ولم يهتد إليه والطريق تاه فيه ولهب بكسر اللام وسكون الهاء قبيلة من عرب الجاهلية كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتتعرف بها الطريق السوى ووادى التيه هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طورسينا (٥) السافياء الريح إذا كانت تسفى التراب وتحمل الرمال وجمعها السوافى والسافيات والهجير والهجيرة والهاجرة نصف النهار مع الظهر أو من الظهر إلى العصر وقيل أن الهجير هو الحر الشديد بعينه لأن الناس يستكنون فى بيوتهم كأنهم قد تهاجروا اليها (٦) المغانى جمع مغنى وهو المنزل الذى فيه أهله والحسن المقيم الدائم وابن داوود هو النبى سليمان عليه السلام كان من حظه أن آتاه الله على بنى اسرائيل ملكا ما كان لأحد من قبله ولاينبغى لأحد من بعده فسخر له الانس والجن والطير والريح

(٧) الضواحك من الغيوم والسحب ذوات البروق والرحال مركب الرجل أو الاثاث الذى يستصحبه فى سفره والعدم الفقر والوادى المكان بين منفرج الجبال أو التلال

نزحت عن الديار اروم رزقى وأضرب فى المهامه والتخوم (١)
وما غادرت فى السودان قفراً ولم أصبغ بتربته أديمى (٢)
وها أنا بين انياب المنايا وتحت براثن الخطب الجسيم (٣)
ولولا سورة للمجد عندى قنعت بعيشتى قنع الظليم (٤)
أيا ابن الأكرمين أباً وجداً ويا ابن عضادة الدين القويم (٥)
أقام لديننا أهلوك ركنا له نسب إلى ركن الحطيم
فما طاف العفاة به وعادوا بغير العسجدية واللطيم (٦)
أتيتك والخطوب تزف رحلى ولى حال أرق من السديم (٧)
وقد أصبحت من سعيى وكدحى على الأرزاق كالثوب الرديم (٨)
فلا تخلق فديت أديم وجهى ولا تقطع مواصلة الحميم

وقال يمدح المرحوم سليمان باشا أباظه ويهنئه بابلاله من مرضه وبعرس نجله على بك

تراءى لك الأقبال حتى شهدناه ودان لك المقدار حتى أمناه (٩)

---

(١) نزح عن المكان أى ابتعد عنه وسافر وضرب فى الارض أى سعى فيها مسترزقا والمهامه جمع مهمه وهى الفلاة المتسعة . والتخوم والتخم بضم التاء والخاء جمع تخوم بفتحها وتخم بفتحها وسكون الخاء وتخم بضمها وسكون الخاء وهو الحد الفاصل بين الارضين (٢) الاديم هنا بمعنى جلد الجسم (٣) البراثن جمع برثن بضم الباء وهو الكف مع الاصابع من الانسان ومخلب الاسد (٤) سورة المجد أثره والظليم ذكر النعام (٥) والمرو حجر أبيض براق صلب يعرف بالصوان والهبيد حب الحنظل (٦) العضادة هنا بمعنى المساعد والنصير (٧) العفاة جمع عاف وهو المحتاج . والعسجدية هى الابل التى تحمل الذهب وكنى بها عن العطايا . واللطيمة هى الابل التى تحمل المسك والعنبر وجمعها لطيم (٨) تزف رحلى أى تحيط بى والسديم هو الضباب لرقيق وصف به حاله لجامع الرقة فى كليهما (٩) الثوب الرديم هو الثوب القديم البالى يقول أنه ما فتىء يسعى ويكد فى طلب الرزق حتى بلى جسمه كما يبلى الثوب

(١٠) تراءى أى تصدى له لى يراه ودان أى خضع والمقدار هو القضاء والقدر .

سليمان ذكرت الزمان وأهله بعز سليمان وإقبال دنياه (١)
إذا سرت يوماً حذر النمل بعضه مخافة جيش من مواليك يغشاه (٢)
وإن كنت فى روض تغنت طيوره وصاحت على الأفنان يحرسك الله (٣)
وكان ابن داوود له الريح خادم وتخدمك الأيام والسعد والجاه
تحل بحيث المجد ألقى رحاله فطاهرة والبيت والقدس أشباه (٤)
لبست الشفا ثوباً جديداً مباركاً فألبستنا ثوبا من العز نرضاه
وكان عليك الدهر يخفق قلبه فلما شفاك الله أهدأت أحشاه
وهنى جديداه الزمان وأصبحت تسوق لنا الأيام ما نتمناه (٥)
وبات بنوك الغر ما بين رافل بحلة يمن أو شكور لمولاه (٦)
سليمان دم مادامت الشهب فى الدجى وما دام يسرى ذلك البدر مسراه
وكن لعلى بهجة العرس إنه بعزك فى الأفراح تمت مزاياه
ولا تنس من أمسى يقلب طرفه فلم تر إلا أنت فى الناس عيناه

وقال يمدح سعادة عبد الحليم باشا عاصم الأنخم سر ياوران الحضرة الفخيمة الخديوية إذ ذاك حين إسناد إمارة الحج اليه سنة ١٣١٣ هجرية

حال بين الجفن والوسن حائل لو شئت لم يكن (٧)

---

(١) سليمان الاولى اسم الممدوح والثانى نبى الله سليمان بن داود وقد تقدم خبره
(٢) يشير بذلك إلى قوله تعالى فى قصة سليمان « قالت نملة يا أيها النمل أدخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون » والموالى جمع مولى وهو من الاضداد بمعنى السيد والعبد وهو المراد هنا (٣) الافنان جمع فنن وهو الغصن
(٤) ألقى رحاله أى أقام وطاهرة اسم بلد الممدوح باقليم الشرقية (٥) الجديدان هما الليل والنهار ومن أسمائهما الفتيان والملوان (٦) رجل أغر أى شريف الفعال كريمها ورفل أى سحب ذيله تيها (٧) الوسن محركة النوم والنعاس يقول قد حال بين جفنى ونومى من صدودك وجفاك حائل لو شئت لأزلته بوصلك فرددت الى راحتى ورقادي

انا والأيام تقذف بى بين مشتاق ومفتتن
لى فؤاد فيك تنكره أضلعى من شدة الوهن (١)
وزفير لو علمت به خلت نار الفرس فى بدنى (٢)
يا لقومى انى رجل حرت فى أمرى وفى زمنى
اجفاء أشتكى وشقاً ان هذا منتهى المحن (٣)
يا هماما فى الزمان له همة دقت عن الفطن (٤)
وفتى لو حل خاطره فى ليالى الدهر لم تخن (٥)
يا أمير الحج أنت له خير واق خير مؤتمن (٦)
هزك البيت الحرام له هزة المشتاق للوطن (٧)
فرحت أرض الحجاز بكم فرحها بالهاطل الهتن (٨)
وسرت بشرى القدوم لهم بك من مصر الى عدن

وكتب يمدح صديقه الشاعر المجيد محمد بك هلال

هجعت يا طير ولم أهجع ما أنت إلا عاشق مدعى
لو كنت ممن يعرفون الجوى قضيت هذا الليل سهداً معى

---

(١) الوهن الضعف (٢) الزفير اخراج النفس بشدة واطالته وأكثر مايكون فى الحزن والكدر . ونار الفرس هى النار التى كانت تعبدها المجوس قيل أنها مكثت لاتطفأ ألف عام (٣) المحن جمع محنة وهى ما امتحن به الانسان من بلية ومصيبة (٤) دق يدق دقة بالكسر غمض والفطن جمع فطنة وهى الحذق والفهم أى أن همته قد زادت إلى أن جلت عن أن يحيط بها فهم لبيب (٥) الخاطر أى الهاجس وهو مايحدث به الانسان نفسه فى صدره يعنى مايضمره (٦) وفى الشىء صانه وحفظه (٧) هزه اليه أو له أى ارتاح اليه فنشط له واسم الهيئة هزة بكسر الهاء أى أن البيت الحرام قد دعاك اليه فنشطت له وسررت بسيرك اليه كما يسر الغريب بالاوبة إلى وطنه (٨) الحجاز مكة والمدينة والطائف وما بينهما من سهول سميت بذلك لانها واقعة بين أقليمى نجد وتهامة فكأنما قد حجرت بينهما . والهاطل المطر المتتابع وكذلك الهتن

يا من تحاميتم سبيل الهوى أعيذكم من قلق المضجع
وحسرة فى النفس لو قسمت على ذوات الطوق لم تسجع (١)
ويا بنى الشوق وأهل الأسى ومن قضوا فى هذه الأربع
عليكمو من واجد مغرم تحية الموجع للموجع
لله ما أقسى فؤاد الدجى على فؤاد العاشق المولع
هذا غليظ لم يرضه الهوى ما بين جنبى أسود أسفع (٢)
وذاك فى جنبى فتى مدنف على سوى الرقة لم يطبع
وأغيد أسكنته فى الحشا وقلت : يا نفس به فاقنعى
نفاره أسرع من خاطرى وصده أقرب من مدمعى
وخده لا تنطفى ناره كأنما يقبس من أضلعى (٣)
تساءلت عنى نجوم الدجى لما رأتنى دانى المصرع
قالت نرى فى الأرض ذا لوعة قد بات بين اليأس والمطمع
يئن كالمفئود أو كالذى أصابه سهم ولم ينزع (٤)
ان كان فى بدر الدجى هائما أما لهذا البدر من مطلع ؟
أو كان فى ظبى الحمى مغرما أما لهذا الظبى من مرتع ؟
هيهات يا أنجم أن تعلمى مشير أشجانى أو تطمعى
إنى لضنان بذكر اسمه ضنى بود الكاتب الألمعى (٥)
الضارب الجزية منذ انتشى على يراع الشاعر المبدع
والحامل الأقلام مشروعة كأنها بعض القنا الشرع

---

(١) ذوات الطوق أى الحمائم (٢) راض أى ذلل والاسفع شديد السواد
(٣) قبس النار أى أخذها شعلة (٤) المفئود أى الذى أصيب فى فؤاده
(٥) ضن بالشىء أى بخل به
(تنبيه) قد فقد آخر هذه القصيدة كما فقد آخر قصيدة عبد الحليم باشا عاصم السالفة ولم يتيسر لنا العثور عليهما فأثبتناهما على علاتهما

اذ دعا القوم أتى طائعاً ... وان دعاه العى لم يسمع
صحبته دهراً فالفيته ... فتى كريم الأصل والمنزع
مودة كالخمر إن عتقت ... جادت وفضل باسم المشرع
وعزمة لو قسمت فى الورى ... باتوا من الشعرى على مسمع

الباب الثانى

(فى شكوى الزمان ومعاتبة الاخوان)

قال يشكو زمانه ويندب أوطانه

ماذا أصبت من الأسفار والنصب ... وطيك العمر بين الوخد والخبب (١)
نراك تطلب لا هونا ولا كثبا ... ولا نرى لك من مال ولا نشب (٢)
لا تطعمانى أنياب الملام على ... هذا العثار فانى مهبط العجب (٣)
وددت لو طرحوا بى يوم جئتهم ... فى مسبح الحوت أو فى مسرح العطب (٤)
لعل مانى لاقى ما أكابده ... فود تعجيلنا من عالم الشجب (٥)
انى احتسبت شبابا بت أنفقه ... وعزمة شابت الدنيا ولم تشب (٦)

(١) النصب أى التعب والوخد والخبب الاسراع فى السير وهما ضربان من سير الابل (٢) الهون الشىء الهين اليسير ، والكثب القريب المنال ، والنشب المال . قد جرد الشاعر من نفسه شخصين يعاتبانه على كثرة الأسفار (٣) أطعمه أنياب الملام أنشبها فيه أى أذاقه قوارصه (٤) مسبح الحوت عقيق النهر وقاع البحر ومسرح العطب موارد الهلاك (٥) الشجب الهم ومانى هو مانى الثنوى صاحب مذهب المانوية المشهور كان مذهبه تعجيل الفناء بقطع النسل وكان يدين بعبادة الدهر ويقول أن النهار إله الخير وان الليل إله الشر (٦) احتسب الشىء عند الله أى قدمه واعتده فيما يدخر

كم همت فى البيد والآرام قائلة والشمس ترمى أديم الأرض باللهب (١)
وكم لبست الدجى والترب ناعسة والليل أهدأ من جأشى لدى النوب (٢)
والنجم يعجب من امرى ويحسبنى لدى السرى ثامنا للسبعة الشهب (٣)
لكننى غير مجدود وما فتئت يد المقادير تقصينى عن الأرب (٤)
وقد غدوت وآمالى مطرحة وفى أمورى ما للضب فى الذنب (٥)
فان تكن نسبتى للشرق ما نعتى حظا فواهاً لمجد الترك والعرب (٦)
وقاضبات لهم كانت إذا اخترطت تدثر الغرب فى ثوب من الرهب (٧)
وجمرة لهم فى الشرق ما همدت ولا علاها رماد الختل والكذب (٨)
متى أرى النيل لا تحلو موارده لغير مرتهب لله مرتقب (٩)
فقد غدت مصر فى حال إذا ذكرت جادت جفونى لها باللؤلؤ الرطب
كأننى عند ذكرى ما ألم بها قرم تردد بين الموت والهرب (١٠)

---

(١) هام أى حار والآرام جمع رئم وهو الظبى وقائله من قال يقيل فهو قائل إذا استكن وقت الظهيرة لشدة الحر وقد قيل أن الظباء لا تقيل إلا إذا صام النهار واشتد القيظ (٢) لبس الدجى أى اتخذ الليل له سترا يريد بذلك السير فى الظلام وجأش الانسان بهمز وبلا همز نفسه (٣) الشهب السبعة السيارة وهى : زحل والمشترى والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر (٤) المجدود من الاضداد يطلق على سىء الحظ وسعيده وهو المراد . وأقصاه عن الشىء أبعده عنه (٥) مطرح أى ملقى على الأرض ويريد بما فى ذنب الضب التعقيد (٦) واهاً بالتنوين وبدونه كلمة تعجب بمعنى يالله أو تلهف بمعنى ياللأسف (٧) القاضبات جمع قضبة بفتح القاف وسكون ما بعدها وهى اللطيف من السيوف كالقضيب والقاضب والقضاب بتشديد الضاد ، واخترط السيف استله . وتدثر بالثوب التف به والرهب الخوف والرعب (٨) الختل الخداع يقول أننى لا أرى لى ذنباً يستحق كل هذا العنت من الدهر (٩) يقول متى أرى النيل لا يسوغ شرب مائه ولا تطيب الاقامة تحت سمائه إلا لكل مؤمن خالص السريرة طيب السيرة يخاف الله فى أعماله وأقواله (١٠) القرم بفتح القاف السيد العظيم والبطل الشجاع

إذا نطقت فقاع السجن متكئى ... وإن سكت فان النفس لم تطب
أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ... ونحن نمشى على أرض من الذهب
والقوم فى مصر كالأسفنج قد ظفرت ... بالماء لم يتركوا ضرعا لمحتلب (١)
يا آل عثمان ماهذا الجفاء لنا ... ونحن فى الله اخوان وفى الكتب
تركتمونا لأقوام تخالفنا ... فى الدين والفضل والأخلاق والأدب

وقال أيضا فى المعنى :

سعيت إلى أن كدت أنتعل الدما ... وعدت وما أعقبت إلا التندما (٢)
لحى الله عهد القاسطين الذى به ... تهدم من بنياننا ما تهدما (٣)
إذا شئت أن تلقى السعادة بينهم ... فلا تك مصريا ولا تك مسلما
سلام على الدنيا سلام مودع ... رأى فى ظلام القبر أنسا ومغنما
أضرت به الأولى فهام بأختها ... وإن ساءت الأخرى فويلاه منهما (٤)
فهبى رياح الموت نكبا وأطفئى ... سراج حياتى قبل أن يتحطما (٥)
فما عصمتنى من زمانى فضائلى ... ولكن رأيت الموت للحر أعصما (٦)

---

(١) الضرع للبهائم كالثدى للمرأة . يعجب من أن أبناء مصر يشتكون الفقر جميعهم وهم يمشون منها على أرض خصبة كأنها من ذهب لأنها تجلبه بخيراتها الكثيرة (بذلك وصفها عمرو بن العاص فى كتابه إلى عمر بن الخطاب) (٢) العقبى بضم العين وسكون القاف جزاء الأمر أى انه سعى فى التماس الرزق وطلب المعالى إلى أن أدمى السير قدميه ولم يظفر بغير الندم جزاء لسعيه وكده (٣) القاسط هنا بمعنى الجائر الظالم قال الله تعالى « وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً » (٤) يريد بالاولى الدنيا وباختها الاخرى الآخرة . يقول لقد ساءت حاله فى الدنيا فظن بالآخره خيرا واذا خاب ظنه ورأى منها أيضاً مايسوءه فيالشقوته وبلائه (٥) النكباء الريح اذا انحرفت ووقعت بين ريحين : يقول ياريح المنون هبى على فاطفئى سراج حياتى قبل أن تحطمه مصائب الزمان ونوائب الدهر (٦) عصمه أى حفظه ووقاه

فياقلب لاتجزع إذا عضك الأسى فانك بعد اليوم لن تتألما
ويا عين قد آن الجمود لمدمعى فلا سيل دمع تسكبين ولا دما
ويا يدّ ما كلفتك البسط مرة لذى منة أولى الجميل وأنعما
فلله ما أحلاك فى أنمل البلى
وإن كنت أحلى فى الطروس وأ سرما(١)
ويا قدمى ما سرت بى لمذلة ولم ترتقى إلا إلى العز سلما
فلا تبطئى سيراً إلى الموت واعلمى بأن كريم القوم من مات مكرما
ويانفس كم جشمتك الصبر والرضى وجشمتنى أن ألبس المجد معلما (٢)
فما اسطعت أن تستمرئى مر طعمه وما اسطعت بين القوم أن أتقدما (٣)
فهذا فراق بيننا فتجملى فان الردى أحلى مذاقا ومطعما (٤)
ويا صدر كم حلت بذاتك ضيقة وكم جال فى أنحائك الهم وارتمى (٥)
فهلا ترى فى ضيقة القبر فسحة تنفس عنك الكرب إن بت مبرما (٦)
ويا قبر لا تبخل برد تحية على صاحب أوفى علينا وسلما
وهيهات يأتى الحى للميت زائراً فانى رأيت الود فى الحى أسقما
ويا أيها النجم الذى طال سهده وقد أخذت منه السرى أين يمما (٧)
لعلك لا تنسى عهود منادم تعلم منك السهد والأين كلما (٨)

---

(١) الطروس جمع طرس وهى الصحيفة (٢) جشم الامر بفتح الجيم وكسر الشين أى تكلفه على تعب ومشقة وجشمنى اياه بتشديد الشين وأجشمنى اياه بفتحها كلفنى به وحملنى متاعبه ومعلم الشىء بفتح الميم واللام وسكون العين مانستدل به عليه
(٣) استمرأ الطعام استلذه وحمد مغبته (٤) تحمل أى تزين (٥) جال فى أنحائه الهم أى ملأه وارتمى فيه أى لازمه (٦) مبرام أى متضجر متململ (٧) السرى بضم وتشديد السير ليلا ويمم أى قصد (٨) الأين الأعياء والتعب بعد أن تمنى الشاعر انقضاء الأجل مؤثرا مفارقة هذا العالم على الحياة فيه ومخاطبة بنيه استعد لمفاجأة الردى فودع دنياه .

إلى محرر المرأة :

لحاظك والأيام جيش أحاربه ... فهذى مواضيه وهذى كتائبه (١)
وهمين ضاق القلب والصدر عنهما ... غرام أعانيه وعيش أغالبه (٢)
وليل كمطل القوم كابدت طوله ... وأيقنت أنى لا محالة صاحبه (٣)
كأن دياجيه صحيفة ملحد ... تخط بها أعماله ومثالبه (٤)
قريت به جيش الصبابة والأسى ... وأنزلته صدراً تداعت جوانبه (٥)
وعلمت نفسى كظم غيظى ولم أبح ... بما فعلت بين الضلوع قواضبه (٦)
تماسكت حتى لو رأى القوم حالتى ... رأوا رجلا هانت عليه مصائبه (٧)
رجائى فى قومى ضعيف كأنه ... جنان وزير سودته مناصبه (٨)
ودائى كداء الدين عز دواؤه ... وحظى كحظ الشرق نحس كواكبه
فياليت لى وجدان قومى فأرتضى ... حياتى ولا أشقى بما أنا طالبه (٩)
ينامون تحت الضيم والأرض رحبة ... لمن بات يأبى جانب الذل جانبه
يضيق على السورى رحب بلاده ... فيركب للأهوال ما هو راكبه
فما هى ألا إن تجشمه النوى ... وما هو إلا أن تشد ركائبه (١٠)
ويحرج بالرومى مذهب رزقه ... فتفرج فى عرض البلاد مذاهبه (١١)

---

(١) الماضى السيف وجمعها المواضى والكتائب جمع كتيبة وهى جماعة الخيل من مائة إلى ألف اذا غارت . يقول أنتى أحارب من محن الدهر وبلاياه جيشاً كثيفاً الايام خيله ولحظ الحسان سيوفه ونبله (٢) عانى الأمر قاساه وغالبه أى قاومه (٣) المطل بفتح فسكون التسويف بالوعد . شبه الليل فى طوله بمواعيد المماطل المخلف التى لانهاية لها ولا آخر (٤) دياجى الليل ظلمته والمثالب المعايب والملحد هنا المشرك بالله (٥) قراه يقريه قرى أى أضافه وأنزله يعنى أحله وتداعى أى انقض وانهدم (٦) كظم الغيظ كتمه وحبسه واستعار له القواضب أى السيوف لأنه يؤثر فى النفوس تأثيرها فى الاجسام (٧) تماسك أى تشجع وتثبت (٧) سوده من السؤدد أى شرفه وأعلاه (٩) الوجدان الشعور (١٠) جشم الأمر أى حمله عليه واضطره له (١١) حرج بفتح فخفض ضاق .

اقاسم إن القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه (١)
إلى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه ؟
فلو أن شخصا قام يدعو رجالهم لوضع نقاب لاستقامت رغائبه
ولو خطرت فى مصر حواء أمنا يلوح محياها لنا ونراقبه
وفى يدها العذراء يسفر وجهها تصافح منا من ترى وتخاطبه (٢)
وخلفهما موسى وعيسى وأحمد وجيش من الأملاك ماجت كواكبه
وقالوا لنا رفع النقاب محلل لقلنا نعم حق ولكن نجانبه (٣)

وقال وهو فى السودان يشكو ويتشوق

رميت بها على هذا التباب وما أوردتها غير السراب (٤)
وما حملتها إلا شقاء تقاضينى به يوم الحساب (٥)
جنيت عليك يا نفسى وقبلى عليك جنى أبى فدعى عتابى (٦)
فلولا أنهم وأدوا بيانى بلغت بك المنى وشفيت مابى (٧)
سعيت وكم سعى قبلى أديب فآب بخيبة بعد اغتراب (٨)
وما أعذرت حتى كان نعلى دما ووسادتى وجه التراب (٩)

---

(١) فقه الشىء بفتح الفاء وضم القاف أى علم به وفهمه والسفر بكسر الاول وسكون الثانى الكتاب (٢) أسفر الصبح أى أشرق وأضاء فهو مسفر وسفرت المرأة أى كشفت عن وجهها فهى سافر (٣) جانبه من الاضداد أى صار إلى جنبه وباعده أيضاً وهو المراد (٤) الضمير فى بها عائد على محذوف وهو النفس والتباب الخسار بفتح الخاء والنقص ومنه تباً له أى خسراً له وأورده أى أحضره وأشرف به على الورد (٥) قاضاه الشىء وتقاضاه بالشىء أى استخلصه منه (٦) قال المعرى

هذا جناه أبى على وما جنيت على أحد

(٧) وأده أى دفنه حياً (٨) آب أى عاد ورجع (٩) أعذر أى قصر واعتذر والوسادة المتكأ والمخدة . يقول لقد سعيت فما عدت الا بالخيبة كما عاد كل ذى فضل سعى قبلى

وحتى صيرتنى الشمس عبداً صبيغابعد مادبغت إهابى (١)
وحتى قلم الاملاق ظفرى وحتى حطم المقدار نابى (٢)
متى أنا بالغ يا مصر أرضا أشم بتربها ريح الملاب (٣)
رأيت ابن البخار على رباها يمر كأنه شرخ الشباب (٤)
كأن بجوفه أحشاء صب يؤجج نارها شوق الاياب
إذا ما لاح ساء لنا الدياجى أبرق الأرض أم برق السحاب

وقال يعاتب الزمان ويشكو نحس الطالع :

سليل الطين كم نلنا شقاء وكم خطت أناملنا ضريحاً (٥)
وكم أزرت بنا الأيام حتى فدت بالكبش إسحق الذبيحا
وباعت يوسف بيع الموالى وألقت فى يد القوم المسيحا (٦)
ويانوحا جنيت على البرايا ولم تمنحهم الود الصحيحا
علام حملتهم فى الفلك هلا تركتهم فكنت لهم مريحا ؟
أصاب رفاقى القدح المعلى وصادف سهمى القدح المنيحا (٧)
فلو ساق القضاء إلى نفعاً لقام أخوه معترضاً شحيحا (٨)

وكتب إلى صديقه الفاضل محمد بك عبده البابلى وكان قد حبس عنه كتبه زمانا طويلا :

---

(١) اهاب الانسان جلده (٢) قلم أى قطع والاملاق أى الفقر المدقع وحطم أى كسر (٣) الملاب كلمة فارسية وهو كل عطر سائل (٤) يريد بابن البخار القطار يمر بسرعة كأنه شرخ الشباب أى عنفوانه (٥) سليل الطين أى ابنه يريد به آدم عليه السلام (٦) الموالى جمع مولى وهو من الاضداد ويريد به هنا العبد ويعنى بالقوم الذين ألقى الدهر فى يدهم بعيسى المسيح جماعة اليهود (٧) القدح واحد القداح والمعلى آخر السهام الفائزة فى الميسر وله سبعة أنصبة والمنيح أول السهام الخاسرة
(٨) الشحيح البخيل وأخو القضاء يريد به القدر

إن غضّك يا أخى بالملام ... لا يؤدى لمثل هذا الخصام (١)
أنت والشمس والضحى والليالى الـ ... ـعشر والفجر غير راعى الذمام
ما عهـــدناك يا كريم السجايا ... تصرف النفس عن هنات الكرام (٢)
ليس فى كتبنا سؤال نوال ... منك حتى خشيت رد السلام
نحن نرضى بالقوت من هذه الدنـ ... ـيا وإن بات دون قوت النعام (٣)
وإذا خان قسمنا ما شكونا ... لسوى الله أعدل القسام (٤)
كيف تنسى يا بابلىّ غريبا ... بات بين الظنون والأوهام
وحزينا إذا تنفس عادت ... فحمة الليل جمرة من ضرام (٥)
وإذا أن كاد ينصدع الأفـ ... ـق وتعتل دورة الأجرام (٦)
بات تحت البلاء حتى تمنى ... لو يكون المبيت تحت الرغام (٧)

وكتب إلى جماعة من أصحابه معاتباً :

تناءيت عنكم فحلت عرى ... وضاعت عهود على ما أرى (٨)
وأصبح حبل اتصالى بكم ... كخيط الغزاله بعد النوى (٩)
وقد زال ما كان من ألفة ... وود زوال شهاب الدجى (١٠)
كأن بقاء الوفا بينكم ... وبينى بقاء حباب الحيا (١١)

---

(١) عضه بالملام اذا أوجعه (٢) الهنات جمع هنة وهى الشىء اليسير
(٣) يقول له نحن نكتفى من هذه الدنيا بما نسد به الرمق ولو كان أكثر تفاهة مما يقتات به النعام من الحصى (٤) خان قسمه أى نصيبه من الرزق (٥) كان الجمر يشتعل من نيران نفسه المحرقة من الحزن والكمد فيضىء بها الليل الحالك
(٦) أن من الانين ، كادينفطر الافق أى يختل كيانه ويرتبك دورانه
(٧) الرغام أى التراب (٨) العرى جمع عروة . يريد أنه تباعد عنهم فتقطعت أسباب المودة بينه وبينهم (٩) الغزالة الشمس وخيطها أى شعاعها ومن أسمائه صورت باطل يضرب به المثل فى الضعف والوهن (١٠) يريد بشهاب الدجى تلك النيازك التى تهوى فى الجو فتترك أثراً لمسراها لا يلبث أن يرى حتى يزول (١١) الحباب فى البحر موجه

سكنت إليكم ولم تسكنوا إلى وقد كنت نعم الفتى [١]
ونفسى فريقان هذا به مزجت الوفاء وذاك الندى
أصبتم تراثا وألهاكم التـ كاثر عنا فسر العدا [٢]
ومن كان ينسيه إثراؤه صديق الخصاصة لا يصطفى [٣]

وكتب من السودان الكتاب الآتى إلى أوحد العلماء فى مصر . وإمام فلاسفة هذا العصر ، نادرة الفلك ، ومعجزة الزمان ، الأستاذ الأكبر : فضيلة الشيخ « محمد عبده » مفتى الديار المصرية ، وقد أثبتناه هنا وإن لم يكن ثم محل للنثر ، لاشتماله على كثير من القريض نضن بضياعه :

كتابى إلى سيدى وأنا من وعده بين الجنة والسلسبيل . ومن تيهى به فوق النثرة والاكليل [٤] . وقد تعجلت السرور وتسلفت الحبور [٥] . وقطعت مابينى وبين النوائب :

وبشرت أهلى بالذى قد سمعته فما محنتى إلا ليال قلائل
وقلت لهم للشيخ فينا مشيئة فليس لنا من دهرنا ما ننازل [٦]

وجمعت فيه بين ثقة الزبيدى بالصمصامة . [٧] والحارث بالنعامة [٨] فلم أقل ما قال الهزلى . [٩] لصاحبه حين نسى بوعده . وحجب رفده .

وفى كأس الخمر وقدح الماء تلك الفقاقيع التى ترى على سطحه والحيا هو المطر

(١) سكن اليه أى وثق به (٢) التراث مايصاب من المال الموروث والتكاثر هو كثرة العدد (٣) الخصاصة الفقر والاحتياج (٤) النثرة اسم كوكبين متقاربين فى السماء والاكليل من منازل القمر (٥) تسلف الشيء طلبه قبل أوانه أو اقترضه

(٦) نازل من النزال وهو المضاربة أى أن الامام قد كفانا متاعب الحياة ودفع عنا مصائب الدهر فلم يبق لنا من ذلك شيء نتعب فى قتاله (٧) الزبيدى هو عمرو بن معد يكرب الفارس المشهور لحق الجاهلية والاسلام وله بلاء حسن فى المعارك التى شهدها مع النبى صلى الله عليه وسلم والصمصامة سيفه المشهور (٨) الحارث هو الحارث بن عباد شيخ من العرب والنعامة اسم فرسه (٩) الهزلى كان نديماً للخليفة أبى جعفر المنصور العباسى

يادار عاتكة التى أتغزل ✡ بل أناديه نداء الأخيذة فى عمرية . شجاع الدولة العباسية [١] . ومد صوتى بذكر إحسانه . مد المؤذن صوته فى أذانه . واعتمد عليه فى البعد والقرب ، اعتماد الملاح على نجمة القطب .

وقال أصيحابى وقد هالنى النوى ... وهالهم أمرى متى أنت قافل ؟ [٢]

فقلت إذا شاء الامام فأوبتى ... قريب وربعى بالسعادة آهل [٣]

وها أنا متماسك حتى تنحسر هذه الغمرة [٤] وينطوى أجل تلك الفترة . وينظر لى سيدى نظرة ترفعنى من ذات الصدع ، إلى ذات الرجع [٥] وتردنى إلى ولرى الذى فيه درجت [٦] . رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها [٧] ورد الوفى الأمانات إلى أهلها .

فان شاء فالقرب الذى قد رجوته ... وإن شاء فالعز الذى أنا آمل

وإلا فانى قاف رؤبة لم أزل ... بقيد النوى حتى تغول الغوائل [٨]

فلقد حللت السودان حلول الكليم فى التابوت [٩] والمغاضب فى

---

(١) الأخيذة أى الأسيرة (٢) أى راجع من قفل قفولا فهو قافل ومنها القافلة وهى الرفقة فى السفر (٣) آب أوبة وايابا أى رجع وقال قريب ولم يقل قريبة لأنه يريد بالأوبة هنا الرجوع قال الله تعالى « ان رحمة الله قريب من المحسنين » ولم يقل قريبة لأنه أراد بالرحمة الاحسان (٤) انحسر البحر إذا انكشفت لجته وانحسرت الغمرة أى المصيبة إذا زالت (٥) ذات الصدع أى ذات الشق وهى الأرض وذات الرجع السماء والرجع يعنى صوت الرعد (٦) الوكر عش الطائر يريد به هنا وطنه ودرج فيه أى مشى فيه يريد الذى نشأ فيه وشب (٧) يشير بذلك إلى ماء المطر الذى يسقط من السماء فيختلط بحمأة الارض فيتلوث بأقذارها فاذا أشرقت الشمس وقرعته بأشعتها استحال إلى بخار فاجتذبت أجزاءه إلى السحاب وردته صافياً نقياً إلى عنصره (٨) الغوائل جمع غائلة وهى الشر الذى يأخذ الانسان من حيث لا يدرى فيهلكه ورؤبه رجل رجاز من العرب كان يصنع أكثر أراجيزه على روى القاف الساكنة فضرب بها المثل فى السكون (٩) الكليم هو نبى الله موسى عليه السلام وخبره فى التابوت مشهور

جوف الحوت [١] بين الضيق والشدة . والوحشة والوحدة لابل حلول الوزير فى تنور العذاب [٢] والكافر فى موقف يوم الحساب ، بين نارين نار القيظ [٣] ونار الغيظ

فناديت باسم الشيخ والقيظ جمره يذيب دماغ الضب والعقل ذاهب
فصرت كأنى بين روض ومنهل تدب الصبا فيه وتشدو البلابل

واليوم أكتب إليه وقد قعدت همة النجمين [٤] . وقصرت يد الجديدين [٥] . عن إزالة مافى نفس ذلك الجبار العنيد . فلقد نما ضب ضغنه على [٦] وبدرت بوادر السوء منه إلى [٧] فأصبحت كما سر العدو وساء الحميم . وآلامى كأنها جلود أهل الجحيم . كلما نضج منها أديم تجدد اديم [٨] . وأمسيت وملك آمالى إلى الزوال . أسرع من أثر الشهاب فى السماء . ودولة صبرى إلى الاضمحلال . أحث من حباب الماء [٩] . فنظرت فى وجوه تلك العباد وإنى لفارس العين والفؤاد . فلم تقف فراستى [١٠] على غير بابك

وإنى أهديك سلاماً لو امتزج بالسحاب . واختلط منه باللعاب [١١]

---

(١) المغاصب هو يونس عليه السلام (٢) الوزير هو محمد بن الزيات وزير الخليفة المعتصم وابنه الواثق وقتله المتوكل كان لشدة ظلمه قد اصطنع تنور العذاب من يأمر باعدامه فأراد الله أن يكون هو أول من يدخل فيه بأمر الخليفة المتوكل

(٣) القيظ شدة الحر (٤) يريد بالنجمين المشترى والزهرة كان القدماء يعتقدون أن لهما تأثيراً فى نفوس البشر يؤلفان منها ما افترق (٥) الجديدان الليل والنهار

(٦) الضب بفتح الضاد وكسرها الغيظ والضغن والحقد (٧) بدره الأمر أى عاجله وسبق إليه وبوادر السوء جمع بادرة وهى الحدة (٨) قال الله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب) (٩) أحث أى أسرع والحباب ما يرى على وجه الماء من الفقاقيع (١٠) الفراسة التثبت والدقة فى البحث والتبصر

(١١) لعاب الانسان ريقه ولعاب النحل عسله ولعاب الشمس ما تراه فى الشمس وقت الظهيرة مثل خيط العنكبوت ولعاب السحاب المطر

لأصبحت تتهادى بقطره الأكاسرة . وأمست تدخر منه الرهبان فى الأديرة [١] ولا أغنى ذات الحجاب . عن الغالية والملاب [٢]

ولا بدع إذا جاء السيد بالرد فقد يرى وجه المليك فى المرآة . وخيال القمر فى الاضآءة . وإن حال حائل دون أمنية هذا السائل . فهو لا يذم يومك . ولا ييأس من غدك [٣] . فأنت خير ماتكون حين لا تظن نفس بنفس خيرا والسلام

البَابُ الثَّالِث

فى الوصف

الشمس

لاح منها حاجب للناظرين ... فنسوا بالليل وضاح الجبين
ومحت آيتها آيته ... وتبدت فتنة للعالمين
نظر ابراهام فيها نظرة ... فأرى الشك وما ضل اليقين
قال ذا ربى فلما أفلت [٤] ... قال إنى لا أحب الآفلين
دع القوم إلى خالقها ... وأتى القوم بسلطان مبين [٥]
رب إن الناس ضلوا وغووا [٦] ... ورأوا فى الشمس رأى الخاسرين

---

(١) أى لأصبحت تتهادى به الملوك كما تتهادى بالعطور وتدخره الرهبان فى أديرتهم كما يدخرون الماء المقدس (٢) الغالية الطيب والملاب بفتح الميم كل عطر سائل أى ولغنيت به النساء عن كل طيب وعطر (٣) أى فهو لا يذم منعك اليوم ولا ييأس من إحسانك فى الغد (٤) أفلت الشمس أى غابت (٥) السلطان الحجة
(٦) غوى يغوى غياً بمعنى ضل

خشعت أبصارهم لما بدت ... وإلى الأذقان خروا ساجدين
نظروا اياتها مبصرة ... فعصوا فيها كلام المرسلين
نظروا بدر الدجى مرآتها ... تتجلى فيه حيناً بعد حين
ثم قالوا كيف لا نعبدها ... هل لها فيما ترى العين قرين ؟
هى أم الأرض فى نسبتها ... هى أم الكون والكون جنين
هى أم النار والنور معاً ... هى أم الريح والماء المعين (١)
هى طلع الروض نوراً وجنى (٢) ... هى نشر الورد ، طيب الياسمين
هى موت وحياة للورى ... وضلال وهدى للغابرين (٣)
صدقوا لكنهم ما علموا ... أنها خلق سيبلى بالسنين
إله لم ينزه ذاته ... عن كسوف بئس زعم الجاهلين
انما الشمس وما فى آيها ... من معان لمعت للعارفين
حكمة بالغة قد مثلت ... قدرة الله لقوم عاقلين

دولة السيف ودولة المدفع

يا دولة القواضب الصقال (٤)
وصولة الذوابل الطوال
كم شدت بين الأعصر الخوالى
ممالكا عزيزة المنال

---

(١) ماء معين وميون ظاهر جار على وجه الارض (٢) الطلع ما يبدو من الثمر والنور الأبيض من الزهر وأما الأصفر فهو الزهر والجنى الرطب من الثمر
(٣) الغابر يطلق على الحاضر والماضى (٤) القواضب جمع قاضب وهو السيف والصقال جمع صقيل وهو من صفاته إذا كان مشحوذ الحد شديد الجلاء

قامت بحد الأبيض الفصال (١)
وسن ذاك الأسمر العسال (٢)
راحت بها الأيام والليالى
وخلفتها دولة الجلال
مملكة المدفع ذات الخال (٣)
قامت بحول النار والزلزال
فأرهبت أفئدة الأبطال
ارهبها مزعزع الجبال
ومفزع الليوث فى الدحال (٤)
وقاطع الآجال والآمال
وخاطف الأرواح من أميال
يثور كالبركان فى النزال
فيتبع الأهوال بالأهوال
ويرسل النار على التوالى
فيحطم الهام ولا يبالى
ما كوكب الرجم هوى من عال
قمر كالفكر سرى بالبال
على عنيد مارد محتال
مسترق للسمع فى ضلال
من عالم التسبيح والاهلال
امضى وأنكى منه فى القتال

(١) الابيض السيف والفصال صفة له إذا كان ماضياً (٢) الاسمر الرمح والعسال شديد الاهتزاز (٣) الخال هنا بمعنى الكبرياء والعظمة (٤) الدحال جمع دحل بفتح

إذا سرت قنبلة الوبال
من فمه المحشو بالنكال.
ينذرهم فى ساحة المجال
بالبرق والرعد وبالآجال
ولم يكن كذلك الختال
يحز فى الهام وفى الأوصال
صامت قول ناطق الفعال (١)
رأيته كالقوم فى المثال
مالوا عن القول إلى الأعمال
فامتلكوا ناصية المعالى

الشعر

ضعت بين النهى وبين الخيال ... ياحكيم النفوس يا بن المعالى (٢)
ضعت فى الشرق بين قوم هجود ... لم يفيقوا وأمة مكسال (٣)
قد أذالوك بين أنس وكاس ... وغرام بظبية أو غزال (٤)
ونسيب ومدحة وهجاء ... ورثاء وفتنة وضلال
وحماس أراه فى غير شىء ... وصغار يجر ذيل اختيال (٥)

---

(١) يقول ان المدفع لا يأخذ الناس على غرة بل ينذرهم بلمعته ثم بصوته ثم بالأجل المحتوم ولم يكن فى فعله كذلك السيف الختال الذى يفتك فيهم وهم على حين غفلة من أمرهم فلم يشعروا به إلى وهو يحز فى رقابهم ويقطع فى اوصالهم (٢) النهى جمع نهية وهى العقول (٣) هجود مفردها هاجد وهو النائم والمكسال وصف للمؤنث من الكسل (٤) أذالوه أى أصغروا شأنه وأهانوه (٥) الصغار أى الذل

عشت ما بينهم مذالا مضاعا وكذا كنت فى العصور الخوالى
حملوك العناء من حب ليلى وسليمى ووقفة الأطلال (١)
وبكاء على عزيز تولى ورسوم راحت بهن الليالى
وإذا ما سموا بقدرك يوماً أسكنوك الرحال فوق الجمال (٢)
آن يا شعر أن نفك قيوداً قيدتنا بها دعاة المحال
فارفعوا هذه الكمائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال (٣)

الكساء

لى كساء انعم به من كساء أنا فيه أتيه مثل الكسائى (٤)
حاكه العز من خيوط المعالى وسقاه النعيم ماء الصفاء (٥)
وتبدى فى صبغة من أديم الليل مصقولة بحسن الطلاء
خاطه ربه بابرة يمن أو جروا سمها خيوط الهناء (٦)
فكأنى وقد أحاط بجسمى فى لباس من العلا والبهاء
تكبر العين رؤيتى وترانى فى صفوف الولاة والأمراء
ألف الناس حيث كنت مكانى إلفة المعدمين شمس الشتاء (٧)
يا ردائى وأنت خير رداء أرتجيه لزينة وازدهاء

---

(١) الاطلال جمع طلل وهو ما بقى من آثار الديار وقد قدم عليها العهد
(٢) يشير بذلك إلى مانحن فيه من اتباع طريق العرب فى الشعر من كثرة ذكر العيس والجمال ومناداة الاطلال (٣) الكمائم جمع كمامة بكسر الكاف وهى ما يوضع على فم البعير لئلا يعض أو فم الثور لئلا يأكل (٤) على بن حمزة الكسائى من أئمة النحو عاصر سيبويه (٥) حاك الثوب حوكا وحياكا نسجه (٦) أو جره الشىء أى أدخله فى فمه وسم الابرة ثقبها (٧) المعدمين الفقراء الذين لا يملكون شيئاً فيشتهون فى الشتاء الشمس لتدفئتهم

لا أحالت لك الحوادث لونا وتعدتك ناسجات الجواء (١)
غفلت عنك للبلى نظرات وتخطتك إبرة الرفاء
صحبتنى قبل اصطحابك دهراً بذلة فى تلون الحرباء (٢)
نسبوها لطيلسان ابن حرب نسبة لم تكن بذات افتراء (٣)
كنت فيها إذا طرقت أناساً أنكرونى كطارق من وباء (٤)
كسف الدهر لونها واستعارت لون وجه الكذوب عند اللقاء (٥)
يا ردائى جعلتنى عند قومى فوق ما أشتهى وفوق الرجاء
إن قومى تروقهم جدة الثوب ولا يعشقون غير الرواء (٦)
قيمة المرء عندهم بين ثوب باهر لونه وبين حذاء
قعد الفضل بى وقمت بعزى بين صحبى ، جزيت خير الجزاء (٧)

---

(١) الجواء جمع جو ويريد بالناسجات الرياح إذا هبت على شىء طولا وعرضا
(٢) البذلة بكسر الباء الثوب الرث القديم ضرب له المثل فى استحالة اللون بالحرباء التى لا تثبت على لون واحد (٣) مدح أحد الشعراء بن حرب فخلع عليه طيلساناً رثا قديما فصنع فيه أبياتا كثيرة لامثيل لها فى الرقة والابداع حتى صيره بها مثالا لكل ثوب بال فمنها

يابن حرب كسوتنى طيلساناً مل من صحبة الزمان وصدا
طال ترداده إلى الرفو حتى لو بعشاه وحده لتهدى

(٤) أنكره أى باعده (٥) أى تغير لونه كما يتغير لون وجه الكذوب إذا لقى من افترى عليه (٦) الرواء بتشديد وضم البهجة والنضارة (٧) قعد به أى عجز عن رفع شأنه

الباب الرابع

فى الخمريات

قال يصف الخمر

هذا الظـــلام أثار كامن دائى ... يا ساقيى على بالصـــهباء
بالكاس أو بالطاس أو باثنيهما ... أو بالدنان فان فيـــه شفائى
مشمولة لولا التقى لعجبت من ... تحريمها والذنب للقدماء (١)
قربوا الصلاة وهم سكارى بعدما ... نزل الكتاب بحكمة وجلاء
يازوجة ابن المزن يا أخت الهنا ... يا ضرة الأحزان فى الأحشاء (٢)
يا طب جالينوس فى أنواعه ... مالى أراك كثيرة الأعداء (٣)
عصروك من خدى سهيل خلسة ... ثم اختبأت بمهجة الظلماء (٤)
فلبثت فيها قبل نوح حقبـــة ... وتداولتك أنامل الآناء (٥)
حتى أتاح الله أن تتجملى ... بيد الكريم وراحة الأدباء (٦)

---

(١) المشمولة الخمر أو الباردة منها لأنها تشمل الناس بريحها أو لأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال (٢) المزن السحاب ويدعوها ضرة الأحزان أى أنها إذا دخلت جوف انسان أخرجت الحزن منه فهما كالضرتين من النساء قلما تجتمعان فى مكان واحد وهذا البيت من أحسن ما نوديت به الخمر إلى الآن (٣) جالينوس طبيب مشهور من قدماء اليونان ولد سنة ١٣٠ للميلاد وتوفى سنة ٢١٥

(٤) سهيل هو أجمل نجم فى السماء بعد الشعرى اليمانية لايرى فى مراصد أوربا ويرى فى بلاد العرب من جهة اليمن عالياً ومشرفا متلألئاً ولذلك كان له عند العرب مقام

(٥) قيل أن أول من استخرج الخمر جمشيد ملك الفرس (٦) أى أنها لايشربها إلا كريم أو أديب ولكنها يالاسف كم أسفت بآداب هذا إلى حد الابتذال ونزلت بكرم ذاك إلى ما تحت النعال

ياصاحبي كيف النزوع عن الطلا ... ولقد بليت من الهموم بداء ؟ (١)
والليل أرشده أبوه لشقوتى ... وكذا البنون على هوى الآباء (٢)
ألفت بين ابن السحاب وبينها ... فرأيت صحة ما حكاه الطائى (٣)
« صعبت وراض المزج سيئ خلقها ... فتعلمت من حسن خلق الماء »

وقال فيها أيضاً

وبعث بها إلى كاتب مصر وصفوة أدباء العصر محمد بك المويلحى صاحب جريدة مصباح الشرق الغراء :

أوشك الديك أن يصيح ونفسى ... بين هم وبين ظن وحدس (٤)
يا غلام المدام ، والكاس ، والطا ... س ، وهيء لنا مكانا كأمس (٥)
أطلق الشمس من غياهب هذا الد ... ن واملأ من ذلك النور كأسى (٦)
وآذن الصبح أن يلوح لعينى ... من سناها فذاك وقت التحسى (٧)
وادع ندمان خلوتى وأتناسى ... وتعجل واسبل ستور الدمقس (٨)
واسقنا يا غلام حتى ترانا ... لا نطيق الكلام إلا بهمس
خمرة قيل انهم عصروها ... من خدود الملاح فى يوم عرس
مذ رآها فتى العزيز مناماً ... وهو فى السجن بين هم ويأس
أعقبته الخلاص من بعد ضيق ... وحبته السعود من بعد نحس (٩)

---

(١) نزع عن الشيء انتهى عنه والطلا بكسر الطاء من اسماء الخمر (٢) أبو الليل الدهر
(٣) أى أنه مزجها بالماء فرأى صحة ما قاله فيها الطائى وهو أبو تمام حبيب بن أوس الطائى
(٤) صياح الديك دلالة على قرب الصباح والحدس التخمين والتوهم
(٥) هذا دليل الادمان ورب الكعبة (٦) الغياهب جمع غيهب وهى الظلمة
(٧) التحسى الشرب شيئاً بعد شيء من حسا الطائر الماء إذا شربه لأن شرب الطائر لايكون كرعا بل عباً (٨) يريد بالدمقس الحرير (٩) فتى العزيز هو أحد الفتيين الذين كانا مع يوسف عليه السلام فى سجن العزيز

يا نديمى بالله قـــل لى لمـاذا هذه الخندريس تدعى برجس [١]
هى نفس زكية وأبوها غرسه فى الجنان أكرم غرس
هى نفس تعلمت حسن أخلا ق المويلحى فى صفاء وأنس
خصـه الله حيث يصبح بالاقـ ـبال والعز والعلا حيث يمسى

وقال أيضاً

وقد كتب بها من السودان إلى بعض خلانه :

من واجـد منفر المنـام [٢]
طريد دهر جائر الأحـكام
مشتت الشـمل على الدوام
ملازم للهم والسقام
إليـكم يانزهـة الأنام
وفتيـة الاينـاس والمدام
من أقسموا بألزم الأقسام
بأن يقضوا دولة الظلام
مابين بنت الحان والأنغام [٣]
ومطرب من خيرة الأقوام
أرق من شعر أبى تمـام
ومجلس فى غفـــلة الأيام
قد مل فيـــه كاتب الآثام
تحية كالورد فى الـكمام [٤]

---

(١) الخندريس الخمر والرجس كل شىء قذر (٢) أى حزين (٣) بنت الحان أى المدام
(٤) الكمام بكسر الكاف والاكمام والأكاميم بمعنى واحد جمع كمامة وهى وعاء طلع النخل وغطاء نور الشجر

ازهى من الصحة فى الأجسام
يسوقها شوق اليكم تام (١)
تقصر عنـــه همة الأقلام
ياليت شعرى بعد هذا العـام
اليـكم ترمى بى المرامى
أم ينتوينى رائد الحمـام (٢)
فأنطوى فى هذه الآكام
وتولم الضبع على عظـامى
ولائماً للوحش فى الأظـلام
فان اتى يومى وأودى لامى (٣)
وبات زاد الدود والرغام (٤)
بالله أدعوكم وبالاسلام
أن تذكروا ناظم ذا الكلام
إذا جلستم مجلساً للجـام (٥)
وكان ساقيكم من الآرام (٦)
فى ليلة والبـدر فى تمـام

وقال فيها أيضاً

رسالة من السودان إلى أصدقائه بمصر :

فتية الصهباء خير الشاربين جددوا بالله عهد الغـائبين
واذكرونى عند كاسات الطلا إننى كنت إمام المدمنين (٧)

---

(١) زائد (٢) انتوى الشىء أى حفظه وأبقاه والرائد فى الأصل الذى يرسل فى طلب الكلأ . والمراد به هنا رسول الحمام أى الموت (٣) أودى أى هلك ولام الانسان شخصه (٤) التراب (٥) الاقداح (٦) الغزلان (٧) أدمن الشىء أدامه

واذا ما استنهضتكم ليلة دعوة الخمر فثوروا أجمعين (١)
رب ليل قد تعاهدنا على ما تعاهدنا وكنا فاعلين (٢)
ضيناه ولم نحفل بما سطرت أيدى الكرام الكاتبين (٣)
بين أقداح وراح عتقت ورياحين وولدان وعين (٤)
وسقاة صففت أكوابها بعضها البلور والبعض لجين (٥)
آنست منا عطاشاً كالقطا صادفت ورداً به ماء معين
فمشت بالكاس والطاس لنا مشية الأفراح للقلب الحزين
وتواثبنا إلى مشمولة ذات ألوان تسر الناظرين
عمد الساقى لأن يقتلها وهى بكر أحصنت منذ سنين
ثم لما أن رأى عفتها خاف فيها الله رب العالمين (٦)
وأجلنا الكأس فيما بيننا على الصهباء بتنا عاكفين (٧)
وشفينا النفس من كل رشاً نطقت عيناه بالسحر المبين (٨)
وطوى مجلسنا بعد الهنا وانشراح الصدر تكبير الأذين (٩)

يريد أنه من أكبرهم تهافتاً على شرب الخمر (١) ثار أى نهض (٢) لو أن لى فى الأمر شيئاً لأقمت عليه الحد باقراره (٣) لقد سئمت النفس ومل اليراع من الاشارة إلى مثل هذا الهزل الذى نأمل أن ينتهى بانتهاء هذا الباب (٤) العين جمع عيناء وهى الغادة الواسعة العين (٥) أكواب جمع كوب وهو الكوز الذى لاعروة له . يريد بها الاقداح واللجين الفضة (٦) يريد بالقتل هنا المزج بالماء قال حسان بن ثابت فى جاهليته :

ان التى ناولتنى فرددتها قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

قتلت الاولى أى مزجت والثانية دعاء على الساقى بالقتل (٧) الصهباء خمر العنب الأبيض (٨) الرشا هو ولد الظبية وقد تحرك ومشى يريد به كل ذى ملاحة وجمال (٩) أى أن تكبير الاذان لطلوع الفجر قد طوى مجلسهم وصرفهم إلى منازلهم قال فى القاموس الاذان والاذين والتأذين واحد .

هكذا كنا بأيام الصفا ننهب اللذات فى الوقت الثمين
ليت شعرى هل لنا بعد النوى من سبيل للقا أم لات حين (١)

وقال أيضاً يداعب صديقاً له :

خمرة فى بابل قد صهرجت هكذا أخبر حاخام اليهود (٢)
أودعوها جوف دن مظلم ولديه بشروها بالخلود
سألوا الكهان عن شاربها وعن الساقى وفى أى العهود
فأجابهم فتى ذى مرة من بنى مصر له فضل وجود (٣)
مغرم بالعود والناى معا مولع بالشرب والناس هجود
همه فصد دنان وندى وأبوه همه جمع النقود (٤)

وقال بديهاً يصف مجلساً ضمه وبعض إخوانه :

وفتيان أنس أقسموا أن يبددوا جيوش الدجى ما بين أنس وأفراح
فهبوا إلى خمارة قيل إنها قعيدة خمر تمزج الروح بالراح (٥)
وقالوا لها إنا أتينا على ظما نحاول ورد الراح رغما عن اللاحى
فقامت وفى أجفانها كسل الكرى
وفى ردفها واستعرضت جيش أقداح

---

(١) التاء فى لات زائدة وقيل بل هى أصلية مع لا بمعنى ليس ولا تأتى إلا مع الحين وفى البيت الاكتفاء أى أم لات حين لقاه (٢) صهرجت أى وضعت فى الصهاريج وهى الاحواض (٣) المرة بكسر الميم وفتح وتشديد الراء العقل والاصالة
(٤) همه ثقب الدن واهراق ما به من خمر فكأنما هو يقصد عرقاً فيسيل ما به من دم
(٥) الخمارة بائعة الخمر ويريد بقعيدة الخمر قديمة العهد ببيعها

AMERICAN UNIVERSITY IN CAIRO
LIBRARY

الباب الخامس

فى المراثى

قال يرثى المرحوم عثمان بك السيد أباظه :

ردا كؤوسكما عن شبه مفؤود فليس ذلك يوم الراح والعود (١)
ياساقيي أرانى قد سكنت إلى ماء المدامع عن ماء العناقيد (٢)
وبت يرتاح سمعى حين يفتقه
صوت النوادب لاصوت الأغاريد (٣)
فأمسكا الراح إنى لا أخامرها وبلغا الغيد عنى سلوة الغيد (٤)
ثم امضيا ودعانى إننى رجل قد آل أمرى إلى هم وتسهيد
أبعد عثمان أبغى مأربا حسناً من الحياة وحظا غير منكود
إنى ليحزننى أن جاء ينشده داعى المنون وأنى غير منشود
أمست تنافس فيك الشهب من شرف
أرض توازيت فيها يا فتى الجود (٥)
لو لم تكن سبقتك الأنبياء لها قلنا بأنك فيها خير ملحود
وودت الريح لو كانت مسخرة لحمل نعشك عن هام الأماجيد (٦)
والشمس لو أنها من أفقها هبطت وآثرت معك سكنى القفر والبيد (٧)

---

(١) المفؤود الذى أصيب فى فؤاده (٢) سكن إلى الشىء أى مال واسترسل اليه
(٣) الأغاريد أى الأغانى (٤) خامر الشىء أى خالطه والخمر شربها
(٥) نافس أى باهى وبارى وفاخر (٦) الأماجيد كالأماجد جمع ماجد
(٧) آثر الشىء أى فضله

وقد تمنى الضحى لو أنهم درجوا هذا الفقيد بثوب منه مقدود
يا راحلا أكبرتك الحادثات وما أكبرتها عند تليين وتشديد (١)
أبكيت حتى العلا والمكرمات وما جفت عليك مآقى الخرد والخود (٢)
وبات آلك والأصحاب كلهم عليك ما بين محزون ومعمود (٣)
يبكون فقد امرىء للخير منتسب بالبشر منتقب فى الناس محمود
بنى أباظة لا زالت دياركمو أفق البدور وغابا للصناديد (٤)
لا قدر الله بعد اليوم تعزية إلا هنـــاء على عز وتخليد
وعظم الله فى عثمان أجركمو فى رحمة الله أمسى خير مغمود

وقال راثياً فقيد مديرية الشرقية وعميد الأسرة الأباظية
المرحوم سليمان باشا أباظه

لا والأسا وتلهب الأحشاء ما بات بعـــدك معجب بوفاء
أنى حللت أرى عليك مآتماً فلمن أوجه فيك حسن عزائى ؟
لبنيك ؟ أم لذويك ؟ أم للكون ؟ أم للدهر ؟ أم لجماعة الجوزاء (٥)
اودى سليمان فأودى بعده حسن الوفاء وبهجة العلياء
لا تحملوه على الرقاب فقد كفى ماحملت من منة وعطاء
وذروا على نهر المدامع نعشه يسرى به للروضة الفيحاء
تالله لو علمت به أعواده مذ لامسته لأورقت للرائى

---

(١) أكبر الشىء أى استعظمه فهابه (٢) الخرد بضم فتشديد جمع خريد أو خرود وهى الفتاة البكر الكثيرة السكوت من الحياء وهو نادر لأن فعيلة لا تجمع على فعل والاصح خرائد وخرد بضم الراء الخفيفة والخود جمع خود بفتح فسكون وهى الفتاة الناعمة (٣) المعمود المحزون والمضنى (٤) الصناديد جمع صنديد وصندد بكسر الصاد والدال السيد الشجاع (٥) الجوزاء عند الأفرنج كوكبة وعند العرب البرج الثالث من البروج التى هى عبارة عن اثنى عشر قسما متساوية من دائرة وهمية فى الفلك تتم فيها حركة السيارات.

خلق كضوء البدر، أو كالروض، او كالزهر، أو كالخمر، أو كالماء
وشمائل لو مازجت طبع الدجى ما بات يشكوه المحب النائى
ومحامد نسجت له أكفانه من عفة، وسماحة، وإباء
ومناقب لولا المهابة والتقى قلنا مناقب صاحب الاسراء
وعزائم كانت تفل عزائم ال أحداث، والأيام، والأعداء
عطلت فن الشعر بعدك وانطوى أجل القريض وموسم الشعراء
واللؤلؤ استعصى علينا نظمه بسموط مدح أو سموط هناء
إلا على طرف بكاك وشاعر أحيا عليك مراثى الخنساء (١)
شوقتنا للترب بعدك واشتهى فيه الاقامة واحد العذراء (٢)
ثبت فؤادك يا قليل تصبرى واشرح لآل أباظة برحائى (٣)
فى جنة الفردوس بات عزيزهم ضيفاً بساحة أكرم الكرماء

وقال يرثيه أيضا

أيهذا الثرى إلام التمادى بعدهذا أأنت غرثان صادى (٤)
أنت تروى من مدمع كل يوم وتغذى من هذه الأجساد
قد جعلت الأنام زادك فى الدهـ ـر وقد آذن الورى بالنفاد
فالتمس بعده المجرة ورداً وتزود من النجوم بزاد (٥)
لست أدعوك بالتراب ولكن بقدود الملاح والأجياد
بخدود الحسان، بالأعين النجـ ـل، بتلك القلوب والأكباد (٦)

---

(١) الخنساء هى تماضر بنت عمرو بن الحرث وتكنى أم عمرو والخنساء لقب غلب عليها ومعناه الظبية (٢) واحد العذراء عيسى المسيح عليه السلام (٣) البرحاء بالمد شدة الاذى والشجن والعناء (٤) غرثان أى جائع وصاد أى ظمآن

(٥) أى اذا نطوى فيك كل من على الارض حتى لم تجد من يرويك بدمعه أو يغذيك بجسمه فعليك أن استطعت بالسماء لترتوى من نهرها وتغتذى بنجومها (٦) أى ولكن أدعوك بقدود الملاح التى دفنت فيك عيونها ونهودها لانها قد امتزجت بأجزائك وصارت

لم تلدنا حواء إلا لنشقى ليتها عاطل من الأولاد
أسلمتنا إلى صروف زمان ثم لم توصها بحفظ الوداد
أيها اليم كم بقاعك نفس فيك أودت من عهد ذى الأوتاد
قد تحالفت والتراب علينا وتقاسمتما فناء العباد
خبرينا جهين لا تكذبينا ما الذى يفعل البلا بالجواد[1]
كيف أمسى وكيف أصبح فيه ذلك المنعم الكثير الرماد[2]
رحم الله منه لفظا شهيا كان احلى من رد كيد الأعادى
رحم الله منه طرفا تقيا ويمينا تسيل سيل الغوادى[3]
رحم الله منه شهما وفيا كان ملء العيون فى كل ناد
ألهم الله فيك صبراً جميلا كل من بات ناطقا بالضاد
بت فى حلة النعيم وبتنا فى ثياب من الأسى والسهاد
وسكنت القصور فى بيت خلد وسكنا عليك بيت الحداد

وقال يرثى فقيدة الجاه والعلاء فيكتوريا ملكة
بريطانيا العظمى وامبراطورة الهند

أعزى القوم لو سمعوا عزائى وأعلن فى مليكتهم رثائى
وأدعوا الانجليز إلى الرضاء بحكم الله جبار السماء
فكل العالمين إلى فناء

أشمس الملك أم شمس النهار هوت أم تلك مالكة البحار؟
فطرف الغرب بالعبرات جارى وعين اليم تنظر للبخار
بنظرة واجد قلق الرجاء

وإياك كالشىء الواحد (١) يريد جهينة وهى قبيلة من قضاعة (٢) الرماد بالفتح المعروف (٣) الغوادى جمع غادية وهى السحاب

أمالكة البحار ولا أبالى إذا قالوا تغالى فى المقال
فمثل علاك لم أر فى المعالى ولا تاجاً كتاجك فى الجلال
ولا قوماً كقومك فى الدهاء

ملأت الأرض أعلاما وجندا وشدت لأمة السكسون مجدا
وكنت لفألها يمناً وسعدا ترى فى نور وجهك إن تبدى
سعود البدر فى برج الهناء

وكنت إذا عمدت لأخذ ثار أسلت البر بالأسد الضوارى[1]
وسيرت المدائن فى البحار وأمطرت العدو شواظ نار[2]
وذريت المعاقل فى الهواء[3]

أعزى فيك تاجك والسريرا أعزى فيك ذا الملك الكبيرا
أعزى فيك ذا الأسد الهصورا[4]
على العلم الذى ملك الدهورا
وظل تحته أهل الولاء

أعزى فيك أبطال النزال ومن قاسوا الشدائد فى القتال
وألقوا بالعدو إلى الوبال ولم يمنعهم فوق الجبال
لهيب الصيف أو قر الشتاء[5]

---

(١) استعار سيلان السيول على وجه الأرض لرجال الحرب المعبر عنهم بالاسد حتى أفاد أن البر قد امتلأ منهم كما يغمر بالسيل (٢) شواظ النار دخانها وحرها وقيل لهيبها والاستعارة فى أمطرت كما فى أسلت (٣) ذرى الشىء أى أطاحه متفرقاً فى الهواء والمعاقل جمع معقل وهو الملجأ ويريد به الحصن (٤) الهصور الكاسر (٥) القر بضم القاف وتشديد الراء برد الشتاء خاصة

الباب السادس

﴿ فى المقطعات ﴾

(تنبيه) لما كنا لم نوفق قبل الآن لتدوين أقوالنا فأضعنا كثيرا من القصائد المطولة لم نر بدأ من أثبات ما بقى فى الذاكرة من أبياتها مضافا الى مافى هذا الباب من المقطعات مع الاشارة الى ذلك فى محله

العلمان على أطلال الخرطوم

رويدك حتى يخفق العلمان ... وننظر ما يجرى به الفتيان (١)
فما مصر كالسودان لقفة جائع ... ولكنها مرهونة لأوان
دعانى وما أرجفتما باحتماله ... فانى بمكر القوم شق زمانى (٢)
أرى مصر والسودان والهند واحدا ... بها اللورد والفيكونت يستبقان
وأكبر ظنى أن يوم جلائهم ... ويوم نشور الخلق مقترنان (٣)
إذا غاضت الامواه من كل مزبد ... وخرت بروج الرحم للحدثان (٤)
وعاد زمان السمهرى وربه ... وحكم فى الهيجاء كل يمانى (٥)
هناك اذكرا يوم الجلاء ونبها ... نياما عليهم يندب الهرمان

---

(١) الفتيان الليل والنهار (٢) ارجف الرجل بالحديث خاض فيه والشق بكسر الشين الكاهن وشق وسطيح كاهنان اشتهر عنهما علم الغيب (٣) أى لا جلاء الا يوم القيامة (٤) غاض الماء قل ونقص حتى نضب وحدثان الدهر بفتح الحاء وسكون الدال أو بخفض فسكون نوائبه (٥) السمهرى الرمح الصلب نسبة الى رجل من العرب اسمه سمهر كان مشهوراً بصنع الرماح واليمانى السيف .

وقال فى غرض له

ظبى الحمى بالله ما ضركا إذا رأينا فى الكرى طيفكا
وما الذى تخشاه لو أنهم قالوا فلان قد غدا عبدكا
قد حرموا الرق ولكنهم ما حرموا رق الهوى عندكا
وأصبحت مصر مراحاً لهم وأنت فى الاحشا مراح لكا
ماكان سهلا أن يروا نيلها لو أن فى أسيافنا لحظكا

وقال فى الفونوغراف

وجدوا السبيل إلى التقاطع بيننا والسمع يملكه الكذوب الحاذق
لاتجعلى الواشين رسلك فى الهوى فلأصدق الرسل الجماد الناطق

وقال فى الجرائد اليومية

جرائد ما خط حرف بها لغير تفريق وتضليل
يحلو بها الكذب لأربابها كأنها أول ابريل (١)

وقال معرباً لحكمة ظفر بها .

فى أقوال جان جاك روسو الفيلسوف الفرنسوى الشهير

خلقت لى نفساً فأرصدتها للحزن والبلوى وهذا الشقاء
فامنن بنفس لم يشبها الأسى لعلها تعرف طعم الهناء

وقال فى مليح رأى له خالا على غرته

سألته ما لهذا الخال منفرداً واختار غرتك الغرا له سكنا
أجابنى خاف من سهم الجفون ومن نار الخدود لهذا هاجر الوطنا (٢)

وكتب لصديق له

أخى والله قد ملىء الوطاب وداخلنى بصحبتك ارتياب
رجوتك مرة وعتبت أخرى فلا أجدى الرجاء ولا العتاب

---

(١) أول ابريل يوم يباح فيه الكذب عند الافرنج (٢) أى هاجر الخد الذى هو وطنه

نبذت مودتى فاهنأ ببعدى فآخر عهـــدنا هذا الكتاب

وقال من قصيدة طويلة لم يعثر فكره منها على غير هذه الأبيات

أقضيه فى الأشواق إلا أقله بطىء سرى أبدى إلى اللبث ميله
وليس اشتياقى عن غرام بشادن ولكنه شوق امرىء فات أهله
فيالك من ليـــل أعرت نجومه توقد أنفاسى وعانيت مثله
ومل كلانا من أخيه وهكذا إذا طال عهد المرء بالشىء مله

وقال مقرظاً جريدة مصباح الشرق الغراء فى رسالة بعث بها إلى صاحبها الفاضل أوحد العصر فى الكتابة والبراعة سعادة ابراهيم بك المويلحى

أهل الصحافة لا تضلوا بعده فسماؤكم قد زانها المصباح
الحق فيه زيته وفتيله [1] صدق الحديث ونوره الاصلاح

وقال مودعا صديقه الأديب كاتب الشرق وساجعه محمد بك المويلحى صاحب مقامات عيسى بن هشام حين سفره إلى معرض باريس

يا كاتب الشرق ويا خير من تتلو بنو الشرق مقاماته
سافر وعد يحفظك رب الورى وابعث لنا عيسى بآياته

وقال فيه عند أوبته

من لم ير المعرض فى اتساع وفاته ما فيه من إبداع
فمعرض القوم بلا نزاع فى نفثة من ذلك اليراع

وقال مقرظاً كتاب فحول البلاغة لجامعه سماحة السيد توفيق البكرى

هذا كتاب مذ بدا سره للناس قالوا معجز ثانى
أثابك الله على جمعه ثواب عثمان بن عفان

وقال من قصيدة يرثى بها المرحوم محمود افندى الحمولى نجل فقيد

---

(١) ليس للسراج فتيل وانما فتيلة ولكنه أراد بالفتيل مطلق الخيط الرفيع

السرور والانشراح موسيقى مصر الشهير المرحوم عبده افندى الحمولى وقد مات بعد قرانه بقليل

شوقتمانى أيها الفرقدان ... لبدر تم غاب قبل الأوان
وكلما أشرقتما مرة ... علمتما عينى نظم الجمان
على عزيز قد تولى ولن ... يؤوب حتى يرجع القارظان
أعجلت يا محمود فى رحلة ... قرت بها أعين حور الجنان
كأنما آخر عهد الهنا ... قد كان منا ليلة المهرجان

وكتب إلى حضرة الفاضل رفعت بك وكيل مصلحة السجون

أهنيك أم أشكو فراقك قائلا ... أياليتنى كنت السجين المصفدا (١)
فلو كنت فى عهد ابن يعقوب لم يقل ... لصاحبه اذكرنى ولا تنسنى غدا (٢)

وكتب إلى صديقه الأديب محمد بك عبده البابلى

نمى يا بابلى إليك شوقى ... وعينى لازمت سكب الدموع
ولو أنى تركت سراح قلبى ... لطار إليك من قفص الضلوع

ووجه إلى مقام صاحب الفضيلة مولانا الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية بهذين البيتين

لقد بت محسودا عليك لأننى ... فتاك، وهل غير المنعم يحسد؟
فلا تبلغ الحساد منى شماتة ... ففعلك محمود وأنت محمد

وقال يشبه طول الليل بالاحتلال

ياساهد النجم هل للصبح من خبر؟ ... إنى أراك على شىء من الضجر
أظن ليلك مذ طال المقام به ... كالقوم فى مصر لا ينوى على سفر

وقال يداعب خليلا له يتجر بالكتب

---

(١) المصفد المقيد (٢) يشير إلى قول يوسف عليه السلام لصاحبه فى السجن وقد ظن أنه ناج « اذكرنى عند ربك »

أديم وجهك يازنديق لو جعلت منه الوقاية والتجليد للكتب
لم يعلها عنكبوت أينما تركت ولا تخاف عليها سطوة اللهب

وقال مرتجلا وقد اقترح عليه المعنى

أذنتك ترتابين فى الشمس والضحى وفى النور والظلماء والأرض والسما
ولا تسمحى للشك يخطر خطرة بنفسك يوما أننى لست مغرما

وقال فى ملك ذكره بعض رعاياه بالضعف والوهن

لا تعجبوا فمليككم لعبت به أيدى البطانة وهو فى تضليل
إنى أراه كأنه فى رقعة الشـــطرنج أو فى قاعة التمثيل (١)

وقال فى رجل مفرط الضخامة عظيم البطن

عطلت فن الكهرباء فلم نجد شيئا يعوق مسيرها إلا كا
تسرى على وجه البسيطة لحظة فتجوبها وتحار فى أحشا كا

وكتب يهنئ سعادة على بك حيدر مدير بنى سويف بعيد الاضحى

لله عيد كبير يزهو بنور جبينك
لم تقتبله البرايا إلا للثم يمينك

وقال فى غرض له

ما لهذا النجم فى السحر قد سها من شدة السهر
خلتـــه يا قوم يؤنسنى إن جفانى مؤنس السحر
يا لقومى إننى رجـــل أفنت الأيام مصطبرى
أسهرتنى الحادثات وقد نام حتى هاتف الشجر (٢)
والدجى يخطو على مهل خطو ذى عز وذى خفر (٣)

---

(١) انما يريد بذلك آخر ملوك بنى أمية بالاندلس وقد أخبروه بمفاجأة العدو للمدينة وهو لاه يلعب بالشطرنج فقال لهم اليكم عنى حتى انتهى من اللعب

(٢) الطير (٣) الدجى لايخطو ولكن العرب قد ألفوا التعبير بفعل الانسان

فيه شخص اليأس عانقنى كحبيب آب من سفر
وأثارت بى فوادحه كامنات الهم والكدر
وكأن الليل أقسم لا ينقضى أو ينقضى عمرى
يا الزنجى مالك لم تخش فينا خالق البشر
لى حبيب هاجر وله صورة من أبدع الصور
أتلاشى فى محبته كتلاشى الظل فى القمر

وكتب يعزى سعادة الفاضل رب الشعر وسلطان الكلام
محمود باشا سامى البارودى فى إحدى كريماته

وديعة ردت إلى ربها ومالك الأرواح أولى بها
ألم يكن صبرك فى بعدها يربو على شكرك فى قربها

وقال يرثى المرحوم حبيب باشا المطران عم حضرة الكاتب الأديب
صديقنا الفاضل خليل أفندى المطران صاحب المجلة المصرية

أعزى فيك أهلك أم أعزى عفاة الناس أم همم الكرام
وما أدرى أركن الجاه أودى وقد أوديت أم ركن الشآم

وقال من رسالة :

قالت الجوزاء حين رأت جفنه قد واصل السهرا
ما لهذا الصب فى وله أتراه يعشق القمرا

وقال أيضاً :

أنا العاشق العانى وإن كنت لا تدرى أعيذك من وجد تغلغل فى صدرى
خليلى هذا الليل فى زيه أتى فقم نلتمس للسهد درعا من الصبر (١)
وهذا السرى نحو الحمى يستفزنا فهيا وإن كنا على مركب وعر (٢)

عن الجماد وكل غير مميز وذلك من توسع فى المجاز والاستعارة قال الراجز « امتلأ الحوض وقال قطنى » (١) فى زيه أى فى ظلامه . أى أنه . غير مقمر (٢) أى وان كنا سنلاقى فى ذلك السير مصاعب وأهوالا غير قليلة

خليلى هذا الليل قد طال عمره ... وليس له غير الأحاديث والذكر
فهات لنا أذكى حديث وعيته ... ألذ به ان الاحاديث كالخمر

وكتب يعاتب صديقه محمد بك عبده البابلى ويداعبه

أدلال ذاك أم كسل ... أم تناس منك أم ملل
أم غريق أنت فى جزل ... أم بكاسات الهنا ثمل
أم وقاك الله فى كدر ... أم على الاعذار متكل (١)
أم مشوق ومغرم وله ... شفه التشبيب والغزل
أم غنى بات يشغله ... ماله والكسب والأمل
أم وشى واش اليك بنا ... فاحتواك الشك يابطل (٢)
قد مضى شهر وأعقبه ... ضعفه والفكر مشتغل
لا كتاب منك يطفىء ما ... فى فؤادى بات يشتعل
لا ولا رد يعللنى ... أو على التسليم يشتمل
يا صديقى لا مؤاخذة ... أنت يابن البابلى . . ل (٣)

وقال من قصيدة وطنية لم نظفر منها بغير هذه الأبيات

لم يبق شىء من الدنيا بأيدينا ... الا بقية دمع فى مآقينا
كنا قلادة جيد الدهر وانفطرت ... وفى يمين العلا كنا رياحينا
كانت منازلنا فى العز شامخة ... لا تشرق الشمس الا فى مغانينا
وكان أقصى منى نهر المجرة لو ... من مائه مزجت أقداح ساقينا
والشهب لو أنها كانت مسخرة ... لرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصروف الدهر ترمقنا ... شزراً وتخدعنا الدنيا وتلهينا

---

(١) قوله « وقاك الله » حشو فى غاية الحسن وهو من باب الاحتراس الممدوح
(٢) و (٣) النكتة فيهما ظاهرة عامية ولكنه أتى بهما فأوقعهما أحسن موقع

حتى غدونا ولا جاه ولا نشب ولا صديق ولا خل يواسينا

وقال مرتجلا فى جندى مليح وقد اقترح عليه ذلك

ومن عجب قد قلدوك مهندا وفى كل لحظ منك سيف مهند
اذا أنت قد جردته أو غمدته فكنت به واللحظ لا يتعمد

وقال مشيراً ليوم كان قد ضربه بعض ثراثرة الفرنسيس أجلا لجلاء الانجليز عن مصر

كم حدودا يوم الجلاء الذى أصبح فى الابهام كالمحشر
وسن قوم الطيش من جهلهم كذبة ابريل لا كتوبر

وقال فى غرض له

هنا يؤثر الانسان ظلمة رمسه على ظلمة الظلم الذى قد تجسما
وقالوا أساس الملك عدل فما لنا نرى ملكهم منذ انتشى ماتهدما

وكتب ذلك أيضاً من رسالة

هنا يستغيث الطرس والنقس والذى يخط ومن يتلو ومن يتسمع (١)
مخاز وما أدرى إذا ما ذكرتها إلى الحمد أدعى أم إلى اللوم أدفع

وقال أيضاً

لقد كانت الأمثال تضرب بيننا بجور سدوم وهو من أظلم البشر
فلما بدت فى الكون آيات ظلمهم إذا بسدوم فى حكومته عمر (٢)

وكتب إلى صديقه الفاضل محمد بك سليمان أباظة سنة ١٨٩٥ من قصيدة طويلة فقد أكثر أبياتها فألفنا بين الباقى كما ترى :

---

(١) الطرس بالكسر الصحيفة والنقس المداد (٢) سدوم هى احدى مدائن قوم لوط الخمس التى أمطر الله تعالى عليها ناراً وكبريتاً فدمرها لجور أهلها وكفرهم . وقال ابو منصور ان قاضيها الذى كان يضرب به المثل فى الظلم كان يدعى بسدوم أيضاً فقيل أظلم من قاضى سدوم وقيل أظلم من سدوم وهو المراد هنا وعمر هو عمر بن الخطاب رضى الله عنه

طال الحديث عليكم أيها السمر ... ولاح للنوم فى أجفانكم أثر (١)
وذلك الليل قد ضاعت رواحله ... فليس يرجى لها من بعدها سفر (٢)
هذى مضاجعكم يا قوم فالتقطوا ... طيب الكرى بعيون شابها السهر
هل ينكر النوم جفن لو أتيح له ... إلا أنا ونجوم الليل والقمر
أبيت أسأل نفسى كيف قاطعنى ... هذا الصديق ومالى عنه مصطبر
فما مطوقة قد نالها شرك ... عند الغروب إليه قد ساقها القدر
باتت تجاهد هما وهى آيسة ... من النجاة وجنح الليل معتكر
وبات زغلولها فى وكرها فزعا ... مروعا لرجوع الأم ينتظر
يحفز الخوف أحشاه وتزعجه (٣)
إذا سرت نسمة أو وسوس الشجر (٤)
منى بأسوأ حالا حين قاطعنى ... هذا الصديق فهلا كان يدكر
يا بن الكرام أتنسى أننى رجل ... لظل جاهك بعد الله مفتقر
اننى فتاك فلا تقطع مواصلتى ... هبنى جنيت فقل لى كيف أعتذر

وبعث اليه أحد أدباء الأطباء وهو صديق حميم له بقصيدة عدد أبياتها تسعون بيتاً يداعبه بها وطلب منه أن يجيبه على وزنها ورويها على سبيل المداعبة أيضاً واشترط عليه أن لا يأتى فى رويها بكلمة يكون قد أتى هو بها فى قوافيه فقال مجيباً له على مافى ذلك من صعوبة لا تخفى :

---

(١) السمر حديث الليل ويريد به الصحاب المسامرين قال الله تعالى « واسأل القرية التى كنا فيها » والمسئول أهل القرية (٢) ضاعت رواحله أى ركائبه يعنى بذلك طول الليل فشبهه بالضيف الذى ضاعت مطيته فتأخر عن المسير

(٣) حفزه أى أزعجه (٤) لا يقال وسواس الشجر بل حفيفه وهو صوت حركة أغصانه والوسواس لا يقال الا عن صوت الحلى وحركة جناح الطائر وصوت الحية اذا كان من جلدها واما اذا كان الصوت من فيها فهو الفحيح .

وافى كتـــابك يزدرى بالدر أو بالجوهر
فقرأت فيـــه رسالة مزجت بذوب السكر
أجريت فى أثنائها نهر انسجام الكوثر
وفرطت بين سطورها منظوم تاج القيصر
وخبأت فى ألفاظها من كل معنى مسكر
فترى المعانى الفارسية فى مغانى الأسطر
كالغانيات تقنعت خوف المريب المجترى
معنى الذ من الشما تة بالعدو المدبر
أو من عتاب بين مح بوب وحب معذر (١)
أو فترة اضاعها ال قامر عند الميسر
أو مجلس للخمر معـ قود بيوم ممطر
تسعون بيتا شدتها فوق سنان السمهرى
والسمهرىّ قـــلم فى كف ليث قسور
أقفى القوافى كيف أنـ ت فقد أطلت تحسرى
أترى أراك أم اللقا ء يكون يوم المحشر
ما كان ظنى أن تعيـ ش أيا لئيم المكسر (٢)
ولقد قذفت إلى الجحـ يم وبئس عقبى المنكر
تالله لو أصبحت أفـ لاطون تلك الأعصر
وغدا أبقراط ببا بك كالعديم المعسر
وبرعت جالينوس او لقمان بين الحضر
ما كنت إلا تافه ال آداب عند المعشر

(١) مقصر (٢) لئيم المكسر هو الذى يظهر لؤمه بعد الاختبار

غفرانك اللهم إ ... نى من ظلامته برى
سويته كالكركد ... ن وجاءنا كالأخدرى (١)
وجه ولا وجه الخطو ... ب وقامة لم تشبر (٢)
ومن العجائب أن مث ... ل لسانه لم يبتر (٣)
كم بات يلتحم العرو ... ض وجاء بالأمر الفرى (٤)
فافعل به اللهم كالـ ... ـنمرود فهو بها حرى
وانزل عليه السخط إن ... أمسى ولم يستغفر
فهو الذى ابتدع الربا ... وأقام ركن الفجر
وأقام دين عبادة الـ ... ـدينار بين الأظهر
ولقد عجبت لبخله ... ولكفه المستحجر
لا يصرف السحتوت ... إلا وهو غير مخير
لو أن فى إمكانه ... عيشاً بغير تضور (٥)
لاختار سد الفتحتيـ ... ـن وقال يا جيب احذر

وطلب إليه أن ينظم على لسان أحد المشايخ الصوفية أبياتاً يستعطف بها محبوبا له نافراً فقال :

أخرق الدف لو رأيت شكيبا ... وافض الأذكار حتى يشيبا (٦)
هو ذكرى وقبلتى وإمامى ... وطبيبى إذا دعوت الطبيبا
لو ترانى وقد تعممت قتلى ... بالتنائى رأيت شيخا حريبا (٧)
كان لا ينحنى لغيرك إجلا ... لا ولا يشتهى سواك حبيبا

---

(١) الاخدرى هو حمار الوحش (٢) لم تشبر أى لم تقس بالشبر لشدة قصرها (٣) يبتر أى يقطع (٤) أى يسب الأعراض ويشتمها (٥) التضور هو التألم من شدة الجوع (٦) الدف بالضم أو الفتح والأول أصح نوع من الطبل يضرب به فى الأذكار (٧) الحريب هو المسلوب

لا تعيبن يا شكيب دبيبى إنما الشيخ من يدب دبيبا (١)
كم شربت المدام فى حضرة الشيـ ـخ جهارا وكم سقيت الحليبا
فسلوا سبحتى فهل كان تسبيـ ـحى فيها إلا شكيبا شكيبا
وإذا أدنف الشيوخ غرام كنت فى حلبة الشيوخ نقيبا
عد إلينا فقد أطلت التجافى واركب البرق إن أطقت الركوبا
وإذا خفت ما يخاف من اليمـ ـم فرشنا لأخمصيك القلوبا
ودعونا بساط صاحب بلقيـ ـس فلبى دعاءنا مستجيبا (٢)
وأمرنا الرياح تجرى بأمر منك حتى نراك منا قريباً

وقال لساعته وقد مر بمنزل صديقه سلالة المجد عبد الله بك أباظه ورأى به حريقا :

عجب الناس منك يا ابن سليما ن وقد أبصروا لديك عجيبا
أبصروا فى حماك غيثا ونارا ذاك يهمى وتلك تزكو لهيبا
ونسوا أن جود كفك غيث ظـل للمرتجى الورود قريبا
وهى ضيف أصابه عنت الدهـ ـر وألفى هذا الفناء رحيبا
فأتى يبرد الغليل بقطر من ندى سيد يواسى الغريبا

وكتب إلى صديقه حضرة أحمد بك شوقى شاعر الحضرة الفخيمة الخديوية يودعه حين سفره إلى مؤتمر العلوم الشرقية ببرلين :

يا شاعر الشرق اتئد ماذا تحاول بعد ذاك
هذى النجوم نظمتها درر القريض وما كفاك
والبدر قد علمته أدب المثول إذا رآك

---

(١) أخذ ذلك من قول بعضهم :

زعمتنى شيخا ولست بشيخ انما الشيخ من يدب دبيباً

وفيه ما فيه (٢) صاحب بلقيس سليمان عليه السلام وبلقيس هى ملكة سبأ المشهورة قصتها مع ذلك النبى الكريم .

وسموت فى أفق السعو د فكدت تعثر بالسماك
وحباك عباس المحا مد بالمواهب واصطفاك
ودعتك مصر رسولها للغرب مذ عرفت علاك
فارحل وعد بوديعة الر حمن أنت وصاحباك

غادة اليابان

لا تلم كفى إذا السيف نبا (١) صح منى العزم والدهر أبى
رب ساع مبصر فى سعيه أخطأ التوفيق فيما طلبا
مرحباً بالخطب يبلونى إذا كانت العلياء فيه السببا
عقنى الدهر ولولا أننى أوثر الحسنى عققت الأدبا
إيه يا دنيا اعبسى أو فابسمى لا أرى برقك إلا خلبا (٢)
أنا لولا أن لى من أمتى خاذلا ما بت أشكو النوبا
أمة قد فت فى ساعدها (٣) بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب فى غير العلا وتفدى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها أم بها صرف الليالى لعبا
ليتها تسمع منى قصة ذات شجو وحديثا عجبا (٤)
كنت أهوى فى زمانى غادة وهب الله لها ما وهبا
ذات وجه مزج الحسن به صفرة تنسى اليهود الذهبا
حملت لى ذات يوم نبأ لا رعاك الله ياذا النبآ
وأتت تخطر والليل فتى وهلال الأفق فى الأفق حبا

---

(١) نبا السيف كل (٢) البرق الخلب المطمع المخلف (٣) فت فى ساعدها أضعفها (٤) ذات شجو ذات هم وحزن.

ثم قالت لى بثغر باسم ... نظم الدر به والحببا (١)
نبئونى برحيل عاجل ... لا أرى لى بعده منقلبا
ودعانى موطنى أن أغتدى ... علنى أقضى له ما وجبا
نذبح الدب ونفرى جلده (٢) ... أيظن الدب أن لا يغلبا
قلت والآلام تفرى مهجتى ... ويك ماتصنع فى الحرب الظبا ؟
ما عهدناها لظبى مسرحا ... يبتغى ملهى به او ملعبا
ليست الحرب نفوساً تشترى ... بالتمنى او عقولا تستبى
أحسبت القد من عدتها ... أم ظننت اللحظ فيها كالشبا (٣)
فسلينى إننى مارستها ... وركبت الهول فيها مركبا
وتقمحت الردى فى غارة ... اسدل النقع عليها هيدبا (٤)
قطبت ما بين عينيها لنا ... فرايت الموت فيها قطبا
جال عزرائيل فى انحائها ... تحت ذاك النقع يمشى الهيدبى (٥)
فدعيها للذى يعرفها ... والزمى ياظبية البان الخبا
فأجابتنى بصوت راعنى ... وارتنى الظبى ليثا أغلبا
إن قومى استعذبوا ورد الردى ... كيف تدعونى أن لا أشربا
أنا يا بانيـــــة لا أنثنى ... عن مرادى أو أذوق العطبا (٦)
أنا إن لم أحسن الرمى ولم ... تستطع كفاى تقليب الظبا (٧)

---

(١) الحبب بفتح الحاء وكسرها تنضد الانسان (٢) تفرى تشق (٣) الشبا حد السيف
(٤) النقع القتل والهيدبا كالسحاب المتدلى وهو مانراه كانه خيوط عند انصبابه أى أنه اقتحم الردى فى غارات كان فيها القتل منتشرا فوق رؤسهم كالسحاب المتدلى
(٥) الهيدبى ضرب من مشى الخيل (٦) العطب الهلاك (٧) الظبا جمع ظبية بضم الأول حد السيف وما أشبه .

أخدم الجرحى وأقضى حقهم وأواسى فى الوغى من نكبا
هكذا (الميكاد) قد علمنا أن نرى الأوطان أما وأبا
ملك يكفيك منه أنه أنهض الشرق فهز المغربا
وإذا مارسته ألفيته حولا فى كل أمر قلبا (١)
كان والتاج صغيرين معاً وجلال الملك فى مهد الصبا
فغدا هذا سماء للعـــــلا وغدا ذلك فيها كوكبا
بعث الأمة من مرقدها ودعاها للعلا أن تدأبا
فسمت للمجد تبغى شأوه وقضت من كل شىء مأربا

رفعت إلى الامبراطورة أوچينى امرأة نابليون الثالث عند قدومها مصر بعد زوال ملكها :

أين يوم القنال يا ربة التا ج ويا شمس ذلك المهرجان ؟
أين مجرى القنال ؟ أين مميت الـ ـمال ؟ أين العزيز ذو السلطان ؟
أين هارون مصر ؟ أين ابو الأشـ ـبال رب القصور رب القيان (٢)
أين ليث الجزيرة ابن على واهب الألف مكرم الضيفان
اين ذا القصر بالجزيرة تجرى فيه ارزاقنا وتحبو الأمانى
فيه للنحس كوكب مسرع السيـ ـر وللسعد كوكب متوانى
قد جرى النيل تحته بخشوع وانكسار وهابه الفتيان (٣)
كنت بالأمس جنة الحور يا قصـ ـر فأصبحت جنة الحيوان
خطر الليث فى فنائك يا قصـ ـر وقد كنت مسرحا للحسان (٤)
وعوى الذئب فى نواحيك يا قصـ ـر وقد كنت معقلا للسان
وحباك الزوار بالمال يا قصـ ـر وقد كنت مصدر الاحسان

---

(١) حول قلب أى محتال بصير بتحويل الامور ومجاريها (٢) القيان جمع القين بفتح القاف وهو العبد (٣) الفتيان الليل والنهار (٤) الفناء رحبه البيت

كنت تعطى فما لك اليوم تعطى ... اين بانيك ؟ اين رب المكان ؟
إن أطافت بك الخطوب فهذى ... سنة الكون من قديم الزمان
رب بان نأى ورب بناء ... اسلمته النوى إلى غير بانى
تلك حال الايوان يا ربة التا ... ج فما حال صاحب الايوان
قد طواه الردى ولو كان حيا ... لمشى فى ركابك الثقلان (١)
وتولت حراسة الموكب الأسـ ... ـنى نجوم السماء والنيران
إن يكن غاب عن جبينك تاج ... كان بالغرب اشرف التيجان
فلقد زانك المشيب بتاج ... لا يدانيه فى الجلال مدانى
ذاك من صنعة الأنام وهذا ... من صنيع المهيمن الديان
كنت بالأمس ضيفة عند ملك ... فانزلى اليوم ضيفة فى خان
واعذرينا على القصور كلانا ... غيرته طوارىء الحـــدثان

حرب اليابان

أساحة للحرب أم محشر ... ومورد الموت أم الكوثر (٢)
وهذه جند اطاعوا هوى ... أربابهم أم نعم تنحر (٣)
لله ما أقسى قلوب الألى ... قاموا بأمر الملك واستأثروا
وغرهم فى الدهر سلطانهم ... فأمعنوا فى الأرض واستعمروا
قد أقسم البيض بصلبانهم ... لا يهجرون الموت أو ينصروا
وأقسم الصفر بأوثانهم ... لا يغمدون السيف أو يظفروا
فمادت الأرض بأوتادها ... حين التقى الأبيض والأصفر
وأثملتها خمرة من دم ... يلهو بها الميكاد والقيصر
وأشبهت يرم الوغى أختها ... إذ لاح فيها الشفق الأحمر

---

(١) الثقلان الجن والانس (٢) الكوثر الكثير من كل شىء (٣) النعم الابل والشاه

وأصبحت تشتاق طوفانها لعلها من رجسها تطهر [1]
أشبعت يا حرب ذئاب الفلا وغصت العقبان والأنسر
وميرت الحيتان فى بحرها ومطمع الانسان لا يقدر
إن كان هذا الدب لا ينثنى وذلك التنين لا يقهر
والبيض لا ترضى بخذلانها والصفر بعد اليوم لا تكسر
فما لتلك الحرب قد شمرت عن ساقها حتى قضى العسكر
سالت نفوس القوم فوق الظبا فسالت البطحاء والأنهر
وأصبحت (مكدن) ياقوتة يغار منها الدر والجوهر
ياقوتة قد قومت بينهم بأنفس كالقطر لا تحصر
أضحى رسول الموت ما بينها حيران لا يدرى بما يؤمر
عزريل هل أبصرت فيما مضى وأنت ذاك الكيس الأمهر
كذلك المدفع فى بطشه إذا تعالى صوته المنكر
تراه أن أوفى على مهجة لا الدرع يثنيه ولا المغفر [2]
أمسى (كروباتكين) فى غمرة وبات (أوياما) له ينظر
وظلت الروس على جمرة والمجد يدعوهم ألا فاصبروا
وذلك الأسطول ما خطبه حتى عراه الفزع الأكبر
أكلما لاح له سابح تحت الدجى أو قارب يمخر
ظن به (توجو) فأهدى له تحية (توجو) بها أخبر
تحية من واجد شيق أنفاسه من حراها تزفر
فهل درى القيصر فى قصره ما تعلن الحرب وما تضمر

---

(١) معنى هذا البيت مأخوذ من قول المعرى :

والارض للطوفان مشتاقة لعلها من دون تغسل

(٢) المغفر زرد يلبس تحت القلنسوة .

فكم قتيل بات فوق الثرى ... ينتابه الأظفور والمنسر (١)
وكم جريح باسط كفه ... يدعو أخاه وهو لا يبصر
وكم غريق راح فى لجة ... يهوى بها الطود فلا يظهر (٢)
وكم أسير بات فى أسره ... ونفسه من جسرة تقطر
إن لم تروا فى الصلح خيراً لكم ... فالدهر من أطماعكم أقصر
تسوءنا الحرب وإن أصبحت ... تدعو رجال الشرق أن يفخروا
أتى على الشرقىّ حين إذا ... ما ذكر الأحياء لا يذكر
ومر بالشرق زمان وما ... يمر بالبال ولا يخطر
حتى أعاد الصفر أيامه ... فانتصف الأسود والأسمر
فرحمة الله على أمة ... يروى لها التاريخ ما يؤثر

لسان حال اللغة العربية

رجعت لنفسى فاتهمت حصاتى ... وناديت قومى فاحتسبت حياتى (٣)
رمونى بعقم فى الشباب وليتنى ... عقمت فلم أجزع لقوم عداتى
ولدت ولما لم أجد لعرائسى ... رجالا وأكفاء وأدت بناتى (٤)
وسعت كتاب الله لفظا وغاية ... وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات
أنا البحر فى أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتى؟
فيا ويحكم أبلى وتبلى محاسنى ... ومنكم وإن عز الدواء أساتى (٥)
فلا تكلونى للزمان فانى ... أخاف عليكم أن تحين وفاتى
أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات

---

(١) الأظفور هو الظفر والمنسر بفتح الميم منقار الطائر (٢) الطود الجبل
(٣) الحصاة العقل والرأى (٤) وأد بنته دفنها حية (٥) الاساة جمع الآسى وهو الطبيب

أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً فياليتكم تأتون بالكلمات
أيطربكم من جانب الغرب ناعب ينادى بوأدى فى ربيع حياتى
ولو تزجرون الطير يوماً علمتم بما تحته من عثرة وشتات
سقى الله فى بطن الجزيرة أعظما يعز عليها أن تلين قناتى
حفظن ودادى فى البلى وحفظته لهن بقلب دائم الحسرات
وفاخرت اهل الغرب والشرق مطرق حياء بتلك الأعظم النخرات
ارى كل يوم بالجرائد مزلقا من القبر يدنينى بغير أناة
وأسمع للكتاب فى مصر ضجة فأعلم ان الصائحين نعاتى
ايهجرنى قومى عفا الله عنهم إلى لغة لم تتصل برواة
سرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
إلى معشر الكتاب والجمع جافل بسطت رجائى بعد بسط شكاتى
فاما حياة تبعث الميت فى البلى وتنبت فى تلك الرموس رفاتى
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بممات

الزوجية

حطمت اليراع فلا تعجبى وعفت البيان فلا تعتبى
فما أنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب
وكم فيك يا مصر من كاتب أقال اليراع ولم يكتب
فلا تعذلينى لهذا السكو ت فقد ضاق بى منك ما ضاق بى
أيعجبنى منك يوم الوفا ق سكوت الجماد ولعب الصبى [1]
وكم غضب الناس من قبلنا لسلب الحقوق ولم تغضب

(١) يوم الوفاق يوم اتفاق الفرنسيين والانكليز على مصر ومراكش وغيرها

أنابتة العصر إن الغريـــب مجد بمصر فلا تلعبى [١]
يقولون فى النشء خير لنـا وللنشء شر من الأجنبى
أفى الأزبكية مثوى البنيـــن وبين المساجد مثوى الأب
وكم ذا بمصر من المضحكا ت كما قال فيها أبو الطيب [٢]
أمور تمر وعيش يمـ ر ونحن من اللهو فى ملعب [٣]
وشعب يفر من الصالحا ت فرار السليم من الأجرب
وصحف تطن طنين الذبا ب وأخرى تشن على الاقرب
وهذا يلوذ بقصر الأمي ر ويدعو إلى ظله الأرحب
وهذا يلوذ بقصر السفي ر ويطنب فى ورده الأعذب
وهذا يصيح مع الصائحي ن على غير قصد ولا مأرب
وقالوا دخيل عليه العفا ء ونعم الدخيل على مذهبى
رآنا نياما ولما نفق فشمر للسعى والمكسب
وماذا عليه إذا فاتنا ونحن على العيش لم ندأب
ألفنا الخمول وياليتنا ألفنا الخمول ولم نكذب
وقالوا المؤيد فى غمرة رماه بها الطمع الاشعبى [٤]
دعاه الغرام بسن الكهول فجن جنونا ببنت النبى
فضج له العرش والحاملوه وضج لها القبر فى يثرب [٥]
ونادى رجال باسقاطه وقالوا تلون فى المشرب
وعدوا عليه من السيئا ت ألوفا تدور مع الأحقب

---

(١) النابتة هم الناشئون (٢) الذى قاله أبو الطيب المتنبى هو

وكم ذا بمصر من المضحكا ت ولكنه ضحك كالبكا

(٣) مر الاول بمعنى تكدر والثانية بمعنى يمضى (٤) فى غمرة فى شدة
(٥) يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم

وقالوا لصيق ببيت الرسو ل اغار على النسب الأنجب
وزكى ابو خطوة قولهم بحكم أحد من المضرب (١)
فما للتهانى على داره تساقط كالمطر الصيب
وما للوفود على بابه تزف البشائر فى موكب
وما للخليفة أسدى إليـــه وساما يليق بصدر الأب
فيا أمة ضاق عن وصفها جنان المفوه والأخطب (٢)
تضيع الحقيقة ما بيننا ويصلى البرىء مع المذنب
ويهضم فينا الامام الحكيـ م ويكرم فينا الجهول الغبى
على الشرق منى سلام الودو د وأن طأطأ الشرق للمغرب
لقد كان خصباً بجدب الزما ن فأجدب فى الزمن المخصب

الأخلاق الفاضلة

نعمن بنفسى وأشقيتنى فيـــــاليتهن وياليتنى
خلال نزلن بخصت النفو س فرويتهن وأظمأننى (٣)
تعودن منى إباء الكريـــم وصبر الحليم وتيه الغنى
وعودتهن نزال الخطو ب فما ينثنين وما أثنى
إذا ما لهوت بليل الشبا ب أهبن بعزمى فنبهننى
فما زلت أمرح فى قدهـــنَ ويمرحن منى بروض جنى
إلى أن تولى زمان الشبا ب وأوشك عودى أن ينحنى
فيانفس ان كنت لا توقنيـ ن بمعقود أمرك فاستيقنى
فهذى الفضيلة سجن النفو س وأنت الجديرة أن تسجنى
فلا تسأليني متى تنقضى ليالى الاسار ولا تحزنى

(١) المضرب حد السيف (٢) المفوه المنطيق (٣) خلال جمع خلة بضم وهى الخصلة

الى الأرض

المـــارتينك

ألسوك الدماء فوق الدماء ... وأروك العداء بعد العـداء
فلبست النجيع من عهـد قابيـ ... ـل وشاهدت مصرع الابرياء
فلك العذر إن قسوت وإن خنـ ... ـت وإن كنت مصدراً للشقاء
غلط الناس ماطغى جبل النا ... ر بارسال نفثة فى الهواء
أحرجوا صـدر أمة فأراهم ... بعض ماأضمرت من البرحاء
أسخطوها فصابرتهم زمانا ... ثم أنحت عليهم بالجزاء
أيهـا الناس إن يكن ذاك سخط الـ ... ـأرض ماذا يكون سخط السماء ؟ !
إن فى علو مسرحا للمقاديـ ... ـر وفى الأرض مكمناً للقضاء[1]
فاتقوا الأرض والسماء سواء ... واتقوا النار فى الثرى والفضاء

الامتيـــازات

سكت فأصغروا أدبى ... وقلت فأكبروا أربى
وما أرجوه من بلد ... به ضاق الرجاء وبى
وهل فى مصر مفخرة ... سوى الألقاب والرتب
وذى ارث يكاثرنا ... بمـال غير مكتسب
وفى الرومى موعظة ... لشعب جد فى اللعب
يقتلنا بـلا قود ... ولا دية ولا رهب[2]
ويمشى نحو رايتـه ... فتحميه من العطب
فقل للفاخرين : أما ... لهذا الفخر من سبب ؟

---

(١) اسم من أسماء السما (٢) بلا قود بلا قصاص .

أرونى نصف مخترع أرونى ربع محتسب
أرونى ناديا حفلا بأهل الفضل والأدب
وماذا فى مدارسكم من التعليم والكتب ؟
وماذا فى مساجدكم من التبيان والخطب ؟
وماذا فى صحائفكم سوى التمويه والكذب ؟
حصائد ألسن جرت إلى الويلات والحرب
فهبوا من مراقدكم فان الوقت من ذهب
فهذى أمة اليابان جازت دارة الشهب
فهامت بالعلا شغفاً وهمنا بابنة العنب

قال يصف فيكتور هوجو

اعجمى كاد يعلو نجمه فى سماء الشعر نجم العربى
صافح العلياء فيها والتقى بالمعرى فوق هام الشهب
ماثغور الزهر فى أكمامها ضاحكات من بكاء السحب
نظم الوسمى فيها لؤلؤاً كثنايا الغيد أو كالحبب
عند من يقضى بأبهى منظر من معانيه التى تلعب بى
بسمت للذهن فاستهوت نهى مغرم الفضل وصب الأدب
وجلتها حكمة بالغة أعجزت أطواق أهل المغرب
سائلوا الطير إذا ما هاجكم شجوها بين الهوى والطرب
هل تغنت أو أرنت بسوى شعر هيجو بعد عهد العرب
كان مر النفس أو ترضى العلا تظمأ الافلاك إن لم يشرب
عاف فى منفاه أن يدنو به عفو ذاك القاهر المغتصب
بشروه بالتدانى ونسوا أنه ذاك العصامى الأبى

كتب المنفى سطرا للذى جاده بالعفو فاقرأ واعجب
أبرى عنه يعفو مذنب كيف تسدى العفو كف المذنب
جاء والأحلام فى أصفادها ما لها فى سجنها من مذهب
طبع النظم على أقفالها بلطاه خاتماً من ذهب
أمعن التقليد فيها فغذت لاترى إلا بعين الكتب
أمر التقليد فيها ونهى بجيوش من ظلام الحجب
جاءها هوجو بعزم دونه عزة التاج وزهو الموكب
وانبرى يصدع من أغلالها باليراع الحر لا القضب
هاله أن لا يراها حرة تمتطى فى البحث متن الكوكب
ساءه أن لايرى فى قومه سيرة الاسلام فى عهد النبى
قلت عن نفسك قولا صادقاً لم تشبه شائبات الكذب
أنا كالمنجم تبر وثرى فاطرحوا ترابى وصونوا ذهبى

إلى الاغنياء

فى حريق ميت غمر

سائلوا الليل عنهمو والنهارا كيف باتت نساؤهم والعذارى ؟
كيف أمسى رضيعهم فقد الأم وكيف اصطلى مع القوم نارا ؟
كيف طاح العجوز تحت جدار يتداعى وأسقف تتجارى
رب إن القضاء أنحى عليهم فاكشف الكرب واحجب الأقدارا
ومر الدار أن تكف أذاها ومر الغيث أن يسيل انهمارا
أين طوفان صاحب الفلك يروى هذه النار ؟ فهى تشكو الأوارا
أشعلت فحمة الدياجى فباتت تملأ الارض والسماء شرارا
غشيتهم والنحس يجرى يمينا ورمتهم والبؤس يجرى يسارا

فأغارت وأوجه القوم بيض ثم غارت وقد كستهن قارا
أكلت دورهم فلما استقلت لم تغادر صغارهم والكبارا
أخرجتهم من الديار عراة حذر الموت يطلبون الفرارا
يلبسون الظلام حتى إذا ما أقبل الصبح يلبسون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحر ولا عنهم ترد الغبارا
أيها الرافلون فى حلل الوشـ ـى يجرون للذيول افتخاراً
ان فوق العراء قوما جياعاً يتوارون ذلة وانكسارا
أيهذا السجين : لا يمنع السجـ ـن كريماً من أن يقيل العثارا
مر بألف لهم وإن شئت زدها وأجرهم كما أجرت النصارى (١)
قد شهدنا بالأمس فى مصر عرسا ملأ العين والفؤاد ابتهارا
سال فـــه النضار حتى حسبنا أن ذاك الفناء يجرى نضارا
بات فيه المنعمون بليل أخجل الصبح حسنه فتوارى
يكتسون السرور طورا ، وطورا فى يد الكأس يخلعون الوقارا
وسمعنا فى « ميت غمر » صياحا ملأ البر ضجة والبحارا
جل من قسم الحظوظ فهذا يتغنى وذاك يبكى الديارا
رب ليل فى الدهر قد ضم نحسا وسـعوداً وعسرة ويسارا ؟

حادثة دنشواى

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والودادا
خفضوا جيشكم وناموا هنيئا وابغوا صيدكم ، وجوبوا البلادا
وإذا أعوزتكم ذات طوق بين تلك الربى ، فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمام سواء لم نغادر أطواقنا الاجيادا

---

(١) فى ثورة عرابى أجار المنشاوى رحمه الله كثيراً من النصارى

لاتظنوا بنا العقوق ولكن أرشدونا إذا ضللنا الرشادا
لاتقيدوا من أمة بقتيل صادت الشمس نفسه حين صادا[1]
جاء جهالنا بأمر وجئتم ضعف ضعفيه قسوة واشتدادا
أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو أقصاصاً أردتم أم كيادا ؟
أحسنوا القتل إن ضننتم بعفو أنفوساً أصبتم أم جمادا
ليت شعرى أتلك محكمة التف تيش عادت أم عهد نيرون عادا ؟!
كيف يحلو من القوى التشفى بضعيف ألقى إليه القيادا
إنها مُثْلَةٌ تشف عن الغيـ ـظ ولسنا لغيظكم أندادا
أكرمونا بأرضنا حيث كنتم إنما يكرم الجواد الجوادا
إن عشرين حجة بعد خمس علمتنا السكون مهما تمادى[2]
أمة النيل أكبرت أن تعادى من رماها وأشفقت أن تعادى
ليس فيها إلا كلام وإلا حسرة بعد حسرة تتهادى

✡ ✡ ✡

أيها المدعى العمومى مهلا بعض هذا فقد بلغت المرادا
قد ضمنا لك القضاء بمصر وضمنا لنجلك الاسعادا
فاذا ما جلست للحكم فاذكر عهد مصر فقد شفيت الفؤادا

✡ ✡ ✡

لاجرى النيل فى نواحيك يامصـ ـر ولا جادك الحيا حيث جادا
أنت أنبت ذلك النبت يامصـ ـر فاضحى عليك شوكا قتادا
أنت أنبت ناعقاً قام بالامـ ـس فأدمى القلوب والأكبادا
إيه يامدره القضاء ويا من[3] ساد فى غفلة الزمان وشادا

(١) قاد منه أخذ منه القود أى الثار (٢) حجة سنة (٣) المدره زعيم القوم وخطيبهم والمتكلم عنهم والذى يرجعون إلى رأيه .

أنت جلادنا فلا تنس أنا قد لبسنا على يديك الحدادا

غلاء الاسعار

أيها المصلحون ضاق بنا العيـ ـش ولم تحسنوا عليه القياما
عزت السلعة الذليلة حتى [1] بات مسح الحذاء خطبا جساما
وغدا القوت فى يد الناس كاليا قوت حتى نوى الفقير الصياما
يقطع اليـــوم طاويا ولديه دون ريح القتار ريح الخزامى [2]
ويخال الرغيف فى البعد بدراً ويظن اللحوم صيدا حراما
إن أصاب الرغيف من بعد كد صاح من لى بأن أصيب الاداما [3]
أيها المصلحون أصلحتم الأر ض وبتم عن النفوس نياما
أصلحوا أنفساً أضر بها الفقـ ـر وأحيـــا بموتها الأثاما
ليس فى طوقها الرحيل ولا الجد د ولا أن تواصل الأقداما
تؤثر الموت فى ربى النيل جوعا وترى العار أن تعاف المقاما
ورجال الشآم فى كرة الأر ض يبارون فى المسير الغماما
ركبوا البحر، جاوزوا القطب، فاتوا موقع النيرين ، خاضوا الظلاما
يمتطون الخطوب فى طلب العيـ ـش ويبرون للنضال السهاما
وبنو مصر فى حمى النيل صرعى يرقبون القضاء عاما فعاما

***

أيها النيل كيف نمسى عطاشا فى بلاد رويت فيها الأناما
يرد الواغل الغريب فيروى وبنوك الكرام تشكو الاواما [4]
إن لين الطباع أورثنا الذ ل وأغرى بنا الجناة الطغاما

---

(١) السلعة المتاع المتجر فيه (٢) طاويا جائعا القتار الدخان من المطبوخ وزنا ومعنى أو ريح اللحم المشوى المحرق أو العظم أو غير ذلك (٣) الادام مايؤتدم به (٤) الواغل الذى يدخل على القوم بدون استئذان والاوام حر العطش

إن طيب المناخ جر علينا ... فى سبيل الحياة ذاك الزحاما
أيها المصلحون رفقا بقوم ... قيد العجز شيخهم والغلاما
وأغيثوا من الغلاء نفوساً ... قد تمنت مع الغلاء الحماما
أوشكت تأكل الهبيد من الفقـ ... ـر وكادت تذود عنه النعاما (١)
فأعيدوا لنا المكوس فانا ... قد رأينا المكوس أرخى زماما (٢)
ضاق فى مصر قسمنا فاعذرونا ... إن حسدنا على الجلاء الشآما
قد شقينا ونحن كرمنا اللـ ... ـه بعصر يكرم الأنعاما

رثاء فقيد الاسلام الاستاذ الأمام
المرحوم الشيخ محمد عبده

سلام على الاسلام بعد محمد ... سلام على أيامه النضرات !
على الدين والدنيا ، على العلم والحجى ... على البر والتقوى ، على الحسنات! (٣)
لقد كنت أخشى عادى الموت قبله ... فأصبحت أخشى أن تطول حياتى؟
فوالهفى والقبر بينى وبينه ... على نظرة من تلكم النظرات ؟
وقفت عليه حاسر الرأس خاشعاً ... كأنى حيال القبر فى عرفات (٤)
لقد جهلوا قدر الامام فأودعوا ... تجاليده فى موحش بفلاة
ولو ضرحوا بالمسجدين لأنزلوا ... بخير بقاع الأرض خير رفات
تباركت هذا الدين دين محمد ... أيترك فى الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضى ... ولانت قناة الدين للغمزات (٥)

* * *

زرعت لنا زرعا فأخرج شطأه ... ونبت ولما نجتن الثمرات

---

(١) الهبيد طبيخ الحنظل (٢) المكوس الجباية (٣) الحجى العقل
(٤) حيال القبر تلقاءه (٥) قضى مات .

فواها له ألا يصيب موفقاً يشارفه والأرض غير موات
مددنا إلى «الأعلام» بعدك راحنا فردت إلى أعطافنا صفرات (١)
وجالت « بنا نبغى سواك » عيوننا فعدن وآثرن العمى شرقات
وآذوك فى ذات الاله وأنكروا مكانك حتى سودوا الصفحات
رأيت الأذى فى جانب الله لذة ورحت ولم تهمم له بشكاة
لقد كنت فيهم كوكباً فى غياهب ومعرفة فى أنفس نكرات (٢)
أبنت لنا التنزيل حكماً وحكمة وفرقت بين النور والظلمات
ووفقت بين الدين والعلم والحجى فاطلعت نوراً فى ثلاث جهات
وقفت لهانوتو ورينان وقفة أمدك فيها الروح بالنفحات (٣)
وخفت مقام الله فى كل موقف فخافك أهل الشك والنزعات
وكم لك فى اغفاءة الفجر يقظة نفضت عليها لذة الهجعات
ووليت شطر البيت وجهك خالياً تناجى إله البيت فى الخلوات
وكم ليلة عاندت فى جوفها الكرى ونبهت فيها صادق العزمات
وأرصدت للباغى على دين أحمد شباة يراع ساحر النفثات
إذا مس خد الطرس فاض جبينه بأسطار نور باهر اللمعات
كأن قرار الكهرباء بشقة يريك سناه أيسر اللمسات
فيا سنة مرت بأعواد نعشه لأنت علينا أشأم السنوات
حطمت لنا سيفاً ، وعطلت منبراً ، وأوذيت روضا ناضر الزهرات
وأطفأت نبراسا ، وأشعلت أنفسا على جمرات الحزن منطويات
رأى فى لياليك المنجم ما رأى فانذرنا بالويل والعثرات

---

(١) صفرات خاليات (٢) غياهب ظلمات (٣) هانوتو أحد علماء الفرنسيين الذين طعنوا فى الدين الاسلامى فرد عليه المرحوم وأوقفه عند حده وأما أرنست رينان فهو فيلسوف فرنسى أيضا .

ونبأه علم النجوم بحادث تبيت له الأبراج مضطربات
رمى السرطان الليث والليث خادر ورب ضعيف نافذ الرميات (١)
فأودى به ختلا فمال إلى الثرى ومالت له الأجرام منحرفات
وشاعت تعازى الشهب باللمح بينها عن النير الهاوى إلى الفلوات

* * *

مشى نعشه يختال عجبا بربه ويخطر بين اللمس والقبلات
تكاد الدموع الجاريات تقله وتدفعه أنفاس مستعرات
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة وضاقت عيون الكون بالعبرات
ففى الهند محزون ، وفى الصين جازع وفى مصر باك دائم الحسرات
وفى الشام مفجوع ، وفى الفرس نادب ،
وفى تونس ما شئت من زفرات
بكى عالم الاسلام عالم عصره سراج الدياجى ، هادم الشبهات
ملاذ عياييل ، ثمال أرامل ، غياث ذوى عدم ، إمام هداة (٢)
فلا تنصبوا للناس تمثال عبده وإن كان ذكرى حكمة وثبات (٣)
فأنى لأخشى أن يضلوا فيؤمنوا إلى نور هذا الوجه بالسجدات

* * *

فياويح للشورى إذا جد جدها وطاشت بها الآراء مشتجرات (٤)
وياويح للفتيا إذا قيل : من لها ؟ ويا ويح للخيرات والصدقات
بكينا على فرد وإن بكاءنا على أنفس لله منقطعات
تعهدها فضل الامام وحاطها باحسانه والدهر غير مؤاتى

---

(١) خدر الليث وأخدر فهو خادر اذا كان فى خدره وهو بيته (٢) لاذ به يلوذ لجأ اليه وعاذ به والملاذ الحصن عياييل جمع عيل وهو الفقير المتلمس الثمال بالكسر الملجأ والغياث والمطعم فى الشدة الأرامل المساكين من نساء ورجال (٣) اقترح بعضهم أن ينصبوا للاستاذ الامام تمثالا فلذلك يقول الشاعر (٤) مشتجرات مختلفات .

فيامنزلا فى عين شمس أظلنى ... وأرغم حسادى وغم عداتى
دعائمه التقوى، وآساسه الهدى، ... وفيه الأيادى موضع اللبنات (١)
عليك سلام الله! مالك موحشاً؟ ... عبوس المغانى، مقفر العرصات؟ (٢)
لقد كنت مقصود الجوانب، آهلا، ... تطوف بك الآمال مبتهلات (٣)
مثابة أرزاق ومهبط حكمة ... ومطلع أنوار وكنز عظات (٤)

رثاء فقيد النثر والنظم
المرحوم محمود باشا سامى البارودى

ردوا على بيانى بعد محمود ... إنى عييت وأعيى الشعر مجهودى
ما للبلاغة غضبى لا تطارعنى؟! ... وما لحبل القوافى غير ممدود؟! (٥)
ظنت سكوتى صفحاً عن مودته ... فأسلمتنى إلى هم وتسهيد
ولو درت أن هذا الخطب أخمنى ... لأطلقت من لسانى كل معقود (٦)
لبيك يا مؤنس الموتى وموحشنا ... يافارس الشعر والهيجاء والجود
ملك القلوب وأنت المستقل به ... أبقى على الدهر من ملك بن داود
لقد نزحت عن الدنيا كما نزحت ... عنها لياليك من بيض ومن سود
أغمضت عينيك عنها، وازدريت بها ... قبل الممات ولم تحفل بموجود (٧)
لبيك يا شاعراً ضن الزمان به ... على النهى والقوافى والأناشيد

---

(١) اللبنة هى التى يبنى بها وهى المضرنة من الطين مربعة (٢) المغانى المنازل التى كان بها أهلوها واحدها مغنى والعرصات جمع عرصة وهى كل موضع واسع لا بناء فيه (٣) منزل آهل أى به أهله (٤) مثابة مقر (٥) قال بعض الشعراء:

(ما للمليحة غضبى لا تكلمنى)

فظن بعضهم أن شاعرنا أخذها ولكن من كان له دراية بالأدب يعرف أن العرب كثيرا ما تتوارد أفكارهم فى مثل هذا الموضوع (٦) أخمه الخطب أو غيره منعه من قول الشعر (٧) فى آخر حياة المرحوم كف بصره فصار ضريرا.

تجرى السلاسة فى أثناء منطقه ... تحت الفصاحة جرى الماء فى العود
فى كل بيت له ماء يرف به ... يغار من ذكره ماء العناقيد
لو حنطوك بشعر أنت قائله ... غنيت عن نفحات المسك والعود
حليته بعد أن هذبته بسنا ... عقد بمدح رسول الله منضود (١)
كفاك زاداً وزيناً أن تسير إلى ... يوم الحساب وذاك العقد فى الجيد
لبيك ياخير من هز اليراع ، ومن ... هز الحسام ، ومن لبى ؟ ومن نودى
ان هد ركنك منكوبا فقد رفعت ... لك الفضيلة ركنا غير مهدود (٢)
إن المناصب فى عزل وتولية ... غير المواهب فى ذكر وتخليد
أكرم بها زلة فى العمر واحدة ... إن صح أنك فيها غير محمود
سلوا الحجى هل قضت أربابه وطراً ... دون المقادير أو فازت بمقصود ؟
كنت الوزير ، وكنت المستعان به ... وكان همك هم القادة الصيد
كم وقفة لك والأبطال طائرة ... والحرب تضرب صنديداً بصنديد (٣)
تقول للنفس إن جاشت اليك بها : ... هذا مجالك سودى فيه أو بيدى
نسخت يوم (كريد) كلما نقلوا ... فى يوم ذى قار عن هانى بن مسعود (٤)
نظمت أعداك فى سلك الفناء به ... على روى ولكن غير معهود

---

(١) البارودى رحمه الله عارض الهمزية فى مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو يشير إلى ذلك (٢) يشير إلى مصادرة الحكومة جميع أملاك المرحوم.

(٣) الصنديد السيد الشجاع (٤) كان المرحوم أحد ضباط الجيش التركى فى الثورة الكريدية وكان رحمه الله ممن جمعوا بين السيف والقلم وهو الذى قال فى هذه الحرب :

قوم أبى الشيطان الا خسرهم ... فتسللوا من طاعة السلطان

ومنها يصف الحرب

وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا ... يتكلمون بألسن النيران

ويوم ذى قار أحد أيام العرب المشهورة وهانىء بن مسعود كان أحد قواد العرب الذين انتصروا بفئة قليلة على عدد كبير من عدوه .

كأنهم كلم والموت قافية يرمى به عربى غير رعديد (١)

***

أودى المعرى تقى الشعر مؤمنه فكاد صرح المعالى بعده يودى
وأوحش الشرق من فضل ومن أدب وأقفر الروض من شدو وتغريد
وأصبح الشعر والأسماع تنبذه كأنه دسم فى جوف ممعود (٢)
لوى به الضعف واسترخت أعنته فراح يعثر فى حشو وتعقيد
وأنكرت نسمات الشوق مربعه تثيرها خطرات الخرد والخود (٣)
لو أنصفوا أودعوه جوف لؤلؤة من كنز حكمته لاجوف أخدود (٤)
وكفنوه بدرج من صحيفته أوواضح من قميص الصبح مقدود (٥)
وأنزلوه بأفق من مطالعه فوق الكواكب لاتحت الجلاميد (٦)
وناشدوا الشمس أن تنعى محاسنه للشرق والغرب والأمصار والبيد
أقول للملأ الغادى بموكبه والناس ما بين مكبود ومفؤود (٧)
غضوا العيون فان الروح يصحبكم مع الملائك تكريما لمحمود
ياويح للقبر قد أخفى سنا قمر مقسم الوجه محسود التجاليد (٨)
ياويحه حل فيه ذو قريحته لها بخدر المعالى ألف مولود (٩)
فرائد خرد لو شاء أودعها محصى الجديد سجلات المواليد
كأنها وهى بالألفاظ كاسية وحسنها بين مشهود ومحسود

---

(١) الرعديد الجبان (٢) الممعود الذى أصيبت معدته فلم يستمرىء ما يأكله
(٣) خرد جمع خريدة وهى من النساء البكر التى لم تمسس قط الخود جمع خود بفتح الخاء وهى الفتاة الحسنة الخلق (٤) الأخدود بضم الهمزة الحفرة تحفرها فى الارض مستطيلة
(٥) الدرج بسكون الراء وبالتحريك هو الذى يكتب فيه فى درج الكتاب أى فى طيه
(٦) الجلمد والجلمود الصخر (٧) المكبود هو مريض الكبد أو هو الذى أضر الماء بكبده والمفؤود هو الذى أصابه داء فى فؤاده (٨) مقسم الوجه أى جميل
(٩) ذو هنا بمعنى من .

لآلىء خلف بلور قد اتسقت فى بيت دهقان تستهوى نهى الغيد (١)
محمود إنى لاستحييك فى كلمى حياً وميتاً وإن أبدعت تقصيدى
فاعذر قريضى واعذر فيك قائله كلاهما بين مضعوف ومحدود (٢)

رثاء بنت البارودى

بين السرائر ضنة دفنوك أم فى المحاجر خلسة خبؤوك ؟
ما أنت ممن يرتضى هذا الثرى نزلا فهل أرضوك أم غبنوك ؟
يا بنت محمود يعز على الورى لمس التراب لجسمك المنهوك
تركوا شبابك فيه نهباً للبلى واهاً لغض شبابك المتروك
وحثوه فوق سناك ياشمس الضحى فبكى له بدر السماء أخوك
داس الحمام عرين أساد الشرى يا ليت شعرى أين كان أبوك ؟
عهدى به يلقى الردى بمهند يعلوه غمد من دم مسفوك
يا نفس محمود وأنت عليمة بطريق هذا العالم المسلوك
عهدوك لا تتصدعين لحادث أو أنت باقية كما عهدوك ؟
هذا التراب وأنت أعلم ملتقى هذا الورى من سوقة وملوك
هل أنت إلا بين جنبى ماجد صعب الشكيمة للخطوب ضحوك
يغضى بضرته الزمان فيلتقى عز المليك وذلة المملوك (٣)

وقال فى عيد تأسيس الدولة العلية

أيحصى معانيك القريض المهذب على أن صدر الشعر للمدح أرحب
لقد مكن الرحمن فى الأرض دولة لعثمان لا تعفو ولا تتشعب (٤)

---

(١) الدهقان بكسر الدال وضمها هو التاجر فارسى معرب (٢) المضعوف الضعيف والمحدود الفقير المعدم (٣) وهى طويلة ولم نعثر منها إلا على هذه الابيات
(٤) عفا المنزل يعفو وعفت الدار درست وشعب يشعب بالفتح وتشعب بالتشديد تفرق

بناها فظنتها الدرارى منازلا لبدر الدجى تبنى وللسعد تنصب
وقام رجال بالامامة بعده فزادوا على ذاك البناء وطنبوا (١)
وردوا على الاسلام عهد شبابه ومدوا له جاها يرجى ويرهب
أسود على البسفور تحمى عرينها وترعى نيام الشرق والغرب يرقب
لها وثبات تحت ظل هلالها كما مرسهم أو كما انقض كوكب
إذا راعها مس من الضيم خلتها كمن راعه بالمس سلك مكهرب
وأن هزها ذاك الهلال لحادث رأيت قضاء الله يمشى ويركب
إذا ضاءت الأحساب يوماً لمغرق فعثمان خير الفاتحين لهم أب
وإن تاه بالأبناء والبأس والد فأولى الورى بالتيه ذاك المعصب (٢)
فهذا سليمان وقانون عدله على صفحات الدهر بالتبر يكتب
وذاك الذى أجرى السفين على الثرى وسار له فى البر والبحر مركب
على بابه العالى هناك تألقت سطور لأقلام الجلالة تنسب (٣)
هنا «فاخفضوا الأبصار» عرش محمد هنا الفاتح الغازى الكمى المدرب (٤)
وما كان من عبد المجيد إذا احتمى
بأكنافه (كوشوت) والخطب غيهب (٥)
يناديهمو أما نزيلى فدونه حياتى وأما صارمى فمشطب (٦)
فان كانت الحسنى فانى سماؤها وإن كانت الأخرى فشدوا وجربوا
كذلك كانوا يستقرون فى الذرى وأعداؤهم فى الغرب تشقى وتنكب

---

(١) وطنبوا أى شدوه بالاطناب والاطناب ما يشد به البيت من الحبال بين الارض والطرائق (٢) المعصب المتوج (٣) تألق لمع (٤) الكمى هو الشجاع المقدم الجرىء (٥) (كوشوت) محرر المجر فر من بلاده واحتمى بالسلطان عبد المجيد فحماه وأجاره واشتدت الدول فى طلبه حتى كاد يفضى إلى حرب (٦) سيف مشطب فيه طرائق

فكم طلبوا منهم أمانا فأمنوا وأمسى لهم فى الشرق مسرى ومسرب
فكان أمان القوم والشرق مشرق فأضحى امتياز القوم والشرق مغرب
يقولون فى هذى الربوع تعصب وأى مكان ليس فيه تعصب
فيا شرق إن الغرب إن لان أو قسا ففيه من الصهباء طبع مذوب
فخف بأسها فى الرأس والرأس يصطلى
وخف ضعفها فى الكأس والكأس تطرب
ويا غرب إن الدهر يطفو بأهله ويطويه تيار القضاء فيرسب
أراك مقر الطامعين كأنما على كل عرش من عروشك أشعب

تهنئة بعيد الجلوس السلطانى

لمحت جلال العيد والقوم هيب فعلمنى آى العلى كيف تكتب ؟
ومثل لى عرش الخلافة خاطرى فأرهب قلبى والجلالة ترهب
سلوا الفلك الدوار هل لاح كوكب على مثل هذا العرش أو راح كوكب؟
وهل أشرقت شمس على مثل ساحة إلى ذلك البيت الحميدى تنسب
وهل قر فى برج السعود متوج كما قر فى يلديز ذاك المعصب
تجلى على عرش الجلال وتاجه يهش وأعواد السرير ترحب
سما فوقه والشرق جذلان شيق لطلعته والغرب خذلان يرقب(١)
فقام بأمر الله حتى ترعرعت به دوحة الاسلام والشرك مجدب(٢)
وقرب بين المسجدين تقربا إلى الملك الأعلى فنعم المقرب(٣)
وكم حاولوا فى الأرض إطفاء نوره وإطفاء نور الشمس من ذاك أقرب
فراعهموا منه بجيش مدجج له فى سبيل الله والحق مذهب(٤)

---

(١) جذلان فرحان (٢) الدوحة الشجرة العظيمة المتسعة من أى الشجر
(٣) المسجدين المسجد الحرام والمسجد الأقصى (٤) تدجج فى سلاحه دخل والمدجج اللابس السلاح التام .

يدانى شخوص الموت حتى كأنما ... له بين أظفار المنيـــة مطلب
إذا ثار فى يوم الوغى مال منكب
من الأرض والأطواد وانهال منكب
له من رءوس الشم فى البر مركب ... ومن ثائر الأمواج فى البحر مركب(١)
فدى لك يا عبد الحميد عصابة ... عصت أمر باريها وحرب مذبذب(٢)
ملكت عليهم كل فج ولجـــة ... فليس لهم فى البر والبحر مهرب
تقاذفهم أيدى الليـــالى كأنهم ... بها مثل للناس فى القول يضرب
ولم ســـألوها لثم أذيالك التى ... لها فوق أجرام السماوات مسحب
فما بلغوا سؤلاً ولا بلغوا منى ... كذلك يشقى الخائن المتقلب
فيا صاحب العيدين لا زلت سالماً ... يهنيك بالعيدين شرق ومغرب
ففى كل روض منك طيب ونضرة ... وفى كل أرض منك عيد وموكب
أرى مصر والأنهار منها مورد ... ومنها لجينى ومنها مذهب
وأشكالها شتى فهذا منظم ... وذلك منثور وذاك مقبب(٣)
وبعض تجلى فى مصابيح زيتها ... يضىء ولا نار وبعض مكهرب
وأنظر فى بستانها النجم مشرقا ... فهل أنت يا بستان أفق مكوكب(٤)
وأسمع فى الدنيا دعاء بنصره ... يردده البيت العتيق ويثرب

رفعت الى الاستاذ الامام
عند عودته من سياحته فى الجزائر

بكرا صاحبى يوم الاياب ... وقفابى بعين شمس قفابى
إننى والذى يرى ما بنفسى ... لمشوق لظل تلك الرحاب

---

(١) جبل أشم طويل الرأس بين الشمم وجمعها شم بالضم (٢) اشارة إلى حزب تركية الفتاة (٣) على شكل قبة (٤) مكوكب ذو كواكب.

يا أميناً على الحقيقة والافـ ـتاء والشرع والهدى والكتاب
أنت نعم الامام فى موطن الرأ ى ونعم الأمام فى المحراب
خشع البحر إذ ركبت جواريـ ـه خشوع القلوب يوم الحساب (١)
وبدا ماؤه كخاطرك المصقول أو كالفرند أو كالسراب
يتجلى كأنه صحف الابـ ـرار منشورة بيوم المآب (٢)
علمت من تقل فانبعثت للـ ـقصد مثل انبعاثه للثواب (٣)
فهى تسرى كأنها دعوة المضـ ـطر فى مسبح الدعاء المجاب
وضياء الامام يوضح للربـ ـان سبل النجاة فوق العباب (٤)
بات يغنيه عن مكافحة البحـ ـر ورقبى النجوم والاقطاب (٥)
وسرى البرق للجزائر بالبشـ ـرى بقرب المطهر الاواب (٦)
فسعى أهلها إلى شاطىء البحـ ـر وفوداً بالبشر والترحاب
أدركوا قدر ضيفهم فأقاموا يرقبون الامام فوق السحاب (٧)
ليت مصراً كغيرها تعرف الفضـ ـل لذى الفضل من ذوى الألباب
إنها لو درت مكانك فى المجـ ـد ومرماك فى صدور الصعاب
وتفانيك فى سبيل أبى حفـ ـص ومسعاك عند دفع المصاب
لأظلتك بالقلوب من الشمـ ـس ووارت عداك تحت التراب (٨)
أنت علمتنا الرجوع الى الحقـ ـق ورد الأمور للأسباب
ثم أشرقت فى المنار علينا بين نور الهدى ونور الصواب (٩)

---

(١) الجوارى السفن (٢) يوم المآب يوم القيامة (٣) تقل تحمل (٤) العباب البحر (٥) الاقطاب جمع قطب وهى الحديدة القائمة التى تدور عليها الرحى (٦) كثير الرجوع إلى الله (٧) اشارة الى مذهب بعضهم أن محمد بن الحنفية سيرجع اليهم فى ظلل من الغمام (٨) اشارة لطيفة إلى أن الاستاذ الامام كان ساكنا فى عين شمس (٩) اشارة إلى مجلة المنار التى يحررها الاستاذ العلامة الشيخ رشيد رضا .

فقرأنا على ضيائك فيه كلمات المهيمن الوهاب
وسكنا إلى الذى أنزل اللّ ه وكنا من قبله فى ارتياب (١)
أيهذا الامام أكثرت حسا دى فباتت نفوسهم فى التهاب
أبصروا موقفى فعز عليهم منك قربى ومن علاك انتسابى
أجمعوا أمرهم عشاء وباتوا يسمعون الورى طنين الذباب
ونسوا ربهم وقالوا ضمنا بعده عن رحاب ذاك الجناب
قل لجمع المنافقين ومنهم خص بالقوم عبد أم الحباب (٢)
عبد تلك التى يحرمها اللّ ه إزاء الازلام والانصاب (٣)
إن نفس الامام فوق مناهم ما تمنوا وإننى غير صابى
شاب فيهم ولاؤهم حين شابوا وولائى فى عنفوان الشباب

رفعت الى الاستاذ الامام فى سفره

صدفت عن الأهواء والحر يصدف
وأنصفت من نفسى وذو اللب ينصف
صحبت الهدى عشرين يوماً وليلة فقر يقينى بعد ماكان يرجف (٤)
فرحت وفى نفسى من اليأس صارم
وعدت وفى صدرى من الحلم مصحف
وكنت كما كان ابن عمران ناشئاً
وكان كمن فى سورة الكهف يوصف (٥)
كأن فؤادى إبرة قد تمغطست بحبك أنى حرفت عنك تعطف (٦)

---

(١) اشارة إلى تفسير القرآن للاستاذ (٢) أم الحباب هى الخمر (٣) الازلام قداح الميسر والانصاب ما نصب على الكعبة من الاصنام (٤) يشير إلى أنه صاحب الأستاذ الامام فى سفر (٥) أشار إلى قصة الخضر عليه السلام مع موسى الكليم
(٦) تمغطست لمست حجر المغنطيس وهو حجر يجذب الحديد وهو معرب .

كأن يراعى فى مديحك ساجد ... مدامعه من خشية الله تذرف
كأنك والآمال حولك حوم ... نمير على عطفيه طير ترفرف (١)
وأزهر فى طرسى يراعى وأنملى ... ولفظى فبات الطرس يحنى ويقطف
وجمع من أنوار مدحك طاقة ... يطالعها طرف الربيع فيطرف (٢)
تهادى بها الأرواح فى كل سحرة ... وتمشى على وجه الرياض فتعرف (٣)
إمام الهدى إنى أرى القوم أبدعوا ... لهم بدعا عنها الشريعة تعزف
رأوا فى قبور الميتين حياتهم ... فقاموا إلى تلك القبور وطوفوا
وباتوا عليها جاثمين كأنهم ... (على صنم فى الجاهلية عكف) (٤)
فأشرق على تلك النفوس لعلها ... ترق إذا أشرقت فيها وتلطف
فأنت بهم كالشمس بالبحر إنها ... ترد الاجاج الملح عذبا فيرشف (٥)
كثير الأيادى حاضر الصفح منصف ... كثير الأعادى غائب الحقد مسعف
له كل يوم فى رضى الله موقف ... وفى ساحة الاحسان والبر موقف
تجلى جمال الدين فى نور وجهه ... وأشرق فى أثناء برديه أحنف (٦)
رأيتك فى الافتاء لا تغضب الحجى ... كأنك فى الافتاء والعلم يوسف
فأنت لها إن قام فى الشرق مرجف ... وأنت لها إن قام فى الغرب مرجف
كملت كمالا لو تناول كفره ... لأصبح إيماناً به يتحنف (٧)

---

(١) ماء نمير صافى وعلى عطفيه على جانبيه (٢) جمع نور بسكون الواو وهو أبيض الزهر (٣) الارواح جمع روح وهى الريح (٤) من قول الفرزدق :

لقد علم الجيران أن قدورنا ... جوامع للارزاق والريح زفزف
ترى حولهن المقترين كأنهم ... على صنم فى الجاهلية عكف

(٥) الم هذا البيت بنظرية التبخير الجوى فان الشمس اذا قرعت بشعاعها الماء الملح تبخر وحال إلى عذب (٦) وفى هذا البيت إشارة إلى أنه تلقى العلم على ذلك الفيلسوف جمال الدين الافغانى (٧) كان الاستاذ الامام رحمه الله كثيراً التمثل بقول أحد شعراء الفرس (كل شىء يتناوله العليل يتحول إلى علة والكامل لما تناول الكفر

وجه بها إلى صديقه الشاعر العربى الصميم

داود بك عمون المحامى الشهير

شجتنا مطالع أقمـــارها ... فسالت نفوس لتـــذكارها
وبتنا نحن لتلك القصو ... ر وأهل القصور وزوارها
قصور كأن بروج السما ... ء خـدور الغوانى بأدوارها
ذكر حماها وبين الضلو ... ع قلوب تلظى على نارها
فمرت بأرواحنـا هزة ... هى الكهرباء بتيـارها
وأرض كستها كرام الشهو ... ر حرائر من نسج آزارها[1]
إذا نقطتها أكف الغمام ... أرتك الدرارى بأزهارها
وإن طالعتها ذكاء الصبا ... ح أرتك اللجين بأنهارها
وإن دب فيها نسيم الاصيـ ... ـل أتاك النسيم بأخبـارها
وخل أقام بأرض الشآ ... م فباتت تدل على جارها
وأضحت تتيه برب القريـ ... ـض كتيه البوادى بأشعارها
وللنيل أولى بذاك الدلا ... ل ومصر أحق ببشـــارها
فشمر وعجل إليها المآ ... ب وخل الشـآم لاقدارها

صار ايمانا) فعقده شاعرنا لممدوحه فى البيت الأخير .

وعلى ذكر الاستاذ الامام رحمه الله نذكر هنا اتفاقا غريبا وقع لفضيلة صديقه الاستاذ الشيخ عبدالكريم سليمان وذلك أنه رأى نفسه فيما يرى النائم يتلو هذا البيت :

رمى السرطان الليث والليث خادر

فقال لو كانت الشمس فى برج السرطان عند انتقال الاستاذ الامام لكان هذا البيت ملما بحقيقة لا نظير لها ولما صحا من نومه كان لايزال فى نفسه أثر ذلك القول فذهب إلى أحد من له علم بتقويم النجوم وسأله فى ذلك فاذا الشمس فى برج السرطان فى ذلك اليوم المشهود

(١) آزار اسم شهر .

فكيف لعمرى اطقت المقا م بأرض تضيق بأحرارها
وأنت المشمر أثر المظا لم تسعى الى محو آثارها
ثأرت الليالى وأقعدتها بمصقول عزمك عن ثارها
اذا ثرت ماجت هضاب الشآ م وباتت ترامى بثوارها
ألست فتاها ومختارها وشبل فتاها ومختارها
وإن قلت أصغت ملوك الكلا م ومالت إليك بأبصارها
اداود حسبك أن المعا لى تحسب دارك فى دارها
وأن ضمائر هـذا الجو د تبوح اليك بأسرارها
وأنك إما حللت الشآم رأيناك جذوة أفكارها.
وإن كنت فى مصر نعم النصي ر اذا ما أهابت بأنصارها (١)

فأجاب رحمه الله

أمن ذكر سلمى وتذكارها نثرت الدموع على دارها
وعفت القصور لأجل الطلول تطالع طامس آثارها
وقفت بها ليلتى ناشداً عساها تبوح بأسرارها
وللدار أنطق آياتها من الراويات وأخبارها
تعيد عليك ليالى الحمى بأنجمها وبأقمارها
سلام عليك زمان الشباب ربيع الحياة بآذارها
لأنت مخفف أحزانها وأنت مسوغ أكدارها
ولولا الشباب وذكرى الشباب لعاش الفتى عمره كارها
قطفنا الحياة به حلوة وقد جاء إبان إمرارها

(١) أهابت دعت .

أطوف فى الشرق علّى أرى بلاداً تطيب لأحرارها
فلم أر إلا أموراً تسو ء وتصدع أكباد نظارها
فظلم بتلك وذل بهاذى وجهل مغش لأبصارها
تعق مراحم رعيانها وترعى الولاء لجزارها
إذا شاء قاسم رفع الحجاب تسميه هاتك أستارها
فلا قول إلا لجهالها ولا رأى إلا لأغرارها
يدب التراخى على تربها ويجرى الخمول بأنهارها
منال الترقى بارغامها ومرحى الفلاح باجبارها
أهذا الذى أورثت أهلها بلاد العلوم وأنوارها

***

عدمت حياتى إذا لم أقف حياتى على نفع أمصارها
أحافظ هذا مجال العلا فشمر لسبق بمضمارها
أشوقى أحافظ طال السكوت وترك الأمور لأقدارها
فصوغا القوافى مصقولة وشقا الجلود ببتارها
عساها تحرك أوطاننا وتنشر ميت أحيائها
أقول وأعلم أنى سأرمى بأنى محرك ثوارها
وأنى الدخيل وأنى الغريب وأنى النصير لقهارها
أحب بلادى على رغمها وإن لم ينلنى سوى عارها
ولست بأول ذى همة تصدى الزمان لانكارها

رفعت إلى جلالة ملك الانجليز
ادوار السابع فى يوم تتويجه

لمحت من مصر ذاك التاج والقمرا فقلت للشعر هذا يوم من شعرا
يا دولة فوق أعلام لها أسد تخشى بوادره الدنيا إذا زأرا

بالأمس كانت عليك الشمس ضاحية واليوم فوق ذراك البدر قد سفرا
يؤول عرشك من شمس إلى قمر
إن غابت الشمس أولت تاجها القمرا

من ذا يناويك والأقدار جارية بما تشائين والدنيا لمن قهرا
إذا ابتسمت لنا فالدهر مبتسم وإن كشرت لنا عن نابه كشرا
لا تعجبن لملك عز جانبه لولا التعاون لم تنظر له أثرا
ماثل ربك عرشاً بات يحرسه عدل ولا مد فى سلطان من غدرا
خبرتهم فرأيت القوم قد سهروا على مرافقهم والملك قد سهرا
تشاوروا فى أمور الملك من ملك إلى وزير إلى من يغرس الشجرا
وكان فارسهم فى الحرب صاعقة وذو السياسة منهم طائراً حذرا
بالبر صافنة داست سنابكها مناجم التبر لما عافت المدرا
وفى البحار أساطيل إذا غضبت ترى البراكين فيها تقذف الشررا
وهن فى السلم والأيام باسمة عرائس يكتسين الدل والخفرا
حتى إذا نشبت حرب رأيت بها أغوال قفر ولكن تنهش الحجرا
اليوم يشرق (إدوار) على أمم كأنها البحر بالآذى قد زخرا (١)
لو أمطر الغيث أرضاً تستظل بهم عدت رءوسهم عن وجهها المطرا
اليوم يلثم تاج العز محتشما رأساً يدبر ملكا يكلأ البشرا
يصرف الأمر من مصر إلى عدن فالهند فالكاب حتى يعبر الجزرا
قد سالمته الليالى حين أعجزها عقد لما حل أو تقويم ما أطرا (٢)
(إدوار) دمت ودام الملك فى رغد ودام جندك فى الآفاق منتصرا
حقنت بالصلح والرأى السديد دما روى الشعاب وروى الصارم الذكرا

---

(١) الآذى الموج (٢) أطرا حنى .

هم يذكرونك إن عدوا عدولهم ونحن نذكر إن عدوا لنا عمرا
كأنما أنت تجرى فى طريقته عدلا وحلماً وإيقاعا بمن أشرا (١)

رفعت الى الأعتاب الخديوية فى عيد

طف بالأريكة ذات العز والشان واقض المناسك عن قاص وعن دانى
يا عيد ليت الذى أولاك نعمته بقرب صاحب مصر كان أولانى
صغت القريض فما غادرت لؤلؤة فى تاج كسرى ولا فى عقد بوران
أغريت بالغوص أقلامى فما تركت فى لجة البحر من در ومرجان
شكى عمان وضج الغائصون به على اللآلى وضج الحاسد الشانى
كم رام شأوى فلم يدرك سوى صدف سامحت فيه لنظام ووزان
عابوا سكوتى ولولاه لما نطقوا ولا جرت خيلهم شوطا بميدان
واليوم أنشدهم شعراً يعيد لهم عهد النواسى أو أيام حسان
أزف فيه إلى العباس غانية عفيفة الخدر من آيات عدنان
من الأوانس جلاها يراع فتى صافى القريحة صاح غير نشوان
ما ضاق أصغره عن مدح سيده ولا استعان بمدح الراح والبان
ولا استهل بذكر الغيد مدحته فى موطن بجلال الملك ريان
اغليت بالعدل ملكا أنت حارسه فأصبحت أرضه تشرى بميزان
جرى بها الخصب حتى أنبتت ذهباً فليت لى فى ثراها (نصف فدان)
نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير فى سهل ووديان
يجرى على قدر فى كل منحدر لم يجف أرضا ولم يعمد لطغيان
كأنه ورجال الرى تحرسه مملك سار فى جند وأعوان
قد كان يشكو ضياعا مذ جرى طلقا حتى أقمت له خزان أسوان

---

(١) أشر بطر.

كم من يد لك فى القطرين صالحة ... فاضت علينا بجود منك هتان
رددت ما سلبت أيدى الزمان لنا ... وما تقلص من ظل وسلطان
وما قعدت عن السودان إذ قعدوا ... لكن أمرت فلبى الأمر جيشان
هذا من الغرب قد سالت مرا به ... وذا من الشرق قد أوفى بطوفان
ولاك ربك ملكا فى رعايته ... ومده لك فى خصب وعمران
من كردفان إلى مصر إلى جبل ... عليه كلمه موسى بن عمران
فكن بملكك بناء الرجال ولا ... تجعل بناءك إلا كل معوان
وانظر الى أمة لولاك ما طلبت ... حقاً ولا شعرت حباً لأوطان
لاذت بسدتك العلياء واعتصمت ... وأخلصت لك فى سر وإعلان
حسب الأريكة أن الله شرفها ... فأصبحت بك تسمو فوق كيوان
تاهت بعهد مليك فوق مفرقه ... لملك مصر وللسودان تاجان
هذا هو الملك فليهنأ مملكه ... وذا هو الشعر فلتنشده أزمانى

رفعت إلى الأستاذ الامام

إن صوروك فانما قد صوروا ... تاج الفخار ومطلع الأنوار
أو نقصوك فانما قد نقصوا ... دين النبى محمد المختار
سخروا من الفضل الذى أوتيته ... والله يسخر منهم فى النار
لا تجزعن فلست أول ماجد ... كذبت عليه صحائف الفجار
رسموا بذاتك للنواظر جنة ... محفوفة بمكاره الأشعار
وتقولوا عنك القبيح وهكذا ... يمنى الكريم بغارة الأشرار (١)
لن يحجبوك عن الورى أو يحجبوا ... فلق الصباح ومشرق الأقمار
أو يبلغوا عليك حتى يبلغوا ... بين الزواهر صورة الجبار (٢)

---

(١) يمنى يصاب (٢) تسمية فلكية يراد بها طائفة من النجوم .

ما أنت ذياك البغيض فتنثنى متسربلا بالعار فوق العار
لعبوا به فى صورة قد أسفرت عن عزله فاقام حلس الدار (١)

رفعت الى عميد الدولة الانجليزية
عند قدومه بعد حادثة دنشواى

قصر الدوبارة هل أتاك حديثنا فالشرق ريع له وضج المغرب
أهلا بساكنك الكريم ومرحبا بعـــــد التحية إننى أتعتب
نقلت لنا الأسلاك عنك رسالة باتت لها أحشاؤنا تتلهب
ماذا أقول وأنت أصـــدق ناقل عنا ولكن السياسة تكذب
علمتنا معنى الحياة فمالنا لا نشرئب لها ومالك تغضب
أنقمت منا أن نحس وإنما هذا الذى تدعو اليه وتندب
أنت الذى يعزى اليه صلاحنا فيما تقرره لديك وتكتب
إن ضاق صدر النيل عما هاله يوم الحمام فان صدرك أرحب
أو كلما باح الحزين بأنة أمست إلى معنى التعصب تنسب
رفقاً عميـــد الدولتين بأمة ضاق الرجاء بها وضاق المذهب
رفقاً عميد الدولتين بأمة ليست بغير ولائها تتعذب
إن أرهقوا صيادكم فلعلهم للقوت لا للمسلمين تعصبوا
ولربما ضن الفقير بقوته وسخا بمهجته على من يغصب
فى دنشواى وأنت عنا غائب لعب (القضاء) بنا وعز المهرب
حسبوا النفوس من الحمام بديلة فتسابقوا فى صيدهن وصوبوا
نكبوا وأقفرت المنازل بعدهم لو كنت حاضر أمرهم لم ينكبوا
خليتهم والقاسطون بمرصد وسياطهم وحبالهم تتأهب

---

(١) حلس الدار الذى يلزم مأواه لا يزور ولا يزار .

جلدوا ولو منيتهم لتعلقوا بحبال من شنقوا ولم يتهيبوا
شنقوا ولو منحوا الخيار لأهلوا بلظى سياط الجالدين ورحبوا
يتحاسدون على الممات وكأسه بين الشفاه وطعمه لا يعذب
موتان هذا عاجل متنمر يرنو وهذا آجل يترقب
والمستشار مكاثر برجاله ومعاجز ومناجز ومحزب
يختال فى أنحائها متبسما والدمع حول ركابه يتصبب
طاحوا بأربعة فأردوا خامسا هو خير ما يرجو العميد ويطلب
حب يحاول غرسه فى أنفس يجنى بمغرسها الثناء الطيب
كن كيف شئت ولا تكل أرواحنا للمستشار فان عدلك أخصب
وأفض على (بوند) إذا ولى القضا رفقا يهش له القضاء ويطرب
قد كان حولك من رجالك نخبة ساسوا الأمور فدربوا وتدربوا
أقصيتهم عنا وجئت بفتية طاش الشباب بهم وطار المنصب
فاجعل شعارك رحمة ومودة إن القلوب مع المودة تكسب
وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم : هى أمة تلهو وشعب يلعب
واستبق غفلتها ونم عنها تنم فالناس أمثال الحوادث قلب

إلى البورصة

ببابك النحس والسعود وموقف اليأس والرجاء
وفيك قد حارت اليهود يا مطلع السعد والشقاء

ووجهك الضاحك العبوس قد ضاق عن وصفه البيان
كم سطرت عنده طروس بقسمة العز والهوان
وطأطأت دونه رءوس يهتز من خوفها الزمان

وكم أطافت به وفود وأكثروا حوله الدعاء

فرائح نجمه سعيد وطامع بالخسار باء
لما علت صيحة المنادى وأصبح القوم فى عناء
وشمرت ثروة البلاد وضجت الأرض والسماء
قنعت بالقطن فى الوساد وفى الحشيات والغطاء

وإنما العاقل الرشيد من سار فى منهج النجاء
بالله يا قوم لا تزيدوا فان آمالكم هباء

مضاربات هى المنايا ورسلها أحرف البروق
صبوح (١) أصحابها الرزايا ومالهم دونها غبوق (٢)
قد أتلفت أنفس البرايا بأسهم الغدر والعقوق

هبوطها الموت والصعود ضرب من البؤس والبلاء
وما لها عندهم عهود إلا كما تعهد النساء

كم بالة سببت وبالا وأشبهت لامع السراب
وبذرة أنبتت خبالا وأثمرت عاجل الخراب
وكم غنى أضاع مالا وشاب فى موقف الحساب

فليتعظ منكم البعيد وليتق الله ذو الثراء
فذلك التاجر الشهيد قد عاف من أجلها البقاء

رفعت الى سمو الأمير

فى عيد رأس السنة الهجرية

قصرت عليك العمر وهو قصير وغالبت فيك الشوق وهو قدير

---

(١) الشرب فى الصباح (٢) الشرب فى المساء.

وأنشأت فى صدرى لحسنك دولة ... لها الحب جند والولاء سفير
فؤادى لها عرش وأنت مليكه ... ودونك من تلك الضلوع ستور
وما انتقضت يوما عليك جوانحى ... ولا حل فى قلبى سواك أمير
كتمت فقالوا شاعر ينكر الهوى ... وهل غير صدرى بالغرام خبير
ولو شئت أذهلت النجوم عن السرى ... وعطلت أفلاكا بهن تدور
وأشعلت جلد الليل منى بزفرة ... غرامية منها الشرار يطير
ولكننى أخفيت مابى وإنما ... لكل غرام عاذل وعذير
أرى الحب ذلا والشكاية ذلة ... وأنى بستر الذلتين جدير
ولى فى الهوى شعران : شعر أذيعه ... وآخر فى طى الفؤاد ستير
ولولا لجاج الحاسدين لما بدا ... لمكنون سرى فى الغرام ضمير
ولا شرعت هذا اليراع أناملى ... لشكوى ولكن اللجاج يثير
على أننى لا أركب الياس مركبا ... ولا أكبر البأساء حين تغير
فكم حاد عنى الحين والسيف مصلت ... وهان على الأمر وهو عسير
وكم لمحة فى غفلة الدهر نفست ... هموما لها بين الضلوع سعير
فقد يشتفى الصب السقيم بزروة ... وينجو بلفظ عاثر وأسير
عسى ذلك العام الجديد يسرنى ... ببشرى وهل للبائسين بشير
وينظر لى رب الأريكة نظرة ... بها ينجلى ليل الأسى وينير
مليك إذا غنى اليراع بمدحه ... سرت بالمعالى هزة وسرور
أمولاى ان الشرق قد لاح نجمه ... وآن له بعد الممات نشور
تفاءل خيراً إذ رآك مملكا ... فوقك من نور المهيمن نار
مضى زمن والغرب يسطو بحوله ... على وما لى فى الأنام ظهير
إلى أن أتاح الله للصفر نهضة ... ففلت غرار الخطب وهو طرير
جرت أمة اليابان شوطا إلى العلا ... ومصر على أثارها ستسير

ولا يمنع المصرى إدراك شأوها وأنت لطلاب العلاء نصير
فقف موقف الفاروق وانظر لأمة إليك بحبات القلوب تشير
ولا تستشر غير العزيمة فى العلا فليس سواها ناصح ومشير
فعرشك محروس وربك حارس وأنت على ملك القلوب أمير

تليت فى الاحتفال الذى أقامه المرحوم

مصطفى باشا كامل

صاحب اللواء الاغر لمدرسته التى أسسها بمصر

سمعنا حديثا كقطر الندى فجدد فى النفس ماجددا
فأضحى لآمالنا منعشا وأمسى لآلامنا مرقدا
فديناك ياشرق لا تجزعن إذا اليوم ولى فراقب غدا
فكم محنة أعقبت محنة وولت سراعا كرجع الصدى
فلا ييئسنك قيل العداة وإن كان قيلا كحز المدى
أتودع فيك كنوز العلوم ويمشى لك الغرب مسترفدا
وتبعث فى أرضك الانبياء ويأتى لك الغرب مسترشدا
وتقضى عليك قضاة الضلال طوال الليالى بأن ترقدا
اتشقى بعهد سما بالعلوم فأضحى الضعيف بها أيدا
إذا شاء بز السها سره وأدرك من جريه المقصدا
وإن شاء أدنى إليه النجوم فناجى المجرة والفرقدا
وإن شاء زعزع شم الجبال فخرت لأقدامه سجدا
وان شاء شاهد فى ذرة عوالم لم تحى فيها سدى
زمان تسخر فيه الرياح ويغدو الجماد به منشدا

وتعنو الطبيعة للعارفين ... بمعنى الوجود وسر الهدى
اذا ما أهابوا أجاب الحديد ... وقام البخار له مسعدا
وطارت إليهم من الكهرباء ... بروق على السلك تطوى المدى
أيجمل من بعد هذا وذاك ... بأن نستكين وأن نجمدا ؟
وها أمة الصفر قد مهدت ... لنا النهج فاستبقوا الموردا
فيها أيها الناشئون أعملوا ... على خير مصر وكونوا يدا
ستظهر فيكم ذوات الغيوب ... رجالا تكون لمصر الفدا
فياليت شعرى من منكم ... إذا هى نادت يلبى الندا
لك الله يا مصطفى من فتى ... كثير الأيادى كثير العدا
إذا ما حمدتك بين الرجال ... فأنت الخليق بأن تحمدا
سيحصى عليك سجل الزمان ... ثناء يخلد ما خلدا
ويهتف باسمك أبناؤنا ... اذا آن للزرع أن يحصدا

إلى المرحوم اسماعيل باشا صبرى

بعد استقالته من وكالة الحقانية

ياصار ما أنف الثواء[1] بغمده ... وأبى القرار ألا تزال صقيلا
فالبيض تصدأ فى الجفون إذا ثوت ... والماء يأسن[2] إن أقام طويلا
أهلا بمولاى الرئيس وليس من ... شرف الرياسة أن أراك وكيلا
فاطرح معاذير السكوت وقل لنا ... هلا وجدت إلى الكلام سبيلا
واضرب على الوتر الذى اهتزت له ... أعطافنا زمنا وغن النيلا
واردد على ملك القريض جماله ... تصنع بصاحبك القديم جميلا
ما زال يرجو أن يقال عثاره ... حتى أقال الله إسماعيلا

---

(١) الثواء — الاقامة (٢) أسن الماء إذا فسد .

وقال مودعا صديقيه محمد بك بدر وأحمد بدر

عند سفرهما إلى بلاد الانجليز

سيرا أيا بدرى سماء العلا ... واستقبلا اليم ولا تأفلا
سيرا إلى مهد العلوم التى ... كانت لنا ثم ازدهاها البلى
سيرا إلى الأرض التى أنبتت ... عزاً وأضحت للملا موئلا
يمشى عليها الدهر مستخزيا ... وتجذع الأحداث أن تنزلا
شعار أهليها وأبنائها ... أن يعلم المرء وأن يعملا
فزينا المجد بنور النهى ... وجملا الجاه بأن تكملا
واستبقا العلياء واستمسكا ... بعروة الصبر ولا تعجلا
وخبرا الغرب وأبناءه ... بأننا نحن الرجال الألى
لئن غدا الدهر بنا مدبراً ... لا بد للمدبر أن يقبلا
لازلتما فرعين فى دوحة ... تظل من رجى ومن أملا
نمتكما مصر وربا كما ... أب كريم جد حتى علا
مضى وقد أولا كما نعمة ... لا تبسطا فيها ولا تغللا
فرحمة الله على والد ... كسا كما الأعزاز بين الملا

وقال مخاطبا صاحب المؤيد الأغر عند انتقال

المؤيد إلى طوره الجديد

أحييت ميت رجائنا بصحيفة ... أثنى عليها الشرق والاسلام
أضحت مصلى للبلاغة عند ما ... سجدت برحب فنائها الأقلام
فعلى مؤيدك الجديد تحية ... وعلى مؤيدك القديم سلام

وقال وقد اقترح المؤيد على القراء أن ينظموا فى عتاب
مولاى عبد العزيز صاحب الجزائر

عبد العزيز لقد ذكرتنا أمماً كانت جوارك فى لهو وفى طرب
ذكرتنا يوم صاعت أرض أندلس الحرب فى الباب والسلطان فى اللعب
فاحذر على (التخت) أن يسرى الخراب له
فتخت « سلطانة » أعدى من الجرب

وقال مخاطباً صاحب الدولة المرحوم
سعد باشا زغلول
بعد إسناد الوزارة اليه وفيها سر من أسرار السياسة

مالى أرى بحر السيا سة لا ينى جزراً ومدا (١)
وأرى الصحائف أيبست ما بيننا أخذا وردا
هذا يرى رأى العمي د وذا يعد عليه عدا
وأرى الوزارة تجتنى من مر هذا العيش شهدا
نامت بمصر وأيقظت لحوادث الأيام سعدا
فطرحتها وسألت عنه فقيل لى لم يأل جهدا
يا سعد أنت مسيحها فاجعل لهذا الموت حدا
ياسعد إن بمصر أيـ تاماً تؤمل فيك سعدا
قد قام بينهموا وبيـ ن العلم ضيق الحال سدا
مازلت أرجو أن أراك أبا وأن ألقاك جدا
حتى غدوت أباله أضحت عيال القطر ولدا

(١) ونى ينى بمعنى أبطأ .

فاردد لنا عهد الامام وكن بنا الرجل المفدى
أنا لا الوم المستشا ر إذا تعلل أو تصدى
فسبيله أن يستبد د وشأننا أن نستعدا
هى سنة المحتل فى كل العصور وما تعدى

وقد نقشوا قوله على قبر المرحوم الرحالة السيد عبد الرحمن الكواكبى صاحب طبائع الاستبداد وأم القرى

هنا رجل الدنيا هنا مهبط التقى هنا خير مظلوم هنا خير كاتب
قفوا واقرأوا أم الكتاب وسلموا عليه فهذا القبر قبر الكواكبى

وقال يستقبل المغفور له الاستاذ الامام وفقيد الاسلام بعد عودته من سفر

لو ينظمون اللآلى مثل ما نظمت مذ غبت عنا عيون الفضل والأدب
لأقفر الجيد من در يحيط به والثغر من لؤلؤ والكأس من حبب

معربة عن شكسبير الشاعر الإنجليزى الشهير فى رواية ماكبيث

كأنى أرى فى الليل نصلا مجردا يطير بكلتا صفحتيه شرار
تقلبه للعين كف خفية ففيه خفوق تارة وقرار
يماثل نصلى فى صفاء فرنده[1] ويحكيه منه رونق وغرار[2]
أراه فتدنينى إليه شراستى فينأى، وفى نفسى إليه أوار[3]
أهوى بزندى طامعاً فى التقاطه فيدركه عند الدنو نفار
تخبطنى مس من الجن أم سرت بأجزاء نفسى نشوة وخمار[4]

(١) فرند السيف ماؤه الذى يترقرق فى صفحته (٢) الحد (٣) عطش (٤) أثر الخمر.

أرانى فى ليل من الشك مظلم ... فياليت شعرى هل يليه نهار
سأقتل ضيفى وابن عمى ومالكى ... ولو ان عقبى القاتلين خسار
وأرضى هوى نفسى وإن صح قولهم ... هوى النفس ذل والخيانة عار
فيأيها النصل الذى لاح فى الدجى ... وفى طى نفسى للشرور مثار
ترى خدعتنى العين أم كنت مبصرا ... وهذا دم أم فى شباتك نار (١)
وهل أنت تمثال لكيد نويته ... وذاك الدم الجارى عليك شعار (٢)
فان لم تكن وهما فكن خير مسعد ... فانى وحيد والخطوب كثار
وكن لى دليلا فى الظلام وهادياً ... فليلى بهيم والطريق عثار
على الفتك (يادانكان) صحت عزيمتى ... وإن لم يكن بينى وبينك ثار
فان يك حب التاج أعمى بصيرتى ... فمالى على هـذا القضاء خيار
أعرنى فؤاداً منك يادهر قاسيا ... لو ان القلوب القاسيات تعار
ويا حلم قاطعنى ويا رشد لاتثب ... ويا شر مالى من يديك فرار
ويا ليل أنزلنى بجوفك منزلا ... يضل به سرب القطا ويحار
وإن كنت ليل المانوية فليكن (٣) ... على سر أهل الشر منك ستار
ويا قدمى سيرى حذاراً وخافتى (٤) ... من المشى لو ينجى الأثيم حذار
وقفت بجوف الليل وقفة ساحر ... له الجن أهل والمكايد دار
إذا اشتمل الليل البهيم على الورى ... تجرد للإيذاء حيث ينار
فمالى كأنى فاتك ذو عشيرة ... خيارهم تحت الظلام شرار
إذا ماعوى ذئب الفلاهب جمعهم ... إلى الشر واستلت ظبا وشفار

---

(١) الحد (٢) علامة (٣) قوم يعبدون الليل والنهار ينسبون إلى مذهب مانى الثنوى (٤) خفى.

رفعت إلى المرحوم محمد بك المويلحى كاتب العصر وصفوة أدباء
مصر عند ظهور كتاب (عيسى بن هشام)

قلم إذا ركب الأنامل أو جرى ... سجدت له الأقلام وهى جوارى
يختال ما بين السطور كضيغم ... يختال بين عوامل وشفار
تأوى الظباء إليه وهى أوانس ... وتحيد عنه الأسد وهى ضوارى
ما حال خلق الماء بين سطوره ... إلا إلى خلق الزناد الوارى
فاذا رضيت فأحرف من رحمة ... وإذا غضبت فأحرف من نار
يابن الذى غنى اليراع بكفه ... فصبت إليه مسامع الأقدار
لك فى دمى حق أردت وفاءه ... يوم الوفاء فقصرت أشعارى
لم ينسنى مر الزمان ولم يزل ... حفظ الوداد سجيتى وشعارى
هذا كتابك قد حكت آياته ... آيات موسى التسع فى الأكبار
نسج الحرير ابوك نسج نجاره [1] ... ونسجت أنت حرائر الأفكار
فاذا نثرت على الصحيفة خلتها ... عرسا ألح عليه صوب نثار
ياصاحب المصباح ماذنب النهى ... حتى حجبت مطالع الأنوار
قد كنت تهدى السبيل بضوئه ... فتركتها فى ظلمة وعثار
باتت ترجى منك عودة غائب ... نور الصبائر فيه والأبصار
وشمائل الفكر التى ارسلتها ... حكما فأغنتها عن الأسفار
فاشرع يراعك يا محمد إنه ... نار اللئام وجنة الأحرار
وابعث لنا عيسى فهذا وقته ... فالناس بين مخادع وموارى
ومطاول فى الكاتبين ومدع ... فى العالمين ومولع بفخار
أمنوا يراعك حين طال سكونه ... فتطلعوا لمراتب الأقمار
إنى لأنظم ما نثرت وأن يكن ... نثر النظيم مطية النثار

---

(١) الاصل المحتد .

إلى أمير الشعراء المرحوم أحمد شوقى بك لمناسبة الأنعام عليه بالرتبة الأولى من الصنف الثانى (القلمية)

إن هنئوك بها فلست مهنئا إنى عهدتك قبلها محسودا
قد كان قدرك لا يحد نباهة وسعادة فغدا بها محدودا

إلى الأزبكية

كم وارث غض الشباب رميته بغرام راقصة وحب هلوك (١)
ألبسته الثوبين فى حاليهما تيه الغنى وذلة المفلوك (٢)

إلى مصر

ماذا جنيت وما جناه بنوك أظلمتهم يا مصر أم ظلوك ؟
فبسمت للغرب الطموح وأهله ومنحتهم فوق الذى منحوك
وعبست فى وجه الشآم وإنما قطر الشآم وإن عبست اخوك

* * *

فى تقريظ ديوان الشاعر المطبوع مصطفى افندى صادق الرافعى

اراك وانت نبت اليوم تمشى بشعرك فوق هام الأولينا
واوتيت النبوة فى المعانى وما دانيت حد الأربعينا
فزن تاج الرياسة بعد سامى كما زانت فرائده الجبينا
وهذا الصولجان فكن حريصا على ملك القريض وكن أمينا
فحسبك أن مطريك ابن هانى وانك قد غدوت له قرينا

فى سبيل المدرسة الجامعة

إن كنتم تبذلون المال عن رهب فنحن ندعوكم للبذل عن رغب

---

(١) الهلوك التى تبتز أموال عاشقها (٢) المفلوك الفقير البائس .

ذر الكتاتيب منشيها بلا عدد ... ذر الرماد بعين الحاذق الأرب
فأنشأوا ألف كتاب وقد علموا ... أن المصابيح لا تغنى عن الشهب
هبوا الأجير أو الحراث قد بلغا ... حد القراءة فى صحف وفى كتب
من المداوى إذا ما علة عرضت ... من المدافع عن عرض وعن نشب ؟
ومن يروض مياه النيل إن جمحت ... وأنذرت مصر بالويلات والحرب؟
ومن يوكل بالقسطاس بينكم ... حتى يرى الحق ذا حول وذا غلب
ومن يطل على الأفلاك يرصدها ... بين المناطق عن بعد وعن كثب
يبيت ينبئنا عما تنم به ... سرائر الغيب عن شفافة الحجب
ومن يبز أديم الأرض ماركزت ... فيه الطبيعة من بدع ومن عجب
يظل ينشد من ذراتها نبأ ... ضنت به الأرض فى ماض من الحقب
ومن يميط ستار الجهل ان طمست ... معالم القصد بين الشك والريب
فمالكم أيها الأقوام جامعة ... إلا بجامعة موصولة السبب
قد قام (سعد) بها حيناً وأسلمها ... إلى (أمين) فلم يحجم ولم يهب
فعاونوه يعاونكم على عمل ... فيه الفخار وما ترجون من أرب
وبينوا لرجال الغرب أنكم ... إذا طلبتم بلغتم غاية الطلب
لا تلجأوا فى العلى إلا إلى همم ... وثابة لا تبالى همة النوب
فان تأميلكم فى غيركم وهن ... فى النفس يرخى عنان السعى والدأب
إن قام منا مناد قال قائلهم ... لا تصخبوا فهلاك الشعب فى الصخب
أو نابنا حادث نرجو إزالته ... قال استكينوا وخلوا سورة الغضب
فما سمونا إلى نجد نحاوله ... إلا هبطنا إلى غور من العطب
يامصر هل بعد هذا اليأس متسع ... يجرى الرجاء به فى كل مضطرب
لا نحن موتى ولا الأحياء تشبهنا ... كأننا فيك لم نشهد ولم نغب
نبكى على بلد سال النضار به ... للوافدين وأهلوه على سغب

متى نراه وقد باتت خزائنه كنزاً من العلم لا كنزاً من الذهب
هذا هو العمل المبرور فاكتتبوا بالمال إنا اكتتبنا فيه بالأدب

وقال فى مرض له

مرضنا فما عادنا عائد ولا قيل أين الفتى الألمعى
ولا حن طرس إلى كاتب ولا خف لفظ على مسمع
سكتنا فعز علينا السكوت وهان الكلام على المدعى
فيا دولة آذنت بالزوال رجعنا لعهد الهوى فارجعى
ولا تحسبينا سلونا النسيب وبين الضلوع فؤاد يعى

وقال فى العام الذى أسس فيه الخزان ونقص فيه الفيضان :

أنكر النيل موقف الخزان فانثنى قافلا إلى السودان
راعه أن يرى على جانبيه رصداً من مكايد الانسان

وقال :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم وبألف ألف ترزق الأموات
من لى بحظ النائمين بحفرة قامت على أحجارها الصلوات
يسعى الأنام لها ويجرى حولها بحر النذور وتقرأ الآيات
ويقال هذا القطب باب المصطفى ووسيلة تقضى بها الحاجات

وقال فى حالة مصر

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت حواشيه حتى بات ظلما منظما
تمن علينا اليوم أن أخصب الثرى وأن أصبح المصرى حراً منعما
أعد عهد اسماعيل جلداً وسخرة فانى رأيت المن أبكى وآلما
عملتم على عز الجما وذلنا فأغليتم طينا وأرخصتم دما

اذا أخصبت أرض وأجدب أهلها فلا أطلعت نبتاً ولا جادها السما
نهش الى الدينار حتى اذا مشى به ربه للسوق الفاه درهماً
فلا تحسبوا فى وفرة المال لم تفد متاعا ولم تعصم من الفقر مغنما
فان كثير المال والخفض وارف قليل اذا حل الغلاء وخيما

الأمتان تتصافحان

لمصر أم لربوع الشام تنتسب هنا العلى وهناك المجد والحسب
ركنان للشرق لازالت ربوعهما قلب الهلال عليها خافق يجب
خدران للضاد لم تهتك ستورهما ولا تحول عن مغناهما الأدب
أم اللغات غداة الفخر أمهما وإن سألت عن الآباء فالعرب
أيرغبان عن الحسنى وبينهما فى رائعات المعالى ذلك النسب
ولا يمتان بالقربى وبينهما تلك القرابة لم يقطع لها سبب
إذا ألمت بوادى النيل نازلة باتت لها راسيات الشام تضطرب
وإن دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم اجابه فى ذرى لبنان منتحب
لو اخلص النيل والأردن ودهما تصافحت منهما الأمواه والعشب
بالواديين تمشى الفخر مشيته يحف ناحيتيه الجود والدأب
فسال هذا سخاء دونه ديم وسال هذا مضاء دونه القضب
نسيم لبنان كم جادتك عاطرة من الرياض وكم حياك منسكب
فى الشرق والغرب أنفاس مسعرة تهفو إليك وأكباد بها لهب
لولا طلاب العلا لم يبتغوا بدلا من طيب رياك لكن العلا تعب
كم غادة بربوع الشام باكية على أليف لها يرمى به الطلب
يمضى ولا حيلة إلا عزيمته وينشى وحلاه المجد والذهب
يكر صرف الليالى عنه منقلبا وعزمه ليس يدرى كيف ينقلب

بأرض (كولمب) أبطال غطارفة ... اسد جياع إذا ماوثبوا وثبوا
لم يجمهم علم فيها ولا عدد ... سوى مضاء تحامى ورده النوب
أسطولهم أمل فى البحر مرتحل ... وجيشهم عمل فى البر مغترب
لهم بكل خضم مسرب نهج ... وفى ذرى كل طود مسلك عجب
لم تبد بارقة فى أفق منتجع ... إلا وكان لها بالشام مرتقب
ماعابهم أنهم فى الأرض قد نثروا ... فالشهب منثورة مذكانت الشهب
ولم يضرهم سراء فى مناكبها ... فكل حى له فى الكون مضطرب
راودا المناهل فى الدنيا ولو وجدوا ... إلى المجرة ركبا صاعدا ركبوا
أو قيل فى الشمس للراجين منتجع ... مدوا لها سبباً فى الجو وانتدبوا
سعوا إلى الكسب محموداً ومافتئت ... أم اللغات بذاك السعى تكتسب
فأين كان الشآميون كان لها ... عيش جديد وفضل ليس يحتجب
هذى يدى عن بنى مصر تصافحكم ... فصافحوها تصافح نفسها العرب
فما الكنانة إلا الشام عاج على ... ربوعها من بنيها سادة نجب
لولا رجال تغالوا فى سياستهم ... منا ومنهم لما لمنا ولا عتبوا
إن يكتبوا لى ذنبا فى مودتهم ... فانما الفخر فى الذنب الذى كتبوا

زلزال إيطاليه

نبئانى إن كنتما تعلمان ... مادهى الكون أيها الفرقدان ؟
غضب الله أم تمردت الأر ... ض فأنحت على بنى الانسان ؟!
ليس هذا سبحان ربى ولا ذا ... ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان فى الأرض نفس عنه ... ثوران فى البحر والبركان
رب أين المفر والبحر والبر ... على الكيد للورى عاملان ؟!
كنت أخشى البحار والموت فيها ... راصد غفلة من الربان

سابح تحتنا مصل علينا حائم حولنا مناء مدانى
فاذا الأرض والبحار سواء فى خلاق ، كلاهما غادران !

***

ما « لمسين » عولجت فى صباها ودعاها من الردى داعيان
ومحت تلكم المحاسن منها حين تمت آياتها آيتان
خسفت ثم أغرقت ثم بادت قضى الأمر كله فى ثوان
وأتى أمرها فأضحت كأن لم تك بالأمس زينة البلدان
ليتها أمهلت فتقضى حقوقا من وداع اللذات والجيران
لمحة يسعد الصديقان فيها باجتماع ويلتقى العاشقان
بغت الأرض والجبال عليها وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلى حقداً عليها فتنشق ق انشقاقا من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجما وقذفا بشواظ من مارج ودخان
وتسوق البحار رداً عليها جيش موج نائى الجناجين دانى
فهنا الموت أسود اللون جون وهنا الموت أحمر اللون قانى
جند الماء والثرى لهلاك الـ خلق ثم استعان بالنيران
ودعا السحب عاتيا فأمدت ه بجيش من الصواعق ثان
فاستحال النجاء واستحكم اليأ س وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموت غله من نفوس لاتباليه فى مجال الطعان

***

أين «رجيو» وأين ما كان فيها من مغان مأهولة وغوانى
عولجت مثل أختها ودهاها مادهاها من ذلك الثوران
رب طفل قد ساخ فى باطن الأر ض ينادى أمى ! أبى ! أدركانى
وفتاة هيفاء تشوى على الجم ر تعانى من حره ماتعانى

واب ذاهل إلى النار يمشى مستميتا تمتد منه اليدان
باحثا عن بناته وبنيه مسرع الخطو مستطير الجنان
تأكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه وانى

* * *

غصت الأرض ، أتخم البحر مما طوياه من هذه الأبدان
وشكى الحوت للنسور شكاة رددتها النسور للحيتان
أسرفا فى الجسوم نقرا ونهشا ثم باتا من كظة يشكوان
لا رعى الله ساكن القمم الشم ولا حاط ساكن القيعان
قد أغارا على أكف يراها بارىء الكائنات للاتقان
كيف لم يرحما أناملها الغر ولم يرفقا بتلك البنان ؟
لهف نفسى وألف لهف عليها من أكف كانت صناع الزمان
مولعات بصيد كل جميل ناصبات حبائل الألوان
حافرات فى الصخر أو ناقشات شائدات روائع البنيان
منطقات لسان كل جماد مفحمات سواجع الأفنان
ملهمات من دقة الصنع مالا يلهم الشعر من دقيق المعانى
من تماثيل كالنجوم الدرارى يهرم الدهر وهى فى عنفوان
عجب صنعها وأعجب منها صنعها . تلك قدرة الرحمان

* * *

إيه « مسين » آنسى اليوم « بمبا ى » فقد أوحشت بذاك المكان
آنسى الدرة التى كانت الحلـ ـية فى تاج دولة الرومان
غالها قبلك الزمان اغتيالا وهى تلهو فى غبطة وأمان
جاءها الأمر والسراة عكوف فى الملاهى على غناء القيان

بين صب مدله وطروب وخليع فى اللهو مرخى العنان

✡✡✡

فانطووا كانطواء أهلك بالام س وزالت بشاشة العمران
أنت « مسين » لم تزولى كما زا لت ولكن أمسيت رهن الأوان
إن إيطاليا بنوها بناة فاطمئنى ما دام فى الحى بانى

✡✡✡

فسلام عليك يوم توليـ ت بما فيك من مغان حسان
وســـلام عليك يوم تعودي ن كما كنت جنة الطليان
وسلام مـ ـن كل حى على الأر ض، على كل هالك فيك فان
وسلام على الألى أكل الذئـ ب وناشت جوارح العقبان
وسلام على امرىء جاد بالدم ع، وثنى بالأصفر الرنان
ذاك حق الانسان عند بنى الانـ سان لم أدعكم إلى إحسان
فاكتبوا فى سماء « رجيو » و« مسـ ـين و « كالبريا » بكل لسان
ها هنا مصرع الصناعة والتصـ ـوير والحذق والحجا والاغانى

وداع اللورد كرومر

فتى الشعر هذا موطن الصدق والهدى
فلا تكذب التاريخ إن كنت منشدا
لقد حان توديع العميد وإنه حقيق بتشييع المحبين والعدا
فودع لنا الطود الذى كان شامخا وشيع لنا البحر الذى كان مزبدا
وزوده عنا بالكرامة كلها وإن لم يكن بالباقيات مزودا
فلم لا نرى الأهرام يانيل ميدا وفرعون عن واديك مرتحل غدا
كأنك لم تجزع عليه ولم تكن ترى فى حمى فرعون أمنا ولا جدا

✡✡✡

سلام — ولو أنّا نسيء إلى الألى أساءوا إلينا — ما مددنا لهم يدا
سنطرى أياديك التى قد أفضتها علينا فلسنا أمة تجحد اليدا
أمنا فلم يسلك بنا الخوف مسلكا ونمنا فلم يطرق لنا الذعر مرقدا
وكنت رحيم القلب تحمى ضعيفنا وتدفع عنا حادث الدهر إن عدا
ولولا أسى فى دنشواى ولوعة وفاجعة أدمت قلوباً وأكبدا
ورميك شعباً بالتعصب غافلا وتصويرك الشرقى غراً مجرداً
لذبنا أسى يوم الوداع لأننا نرى فيك ذاك المصلح المتوددا

***

تشعبت الآراء فيك فقائل أفاد الغنى أهل البلاد وأسعدا
وكانت له فى المصلحين سياسة ترخص فيها تارة وتشددا
رأى العز كل العز فى بسطة الغنى فحارب جيش الفقر حتى تبددا
وأمتعكم بالنيل فهو مبارك على أهله خصباً ورياً وموردا
سن لكم حرية القول عندما رأى القول فى أسر السكوت مقيدا

***

وآخر لم يقصر على المال همه يرى أن ذاك المال لايكفل الهدى
فلا يحمد الأثراء حتى يزينه بعلم وخير العلم ما كان مرشدا

***

يناديك قد أزريت بالعلم والحجى ولم تبق للتعليم يا (لورد) معهدا
وأنك أخصبت البلاد تعمدا وأجدبت فى مصر العقول تعمدا
قضيت على أم اللغات وإنه قضاء علينا أو سبيل إلى الردى
ووافيت والقطران فى ظل راية فما زلت بالسودان حتى تمردا
فطاح كما طاحت «مصوع» بعده وضاعت مساعينا بأطماعكم سدى
حجبت ضياء الصحف عن ظلماته ولم تستقل حتى حجبت المؤيدا

وأودعت تقرير الوداع مغامزاً ... رأينا جفاء الطبع فيهـا مجسدا
غمزت بهـا دين النبى وإننـا ... لنغضب ان أغضبت فى القبر أحمدا
يناديك أين النـابغون بعهـدكم ... وأين بنـاء شامخ قد تجـددا
فما عهد إسماعيل والعيش ضيق ... بأجدب من عهد لـكم سال عسجدا
يناديك وليت الوزارة هيئـة ... من الصم لم تسمع لأصواتنا صدى
فليس بها عند التشاور من فتى ... أبى إذا ما اصدر الأمر أوردا
بربك ماذا صدنا ولوى بنا ... عن القصد إن كان السبيل ممهدا
أشرت برأى فى كتابك لم يـكن ... سديداً ولـكن كان سهما مسددا
وحاولت إعطاء الغريب مكانة ... تجر علينا الويل والذل سرمدا
فياويل مصر يوم تشقى بندوة ... يبيت بها ذاك الغريب مسودا
ألم يـكفنا أنا سلبنا ضياعنا ... على حين لم تبلغ من الفطنة المدى
وزاحمتنا فى العيش كل ممارس ... خبير وكنا جاهلين ورقدا
وما الشركات السود فى كل بلدة ... سوى شرك يلقى به من تصيدا

***

فهذا حديث الناس والناس ألسن ... إذا قال هذا صاح ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم ... لسجلت لى رأياً وبلغت مقصدا
ولـكننى فى معرض القول شاعر ... أضاف إلى التاريخ قولا مخلدا
فيا أيهـا الشيخ الجليـل تحيـه ... ويأيهـا القصر المنيف تجلدا
لئن غاب هذا الليث عنك لعلة ... لقد لبثت آثاره فيـك شهداً

***

تحية الأخلاص للأمة العثمانية الدستورية

وتهليل المسلمين لافتتاح السكة الحديدية الحجازية

أثنى الحجيج عليك والحرمان ... وأجل عيد جلوسك الثقـلان

أرضيت ربك إذ جعلت طريقه أمناً وفزت بنعمة الرضوان
وجمعت بالدستور حولك أمة شتى المذاهب جمة الاضغان
فغدوت تسكن فى القلوب وترتعى حباتها وتحل فى الوجدان
راعيتهم حتى علمت بأنهم بلغوا أشدهم على الأزمان
فجعلت أمر الناس شورى بينهم وأقمت شرع الواحد الديان
لو أنهم وزنوا الجيوش بمشهد رجحت بجيشك كفة الميزان
لو شاء زلزلها على أعدائه أو شاء أذهلها عن الدوران
يمشون فى حلق الحديد إلى العدا وكأنهم سد من الانسان
وكأن مقدمهم إذا لمع الضحى سيل من الهندى والمران
يتواقعون على الردى وصفوفهم رغم الوثوب كثابت البنيان
فاذا المدافع فى النزال تجاوبت بزئيرها وتلاحم الجيشان
وإذا القنابل دمدمت وتفجرت تحت الغبار تفجر البركان
وإذا البنادق أرسلت نيرانها طلقاً وأسباب الهلاك دوانى
أبصرت جنا فى مسالخ فتية وشهدت أفئدة من الصوان
مرهم يخوضون الزاخرات وينسفوا شم الجبال بقوة الايمان
ثلجت صدورهم وقر قرارهم لما حلفت بأوثق الايمان
تالله ما شكوا بصدقك دونها هم يعرفون شمائل السلطان
لكنهم درجوا على سنن به لوقاية الدستور خير ضمان
يايها الشعب الكريم تماسكوا وخذوا أموركم بغير توان
مالى أذكركم وتلك ربوعكم مرعى النهى ومنابت الشجعان
أدركتم الدستور غير ملوث بدم ولا متلطخاً بهوان
وفعلتم فعل الرجال وكنتم يوم الفخار كأمة اليابان
فتفيؤوا ظل الهلال فانه جم المبرة واسع الاحسان

يرعى لموسى والمسيح وأحمد ... حق الولاء وحرمة الأديان
فخذوا المواثق والعهود على هدى التـ ... ـوراة والانجيل والفرقان
وتذوقوا معنى الحياة فانها ... فى مصر ألفاظ بغير معان
ودعوا التقاطع فى المذاهب بينكم ... إن التقاطع آية الخذلان
وتسابقوا للباقيات وأظهروا ... للعالمين دفائن الأذهان
ولى زمان المعتدين كما انطوت ... حيل الشيوخ وإمرة الخصيان
لا الشك يذهب باليقين ولا الرؤى ... تجدى المسىء ولا رقى الشيطان
وضع الكتاب وسيق جمعهم إلى ... يوم الحساب وموقف الاذعان
وتوسموهم فى القيود فقائل ... هـذا فلان قد وشى بفلان
وملبب بغريمه ومطالب ... بدم أريق بمسبح الحيتان
قد جاء يومهم هنا وأمامهم ... بعد النشور هناك يوم ثانى
سبحان من دان القضاء بأمره ... ليد الضعيف من القوى الجانى
يا يوم عاد النازحون لأرضهم ... يتسابقون لرؤية الأوطان
لله كم أطفأت من نار ذكت ... دهرا وكم هدأت من أشجان
هذا يطير إلى (فروق) ومن بها ... شوقا وذاك إلى ربى (لبنان)
خلعوا الشباب على البشير وأخلقوا ... باللثم عهد خليفة الرحمن
وتعانقوا بعد النوى كخمائل ... يحلو بهن تعانق الأغصان
فترى النساء مع الرجال سوافرا ... لايتقين عوادى الأجفان
عجبا لهن وقد خلقن أوانسا ... يبرزن فى فرح وفى أحزان
اهلا بحاسرة اللثام ومن إذا ... سفرت عنا لجمالها القمران
خطرت فعطرت المشارق عندما ... هبت نسائمها من (البلقان)

* * *

ياليتها خطرت بمصر وأشرقت ... فى يوم أسعدها على طهران

أضناهما شوق قد ابيضت له كبداهما وتصدع القلبان
عرف الورى ميقاتها فترقبوا (تموز) مثل ترقب الظمآن
شهر به بعث الرجاء وأنشرت أمم وبدل خوفها بأمان
فله على الدنيا الجديدة منة يشدو بذكر صنيعها الفتيان
وعلى فرنسيس الحضارة منة تتلى أناشيد لها وأغانى
(تموز) أنت أبو الشهور جلالة (تموز) أنت منى الأسير العانى
هلا جعلت لنا نصيبا علنا نجرى مع الأحياء فى ميدان
أيعود منك الآملون بما رجوا ونعود نحن بذلك الحرمان
(تموز) إن بنا إليك لحاجة فمتى الأوان وانت خير اوان
منى على دار السلام تحية وعلى الخليفة من بنى عثمان
وعلى رجال الجيش من ماش به او راكب او نازح أو دانى
وعلى الألى سكنوا إلى الحسنى سوى ذاك الذى يدعو إلى العصيان
وإلى الحجاز الخارجى وما به إلا إقتناص الأصفر الرنان
ما للشريف المنتمى حسباً إلى خير البرية من بنى عدنان
أمسى يمالئه وينصر غيه وضلاله بحثالة العربان
تالله لو جندتما رمل النقا ونزلتما بمواطن العقبان
وغرستما أرض الحجاز أسنة وأسلتما بحراً من النيران
واقمتما فيها المعاقل منعة من أرض نجد إلى خليج عمان
لدها كما ورماكما وزراكما ماحى الحصون وماسح البلدان
إن تاتيا طوعا وإلا فأتيا كرها بلا حول ولا سلطان
وإليك يا فرع الخلائف مدحة عزت شوارددها على حسان
من شاعر وثب النهى لقريضه وثب النفوس لرنة العيدان
يهدى المديح إلى المليك سبائكا تعنو لهن سبائك العقيان

إن الملوك إذا استوت ألبستها بالمدح تيجانا على تيجان

فى فتنة الاستانة

لارعى الله عهدها من جدود كيف أمسيت يابن عبد المجيد
مشبع الحوت من لحوم البرايا ومجيع الجنود تحت البنود
كنت أبكى بالأمس منك فمالى بت أبكى عليك عبد الحميد
فرح المسلمون قبل النصارى فيك قبل الدروز قبل اليهود
شمتوا كلهم وليس من الهمـ ـمة أن يشمت الورى فى طريد
أنت عبد الحميد والتاج معقو د وعبد الحميد رهن القيود
خالد أنت رغم أنف الليالى فى كبار الرجال أهل الخلود
لك فى الدهر والكمال محال صفحات مابين بيض وسود
حاولوا طمس ماصنعت وودوا لو يطيقون طمس خط الحديد
ذاك عبد الحميد ذخرك عند الـ ـله باق إن ضاع عند العبيد
أكرموه وراقبو الله فى الشيـ ـخ ولا ترهقوه بالتهديد
لاتخافوا أذاه فالشيخ هاو ليس فيه بقية للصعود
ولى الأمر ثلث قرن ينادى باسمه كل مسلم فى الوجود
كلما قامت الصلاة دعى الدا عى لعبد الحميد بالتأييد
فاسم هذا الأسير قد كان مقرو نا بذكر الرسول والتوحيد
بت أخشى عليكم أن يقولوا إن أثرتم من كامنات الحقود
كان عبد الحميد بالأمس فردا فغدا اليوم الف عبد الحميد
ياأسيرا (فى سنت هيلين) رحب [1] بأسير فى سالونيك جديد
قل له كيف : زال ملكك لم يعـ ـصمك إعداد عدة أو عديد ؟

---

(١) هو نابليون نونابرت أسير الجزيرة .

لم تصنك الجنود تفديك بالأر ... واح والمال يا غرام الجنود
قل له : كيف كنت ؟ كيف ملكت الـ ... أرض ؟ كيف انفردت بالتمجيد ؟
فثللت العروش عرشا فعرشا ... وصبغت الصعيد بعد الصعيد
كلما نلت غاية لم تنلها ... همة الدهر قلت هل من مزيد
ضاقت الأرض عن مداك فأرسلـ ... ـت بطرف إلى السماء عتيد
قل له جل من له الملك لاملـ ... ـك لغير المهيمن المعبود
أنت مهما شقيت أرفه حالا ... من أسير الجزيرة المكمود
وأسير الأقفاص قد كان أشقى ... لو سألت الأسفار عن (بايزيد) [1]

* * *

كان عبد الحميد فى القصر أشقى ... منه فى الأسر والبلاء الشديد
كان لا يعرف القرار بليل ... لا ولا يستلذ طعم الهجود
حذرا يرهب الظلام ويخشى ... خطرة الريح أو بكاء الوليد
نفق تحت طابق الأرض أخفى ... فى تدجيه من ضمير الكنود
يعجز الوهم عن تلمس ذاك الـ ... ـباب باب الخليفة المنكود

* * *

أصحيح ما قيل عنك وحق ... ما سمعنا عن الرواة الشهود ؟
أن عبد الحميد قد هدم الشر ... ع وأربى على فعال الوليد
إن بريئا وإن أثيما ستجزى ... يوم تجزى أمام رب شهيد
أصحيح بكيت لما أتـ ... ـد ونابتك رعشة الرعديد
ونسيت الإباء والمجد والسؤ ... دد والعز يا كريم الجدود
ما عهدنا الملوك تبكى ولكن ... علها نزوة الفؤاد الجليد

---

(١) هو والد السلطان سليم أحد ملوك آل عثمان اسره تيمورلنك وسجنه فى قفص فمات كمدا .

علها دمعة الوداع لذاك الـ ـملك أو ذكرة لتلك العهود
غسل الدمع عنك حوبة ماضيـ ـك ووقاك شر يوم الوعيد
شفع الدمع فيك عند البرايا ليس ذاك الشفيع بالمردود
دمعك اليوم مثل أمرك بالأمـ ـس مطاع فى سيد ومسود
كان عبد العزيز اجمل أمراً منك فى يوم خلعه المشهود
خاف مأثور قوله فتعالى عن صغار ومات موت الأسود
ضم مقراضه إليه ونادى دون ذل الحياة قطع الوريد

***

حى عهد الرشاد ياشرق وابلغ ما تمنيت من زمان بعيد
قد تولى (محمد الخامس) الملـ ـك فاعظم بتاجه المعقود
وتجلى فى مهرجان تحلى سيف عثمان فيه بالتقليد
وقف الدهر خاشعا إذ رأى السيـ ـف فين فى قبضة العزيز المجيد
طأطئى للجلال يا أمم الأر ض سجودا هذا مقام السجود
علم الله أن عهد (رشاد) خير فأل برد عهد الرشيد

شعر الحرية فى عهد الدستور العثمانى

أجل هذه أعلامه ومواكبه هنيئا لهم فليسحب الذيل ساحبه
هنيئاً لهم فالكون فى يوم عيدهم مشارقه وضاءة ومغاربه
رعى الله شعبا جمع العدل شمله وتمت على عهد الرشاد رغائبه
تحالف فى ظل الهلال إمامه وحاخامه بعد الخلاف وراهبه
خذوا بيد الاصلاح والأمر مقبل فانى أرى الاصلاح قد طر شاربه
وردوا على الملك الشباب الذى ذوى فانى رأيت الملك شابت ذوائبه
فمن يطلب الدستور بالسوء بعد ما حمته يد الفاروق فالله طالبه

إذا شوكت الفاروق قام مناديا ... إلى الحق لباه نيازى وصاحبه
ثلاثة آساد يجانبها الردى ... وإن هى لاقاها الردى لاتجانبه
يصارعها صرف المنون فتلتقى ... مخالبها فيـــه وتنبو مخالبه
روت قول بشار فثارت وأقسمت ... وقامت إلى عبد الحميد تحاسبه
(إذا الملك الجبار صعر خده ... مشينا إليـه بالسيوف نعاتبه)
وسار على أعقابهـا كل سابح ... على متنه برج مشيد يداعبه
يصيح به لارى أو نبلغ المنى ... ولا شبع أو يرجع الحق غاصبه
هنالك فانهل واتخذْ ثمَّ مربطاً ... بيلدز واحمد فى الوغى من تصاحبه
رجال من الايمان ملء نفوسهم ... وجيش من الأتراك ظمأى قواضبه
صوالجه سمر القنا وكراته ... رءوس الأعادى والحصون ملاعبه
إذا ثار دكت أجبل وتخشعت ... بحار وأمضى الله ماهو كاتبه
وثلت عروش واستقرت ممالك ... ولو أن ذا القرنين فيها يناصبه

***

فمن لم يشاهد يلدزا بعد ربهـا ... وقد زال عنه الملك واندك جانبه
وأسلمه أحبابه لقضاته ... وفر ولم يخش المعرة كاتبـه
وقلمت الأقدار أظفار بطشه ... ودل على ما تجهل الجن حاجبه
فما شهد الدنيـا تزول ولا رأى ... بلاءً قضاه الله فيمن يحاربه
أبيح حماها وانطوى مجد ربها ... وقامت على البيت الحميدى نوادبه
ولم يغن عن عبد الحميد دهاؤه ... ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه ... دنانيره والأمر بالأمر حازبه
ولم يخفه عن أعين الحق مخدع ... ولا نفق فى الأرض جم مساربه
أقام عليه مهلكا عند مهلك ... يمر به روح الصبا فيواثبه

تحاماه حتى الوهم خوف اغتياله ... فلو مسه طيف لدارت لوالبه
وأسرف فى حب الحياة فخاطها ... بسور من الأهوال لم ينج راكبه
ففى كل قفل للمنية مكمن ... وفى كل مفتاح قضاء يراقبه
وفى كل ركن صورة لو تكلمت ... لما شك فى عبد الحميد مخاطبه
تماثيل إبهام أنيمت وأقعدت ... تراءى بها أعطافه ومناكبه
تمثله فى نومه وجلوسه ... وتخدع فيه الموت حين يقاربه
أقام عليه ألف موت محجب ... ليغلب موتا واحداً عز غالبه
سلوه أأغنت عنه فى يوم خلعه ... عجائبه أو أحرزته غرائبه
وقد نزل المقدار بالأمر صادعا ... فضاقت على شيخ الملوك مذاهبه
وأخرجه من يلدز رب يلدز ... وجرده من سيف عثمان واهبه
وأصبح فى منفاه والجيش دونه ... يغالب ذكرى ملكه وتغالبه
يناديه صوت الحق ذق ما أذقتهم ... فكل امرىء رهن بما هو كاسبه
همو منحوك اليوم ما أنت مشته ... فرد لهم بالأمس ما أنت سالبه
ودع عنك ما أملت إن كنت حازما ... فلم يبق للآمال فضل تجاذبه
مضى عهد الاستبداد واندك صرحه ... وولت أفاعيه وماتت عقاربه

***

لك الله يا تمـــوز أنك باسم ... لجرحى الأسى والدهر تعدو نوائبه
فكم رعت جباراً وأرهقت ظالما ... وأنصفت مظلوما توالت مصائبه
فديناك من شهر أغر محجل ... أوائله ميمونة وعواقبه
تقابله الأعياد فى الأرض كلما ... تجلى هلال الشهر أو لاح حاجبه
ففى الغرب عيد ينظم الغرب حسنه ... فتهتز من وقع السرور جوانبه
وفى الشرق عيد لم ير الشرق مثله ... تدفق فى دار السلام مواكبه
يطيفون بالعرش الكريم وربه ... تطيف بهم آلاؤه ومناقبه

لتهني أمير المؤمنين محمدا خلافته فالعرش سعد كواكبه
ستملك أمواج البحار سفينهم كما ملكت شم الجبال كتائبه
ممالكه محروسة وثغوره ركائبه منصورة ومراكبه

آلامنا وآمالنا

قيلت للمغفور له السلطان حسين كامل قبل توليه الملك

لقد نصل الدجى فمتى تنام أهم ذاد نومك أم هيام
غنى المحزون والشاكى وأغنى أخو البلوى ونام المستهام
وأنت تقلب الكفين آنا وآونة يقلبك السقام
تحدرت المدامع منك حتى تعلم من محاجرك الغمام
وضجت من تقلبك الحشايا وأشفق من تلهفك الظلام
تبيت تساجل الأفلاك سهدا وعين الكون رنقها المقام
وتكتمنا حديث هواك حتى أذاع الصمت ما أخفى الكلام
بربك هل رجعت إلى رسيس من الذكرى وهل رجع الغرام
وقد لمع المشيب وذاك سيف على فوديك علقه الحمام
أيجمل بالأديب أديب مصر بكاء الطفل أرهقه الفطام
ويصرفه الهوى عن ذكر مصر ومصر فى يد الباغى تضام
عدمت يراعتى إن كان مابى هوى بين الضلوع له ضرام
وما أنا والغرام وشاب رأسى وغال شبابى الخطب الجسام
وربانى الذى ربى لبيدا فعلمنى الذى جهل الأنام
لعمرك ما أرقت لغير مصر ومالى دونها أمد يرام
ذكرت جلالها أيام كانت تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال وأيام الزمان لها غلام

فأفلق مضجعى مابات فيها ... وباتت مصر فيه فهل ألام ؟
أرى شعباً بمدرجة العوادى ... تمخمخ عظمه داء عقام
إذا ما مر بالأساء عام ... أطل عليه بالأساء عام
سرى داء التواكل فيه حتى ... تخطف رزقه ذاك الزحام
قد استعصى على الحكماء منا ... كما استعصى على الطب الجذام
هلاك الفرد منشؤه توان ... وموت الشعب منشؤه انقسام
وإنا قد ونينا وانقسمنا ... فلا سعى هناك ولا وئام
فساء مقامنا فى أرض مصر ... وطاب لغيرنا فيها المقام
فلا عجب إذا ملكت علينا ... مذاهبنا وأكثرنا نيام
« حسين حسين » أنت لها فنبه ... رجالا عن طلاب الحق ناموا
وكن بأبيك لابن أخيك عونا ... فأنت بكفه نعم الحسام
أفض فى قاعة الشورى وئاما ... فقد أودى بنا وبها الخصام
وعلمهم مصادمة الأعادى ... فمثلك لا يروعه الصدام
ففى حزب اليمين لديك قوم ... وإن قلوا فانهم كرام
وفى حزب الشمال لديك أسد ... كماة لا يطيب لها انهزام
فكونوا للبلاد ولا يفتكم ... من النهزات والفرص اغتنام
فما سادوا بمعجزة علينا ... ولكن فى صفوفهم انضمام
فلا تثقوا بوعد القوم يوما ... فان سحاب ساستهم جهام
وخافوهم إذا لانوا فانى ... أرى السواس ليس لهم ذمام
فكم ضحك العميد على لحانا ... وغر سراتنا منه ابتسام
(أبا الفلاح) ان الأمر فوضى ... وجهل الشعب والفوضى لزام
فأسعدنا بنشر العلم واعلم ... بأن النقص يعقبه التمام
وليس العلم يمسكنا وحيدا ... إذا لم ينصر العلم اعتزام

وإن لم يدرك الدستور مصراً ... فما لحياتها أبدا قوام
حمونا ورد ماء النيل عذبا ... وقالوا انه موت زؤام
وما الموت الزؤام إذا عقلنا ... سوى الشركات حل لها الحرام
لقد سعدت بغفلتنا فراحت ... بثروتنا وأولها « الترام »
فياويل « القناة » إذا احتواها ... بنو التاميز وانحسر اللثام
لقد بقيت من الدنيا حطاما ... بأيدينا وقد عز الحطام
وقد كنا جعلناها زماما ... فوالهفى إذا قطع الزمام
فياقصر « الدبارة » لست أدرى ... أحرب فى جرابك أم سلام
أجبنا هل يراد بنا وراء ... فنقضى أم يراد بنا أمام
وياحزب اليمين إليك عنا ... لقد طاشت نبالك والسهام
وياحزب الشمال عليك منا ... ومن أبناء نجدتك السلام

وقال فى أول السنة الهجرية

أطل على الأكوان والخلق تنظر ... هلال رآه المسلمون فكبروا
تجلى لهم فى صورة زاد حسنها ... على الدهر حسناً أنها تتكرر
وبشرهم من وجهه وجبينه ... وغرته والناظرين مبشر
وأذكرهم يوماً أغر محجلا ... به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير داع إلى الهدى ... يحف به من قوة الله عسكر
يماشيه جبريل وتسعى وراءه ... ملائكة ترعى خطاه وتخفر
ييسراه برهان من الله ساطع ... هدى وبيمناه الكتاب المطهر
فكان على أبواب مكة ركبه ... وفى يثرب أنواره تتفجر

***

مضى العام ميمون الشهور مباركا ... تعدد آثار له وتسطر

مضى غير مذموم فان يذكروا له ... هنات فطبع الدهر يصفو ويكدر
وإن قيل ودى بالألوف أجابهم ... مجيب لقد أحيي الملايين فانظروا
إذا قيس إحسان امرئ بإساءة ... فأربى عليها فالاساءة تغفر
ففيه أفاق النائمو وقد أتت ... عليهم كأهل الكهف فى النوم أعصر
وفى عالم الاسلام فى كل بقعة ... له أثر باق وذكر معطر

***

سلوا الترك عما أدركوا فيه من منى ... وما بدلوا فى المشرقين وغيروا
وان لم يقم إلا نيازى وأنور ... فقد ملأ الدنيا نيازى وأنور
تواصوا بصبر ثم سلوا من الحجى ... سيوفا وجدوا جدهم وتدبروا
فسادوا وشادوا للهلال منازلا ... على هامها سعد الكواكب ينثر
تجلى بها عبد الحميد بوجهه ... على شعبه والشاه خزيان ينظر
سلام على عبد الحميد وجيشه ... وأمته ماقام فى الشرق منبر

***

سلوا الفرس عن ذكرى أياديه عندهم ... فقد كان فيه الفرس عمياً فأبصروا
جلا لهم وجه الحياة فشاقهم ... فباتوا على أبوابها وتجمهروا
ينادون أن منى علينا بنظرة ... وأحيي قلوبا أوشكت تتفطر
كلانا مشوق والسبيل ممهد ... إلى الوصل لولا ذلك المتغشمر
أطلى غلينا لاتخافى فاننا ... بسرك أوفى منه حولا وأقدر
سلام عليكم أمة الفرس إنكم ... خليقون أن تحيوا كراما وتفخروا
ولا أقرئ الشاه السلام فانه ... يريق دماء المصلحين ويهدر

***

وفيه هوى عبد العزيز وعرشه ... وأخنى عليه الدهر والأمر مدبر
ولا عجب إن ثل عرش مملك ... قوائمه عود ودف ومزهر

فالقى إلى عبد الحفيظ بتاجه ومر على دراجة يتعثر
وقام بأمر المسلمين موفق على عهده مراكش تتحضر

***

وفى دولة الأفغان كانت شهوره وأيامه بالسعد واليمن تزهر
اقام بها والعود ريان أخضر وفارقها والعود فينان مثمر
وعوذها بالله من شر طامع إذمارمى (أدوارد) اوراش (قيصر)

***

وفيه نمت فى الهند للعلم نهضة أرى تحتها سراً خفياً سيظهر
فتجرى إلى العلياء والمجد شوطها ويخصب فيها كل جدب وينضر

***

وفيه بدت فى افق جاوة لمعة أضاءت لأهليها السبيل فبكروا

***

فياليته أولى الجزائر منة تفك لها تلك القيود وتكسر
وفى تونس الخضراء ياليته بنى له أثراً فى لوحة الدهر يذكر
وفيه سرت فى مصر روح جديدة مباركة من غيرة تتسعر
خبت زمنا حتى توهمت أنها تجافت عن الأبراء لولا كرومر
تصدى فأوراها وهيهات أن يرى سبيلا إلى إخمادها وهى تزفر
مضى زمن التنويم يانيل وانقضى ففى مصر أيقاظ على مصر تسهر
وقد كان « مرفين » الدهاء مخدراً فأصبح فى أعصابنا يتخدر
شعرنا بحاجات الحياة فان ونت عزائمنا عن نيلها كيف نعذر
شعرنا وأحسسنا وباتت نفوسنا من العيش إلا فى ذرى العز تسخر
إذا الله أحيى أمة لن يردها إلى الموت قهار ولا متجبر

✡ ✡ ✡

رجال الغد المأمول إنا بحاجة إلى قادة تبنى وشعب يعمر
رجال الغد المأمول انا بحاجة إلى عالم يدعو وداع يذكر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة إلى عالم يدرى وعلم يقرر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة إلى حكمة تملى وكف تحرر
رجال الغد المأمول إنا بحاجة إليكم فسدوا النقص فينا وشمروا
رجال الغد المأمول لاتتركوا غدا يمر مرور الامس والعيش أغبر
رجال الغد المأمول إن بلادكم تناشدكم بالله أن تتذكروا
عليكم حقوق للبلاد أجلها تعهد روض العلم فالروض مقفر
قصارى منى أوطانكم أن ترى لكم يداً تبتنى مجداً ورأساً يفكر
فكونوا رجالا عاملين أعزة وصونوا حمى أوطانكم وتحرروا

***

وياطالبى الدستور لا تسكنوا ولا تبيتوا على يأس ولا تتضجروا
أعدوا له صدر المكان فانني أراه على أبوابكم يتخطر
فلا تنطقوا إلا صواباً فانني أخاف عليكم أن يقال تهورا
فما ضاع حق لم ينم عنه أهله ولا ناله فى العالمين مقصر
لقد ظفر الأتراك عدلا بسؤلهم ونحن على الآثار لاشك نظفر
هم لهم العام القديم مقدر ونحن لنا العام الجديد مقدر
ثقوا بالأمير القائم اليوم إنه بكم وبما ترجعون أدرى وأخبر
فلا زال محروس الأريكة جالسا على عرش وادى النيل ينهى ويأمر

وقال أيضاً فى الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٢٨

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا أمل سألت الله أن يتحققا
أشرق علينا بالسعود ولا تكن كأخيك مشئوم المنازل أخرقا
قد كان جراح النفوس فداوها مما بها وكن الطبيب موفقا

هللت حين لمحت نور جبينه ورجوت فيه الخير حين تألقا
وهززته بقصيدة لو أنها تليت على الصخر الأصم لأغدقا
فنأى بجانبه وخص بنحسه مصراً وأسرف فى النحوس وأغرقا
لو كنت أعلم ما يخبئه لنا لسألت ربى ضارعا ان يمحقا
أولى الأعاجم منة مذكورة وأعاد للأتراك ذاك الرونقا
وتغيرت فيه الخطوب بفارس حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا
وأدال من عبد الحميد لشعبه فهوى وحاول أن يعود فأخفقا
أمسى يبالى حارسا من جنده ولقد يكون وما يبالى الفيلقا
ورمى على أرض الكنانة جرمه بالنازلات السود حتى أرهقا
حصدت مناجله غراس رجائنا ولو انها أبقت عليه الأورقا
فتقيدت فيه الصحافة عنوة ومشى الهوى بين الرعية مطلقا
وأتى يساوم فى القناة خديعة ولو انها تمت لتم بها الشقا
إن البلية ان تباع وتشترى مصر وما فيها وان لا تنطقا
كانت تواسينا على آلامنا صحف إذا نزل البلاء واطبقا
فاذا دعوت الدمع فاستعصى بكت عنا أسى حتى تغض وتشرقا
كانت لنا يوم الشدائد أسهما نرمى بها وسوابقا يوم اللقا
كانت صماما للنفوس إذا غلت فيها الهموم وأوشكت أن تزهقا
كم نفست عن صدر حر واجد لولا الصمام من الأسى لتمزقا
مالى أنوح على الصحافة جازعا ماذا ألم بها وماذا أحدقا
قصوا حواشيها وظنوا أنهم أمنوا صواعقها فكانت أصعقا
واتوا بحاذقهم يكيد لهم بما يثنى عزائمها فكانت أحذقا
أهلا بنابتة البلاد ومرحباً جددتمو العهد الذى قد أخلقا
لاتيأسوا أن تستردوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

مدت له الآمال من أفلاكها خيط الرجاء إلى العلا فتسلقا
فتجشموا للمجد كل عظيمة إنى رأيت المجد صعب المرتقى
من رام وصل الشمس حاك خيوطها سببا إلى آماله وتعلقا
عار على ابن النيل سباق الورى مهما تقلب دهره أن يسبقا
أو كلما قالوا تجمع شملهم لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا
فتدفقوا حججا وحوطوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدفقا
حملوا علينا بالزمان وصرفه فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا
هزوا مغاربها فهابت بأسهم ياويلكم إن لم تهزوا المشرقا
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا لم يبق بابا للسعادة مغلقا
ثم استمدوا منه كل قواكم إن القوى بكل أرض يتقى
وابنوا حوالى حوضكم من يقظة سوراً وخطوا من حذار خندقا
وزنوا الكلام وسددوه فانهم خبأوا لكم فى كل حرف مزلقا
وامشوا على حذر فإن طريقكم وعر أطاف به الهلاك وحلقا
نصبوا لكم فيها الفخاخ وأرصدوا للسالكين بكل فج موبقا
الموت فى غشيانه وطروقه والموت كل الموت أن لا يطرقا
فتحينوا فرص الحياة كبيرة وتعجلوها بالعزائم والرقى
أو فاخلقوها قادرين فانما فرص الحياة خليقة ان تخلقا
وتفيأوا ظل الأريكة واقصدوا ملكا بأمته أبر وأرفقا
لازال تاج الملك فوق جبينه تحت الهلال يزين ذاك المفرقا

هدية حافظ لجمعية رعاية الأطفال

أنشدها بالأوپرا الملكية

شبحا أرى أم ذاك طيف خيال لا بل فتاة بالعراء حيالى
امست بمدرجة الخطوب فما لها راع هناك وما لها من وال

حسرى تكاد تعيد فحمة ليلها ناراً بأنات زكين طوال
ما خطبها عجباً وما خطبي بها مالى اشاطرها الوجيعة مالى
دانيتها ولصوتها فى مسمعى وقع النبال عطفن اثر نبال
وسألتها من أنت وهى كأنها رسم على طلل من الأطلال
فتململت جزعا وقالت حامل لم تدر طعم الغمض منذ ليال
قد مات والدها وماتت امها ومضى الحمام بعمها والخال
وإلى هنا حبس الحياء لسانها وجرى البكاء بدمعها الهطال
فعلمت ما تخفى الفتاة وإنما يحنوا على أمثالها أمثالى
ووقفت أنظرها كأنى عابد فى هيكل يرنو إلى تمثال

* * *

ورأيت آيات الجمال تكفلت بزوالهن فوادح الأثقال
لاشىء أفعل فى النفوس كقامة هيفاء روعها الأسى بهزال
أو غادة كانت تريك إذا بدت شمس النهار فأصبحت كالآل
قلت انهضى قالت أينهض ميت من قبره ويسير شن بال
فحملت هيكل عظمها وكأننى حملت حين حملت عود خلال
وطفقت أنتهب الخطى متيمما بالليل دار رعاية الأطفال
أمشى وأحمل بائسين فطارق باب الحياة ومؤذن بزوال
أبكيهما وكأنما أنا ثالث لهما من الاشفاق والأعوال
وطرقت بات الدار لامتهيباً أحداً ولا مترقباً لسؤال
طرق المسافر آب من أسفاره أو طرق رب الدار غير مبال
وإذا بأصوات تصيح ألا افتحوا دقات مرضى مدلجين عجال
وإذا بأيد طاهرات عودت صنع الجميل تطوعت فى الحال
جاءت تسابق فى المبرة بعضها بعضا لوجه الله لالمال

فتناولت بالرفق ما أنا حامل ... كالأم تكلأ طفلها وتوالى
وإذا الطبيب مشمرا وإذا بها ... فوق الوسائد فى مكان عالى
جاءوا بأنواع الدواء وطوفوا ... بسرير ضيفتهم كبعض الآل
وجثا الطبيب يجس نبضا خافتا ... ويرود مكمن دائها القتال
لم يدر حين دنا ليبلو قلبها ... دقات قلب أم دبيب نمال
ودعتها وتركتها فى أهلها ... وخرجت منشرحا رضى البال
وعجزت عن شكر الذين تجردوا ... للباقيات وصالح الأعمال
لم يخجلوها بالسؤال عن اسمها ... تلك المروءة والشعور العالى
خير الصنائع فى الأنام صنيعة ... تنبو بحاملها عن الاذلال
وإذ النوال أتى ولم يهرق له ... ماء الوجوه فذاك خير نوال
من جاد من بعد السؤال فأنه ... وهو الجواد يعد فى البخال

***

لله درهم فكم من بائس ... جم الوجيعة سىء الأحوال
ترمى به الدنيا فمن جوع إلى ... عرى إلى سقم إلى إقلال
عين مسهدة وقلب واجف ... نفس مروعة وجيب خالى
لم يدر ناظره أعريانا يرى ... أم كاسيا فى تلكمو الاسمال
فكأن ناحل جسمه فى ثوبه ... خلف الخروق يطل من غربال
يابرد فاحمل قد ظفرت بأعزل ... ياحر تلك فريسة المغتال
ياعين سحى ياقلوب تفطرى ... يانفس رقى يامروءة والى
لولاهمو لقضى عليه شقاؤه ... وخلا المجال لخاطف الآجال
لولاهمو كان الردى وقفا على ... نفس الفقير ثقيلة الاحمال
لله در الساهرين على الألى ... سهروا من الأوجاع والأوجال
القائمين بخير ماجاءت به ... مدنية الأديان والأجيال

أهل اليتيم وكهفه وحماته وربيع أهل البؤس والأمحال
لاتهملوا فى الصالحات فانكم لاتجهلون عواقب الاهمال
إنى أرى فقراءكم فى حاجة لو تعلمون لقائل فعال
فتسابقوا الخيرات فهى أمامكم ميدان سبق للجواد النال
والمحسنون لهم على إحسانهم يوم الاثابة عشرة الأمثال
وجزاء رب المحسنين يجل عن عد وعن وزن وعن مكيال

قالها فى مدرسة بور سعيد للبنات

كم ذا يكابد عاشق ويلاقى فى حب مصر كثيرة العشاق
إنى لأحمل فى هواك صبابة يامصر قد خرجت عن الاطواق
لهفى عليك متى أراك طليقة يحمى كريم حماك شعب راق
كلف بمحمود الخلال متيم طرب الغريب بأوبة وتلاق
ويهزنى ذكرى المروءة والندى بين الشمائل هزة المشتاق
ما البابلية فى صفاء مزاجها والشرب بين تنافس وسباق
والشمس تبدو فى الكؤوس وتختفى والبدر يشرق من جبين الساقى
بألذ من خلق كريم طاهر قد مازجته سلامة الأذواق
فاذا رزقت خليقة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق
فالناس هذا حظه مال وذا علم وذاك مكارم الأخلاق
والمال إن لم تدخره محصناً بالعلم كان نهاية الاملاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كان مطية الاخفاق
لاتحسبن العلم ينفع وحده مالم يتوج ربه بخلاق
كم عالم مد العلوم حبائلا لوقيعة وقطيعة وفراق
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه لمكيدة أو مستظل طلاق
يمشى وقد نصبت عليه عمامة كالبرج لكن فوق تل نفاق

يدعونه عند الشقاق ومادروا ... أن الذى يدعون خدن شقاق
وطبيب قوم قد أحل لطبه ... مالا تحل شريعة الخلاق
قتل الأجنة فى البطون وتارة ... جمع الدوانق من دم مهراق
أغلى وأثمن من تجارب علمه ... يوم الفخار تجارب الحلاق
ومهندس للنيل بات بكفه ... مفتاح رزق العامل المطراق (١)
تندى وتيبس للخلائق كفه ... بالماء طوع الأصفر البراق
شىء يلوى من هواه فحده ... فى السلب حد الخائن السراق
وأديب قوم تستحق يمينه ... قطع الأنامل أو لظى الاحراق
يلهو ويلعب بالعقول بيانه ... فكانه فى السحر رقية راق
فى كفه قلم يمج لعابه ... سما وينفثه على الأوراق
يرد الحقائق وهى بيض نصع ... قدسية علوية الاشراق
فيردها سودا على جنباتها ... من ظلمة التمويه ألف نطاق
عريت عن الحق المطهر نفسه ... فحياته ثقل على الأعناق
لو كان ذا خلق لأسعد قومه ... ببيانه ويراعه السباق

***

(١) من لى بتربيـــة النساء فأنها ... فى الشرق علة ذلك الاخفاق
(٢) الأم مدرســـة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق
(٣) الأم روض إن تعهده الحيا ... بالرى أورق أيما إيراق
(٤) الأم أستاذ الاساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافراً ... بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الأحداق

(١) هو الذى يكثر طرق أبواب الرزق .

فى دورهن شؤونهن كثيرة كشؤن رب السيف والمزراق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا فى الحجب والتضييق والارهاق
ليست نساؤكم حلى وجواهراً خوف الضياع تصان فى الأحقاق
ليست نساؤكم أثاثا يقتنى فى الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الأزمان فى أدوارها دولا وهن على الجمود بواق
فتوسطوا فى الحالتين وأنصفوا فالشر فى التقييد والاطلاق
(٥) ربوا البنات على الفضيلة إنها فى الموقفين لهن خير وثاق
(٦) وعليكم أن تستبين بناتكم نور الهدى وعلى الحياء الباقى

قالها فى حج خديوى مصر السابق

منى نلتها يالابس المجد معلما أدينا ودنيا زادك الله انعما
فلله ما أبهاك فى مصر حالياً ولله ما أتقاك فى البيت محرما
أقول وقد شاهدت ركبك مشرقا وقد يمم البيت العتيق المحرما
مشت كعبة الدنيا إلى كعبة الهدى يفيض جلال الملك والدين منهما
فياليتنى اسطعت السبيل وليتنى بلغت منى الدارين رحبا ومغنما

وفى الركب (شمس) أنجبت أنجب الورى
فتى الشرق مولانا الأمير المعظما
تسير إلى شمس الهدى فى حفاوة من العز تحدوها الزواهر اينما
فلم أر أفقا قبل ركبك اطلعت جوانبه بدرا وشمسا وأنجما
ولو أننى خيرت لاخترت أن أرى لعيسك وحدى حادياً مترنما
أسير خلال الركب نحو حظيرة على ربها صلى الاله وسلما
إلى خير خلق الله من جاء ناطقا بآياته إنجيل عيسى بن مريما
حللت باكناف الجزيرة عابراً فأنضرت واديها وكنت لها سما
وأشرقت فى بطحاء مكة زائرا فبات عليك النيل يحسد زمزما

وماظفرت من بعد (هارون) أرضها بمثلك ميمون النقيبة منعما
ولا أبصر الحجاج من بعده شخصا على عرفات مثل شخصك محرما
رميت فسددت الجمار فلم تكن جماراً على إبليس بل كنت أسهما
وإن الذى ترميه وقف على الردى وإن لاذ بالأفلاك ياخير من رمى
وبين الصفا والمروة ازدت عزة بسعيك يا عباس لله مسلما
تهرول للمولى الكريم معظما وكم هرول الساعى إليك وعظما
وطفت وكم طافت بسدتك المنى وكم أمسك الراجى بها وتحرما
ولما استلمتِ الركن هاجت شجونه فلو أنه اسطاع الكلام تكلما
تذكر زين العابدين وجده وما كان من قول الفرزدق فيهما
فلو يستطيع الركن أمسك راحة مسحت بها يا أكرم الناس منتمى

***

دعوت لنا حيث الدعاء إجابة وأنت بدعوى الله أطهرنا فما
أمانيك الكبرى وهمك أن ترى بأرجاء وادى النيل شعباً منعما
وأن تبتنى المجد الذى مال ركنه وأن ترهف السيف الذى قد تثلما
دعوت لمصر أن تسود وكم دعت لك الله مصر أن تعيش وتسلما
فليت ملوك المسلمين تشبهوا بملك إذا ما أحجم الدهر أقدما
سليل ملوك يشهد الله أنهم أقاموا عمود الدين لما تهدما
لئن بات بالمجد المؤثل مغرما لقد كان « ابراهيم » بالمجد مغرما
وإن تام حب المكرمات فؤاده لقد كان « إسماعيل » فيها متيما
وإن سكنت تقوى المهيمن قلبه فقد كان منها قلب « توفيق » مفعما
وإن بات نهاضاً بمصر إلى الذرى فمن جده الأعلى « على » تعلما
حوى ماحوى من مجدهم ونجارهم وزاد فأعيى المادحين وأفحما

***

دعوا بك واستسقوا فلبى دعاءهم ... من الأفق هتان من المزن قد همى
ألح على أوعارهم وسهولهم ... وحيى عبوس القفر حتى تبسما
ولما طوى بطحاء مكة هزه ... إلى البيت شوق المستهام فيمما
أطاف به ثم انثنى عن فنائه ... ولوعب فيه السامرى لأسلما
طلعت عليهم أسعد الخلق مطلعا ... وعدت إلينا أيمن الخلق مقدما
رجعت وقد داويت بالجود فقرهم ... وكنت لهم فى موسم الحج موسما
وأمنت للبيت الحرام طريقه ... وكان طريق البيت من قبلها دما
ويسرته حتى استطاع ركوبه ... أخو الفقر لايطويه جوع ولا ظما
وجدت وجادت ربة الطهر والتقى ... على العام حتى أخصب العام منكما
فلم تبقيا فوق الجزيرة بائساً ... ولم تتركا فى ساحة البيت معدما
فأرضيتما الديان والدين كله ... لقد رضى الديان والدين عنكما

تحية الاسطول العثمانى

بالذى أجراك ياريح الخزامى ... بلغى البسفور عن مصر السلاما
واقطفى من كل روض زهرة ... واجعليها لتحايانا كماما
وانشرى رياك فى ذاك الحمى ... والثمى الأرض إذا جئت الاماما
ملك للشرق فى أيامه ... همة الغرب نهوضاً واعتزاما
أيها القائم بالأمر لقد ... قمت فى الناس فأحسنت القياما
جرد الرأى فكم رأى إذا ... سل من غمد النهى فل الحساما
وابعث الاسطول ترمى دونه ... قوة الله وراء وأماما
يكلأ الشرق ويرعى بقعة ... رفع الله بها البيت الحراما
وثغوراً هى أبهى منظراً ... من ثغور الغيد يبدين ابتساما
خصها الله بأفق مشرق ... ضم فى اللألاء مصراً والشآما

حى يامشرق أســـطول الآلى ضربوا الدهر بصوت فاستقاما
ملكوا البر فلما لم يسع مجدهم نالوا من البحر المراما
بجوار منشآت كالدمى أينما سارت صبا البحر وهاما
كلما أوفت على أمواجه سجد الموج خشوعا واحتشاما
كان بالبحر إليها ظمأ وعجيب يشتكى البحر الأواما
فهى فى السلم جوار تنجلى تبهر العين رواء ونظاما
وهى فى الحرب قضاء سابح يدع الحصن تلالا ورجاما
ما نجوم الرجم من أبراجها أثر عفريت من الجن ترامى
من مراميها بأنكى موقعا لا ولا أقوى مراساً وعراما
وهى بركان إذا ماهاجها هائج الشر عداء وخصاما
جبل النار لقد رعت الورى أنت فى حاليك لاترعى ذماما
أنت فى البر بلاء فاذا ركب البحر غدا موتا زؤاما
فاتقوا الطود مكينا راسيا واتقوا الطود إذا ما الطود عاما
حملت حرباً فكانت حقبة نذراً للموت يحتاج الأناما
خافها العالم حتى أصبحت رسلا تحمل أمناً وسلاما

***

بعث المشرق من مرقده بعد حين جل من يحيى العظاما
أيها الشرقى شمر لاتنم وانفض العجز فان الجد قاما
وامتط العزم جواداً للعلا واجعل الحكمة للعزم زماما
وإذا حاولت فى الأفق منى فاركب البرق ولا ترضى الغماما
لا تضق ذرعا بما قال العدا رب ذى لب عن الحق تعامى
سابق الغربى واسبق واعتصم بالمروءات وباليأس اعتصاما
جانب الأطماع وانهج نهجه واجعل الرحمة والتقوى لزاما

طلبوا من علمهم أن يعجزوا قادر الموت وأن ينثوا الحماما
وأرادوا منه أن يرفعهم فوق هام الشسب فى الغيب مقاما
(قتل الانسان ما اكفره) طاول الخالق فى الكون وسامى
أحرج الغيب إلى أن بزه سره بزا ولم يخش انتقاما
قوة الرحمن زيدينا قوى وأفيضى فى بنى الشرق الوئاما
أفرغى من كل صدر حقده أملأ التاريخ والدنيا كلاما
أسأل الله الذى ألهمنا خدمة الأوطان شيخاً وغلاما
أن أرى فى البحر والبر لنا الوغى أنداد (توجو) و(أياما)

إلى روز فلت خطيب الغد

ياخطيب الدنيا الجديدة شنف سمع مصر بقولك المأثور
إنما شوقها لقولك (ياروز فلت) شوق الأسير للتحرير
قف غداً أيها الرئيس وعلم أهل مصر حرية التعبير
واخبر الناس كيف سدتم على النا س وجئتم بمعجزات الدهور
وملكتم أعنة الريح والما ء ودستم على رقاب العصور
قف وعدد مآثر العلم واذكر نعم الله ذكر عبد شكور
وإذا ما ذكرت أنعمه الكبـ ـرى فلا تنس نعمة الدستور
يانصير الضعيف مالك تطرى خطة القوم بعد ذاك النكير
لم تطيقوا جوارهم بل أقمتم فى حماكم من دونهم ألف سور
أنت تطريهم وتثنى عليهم نائيا آمنا وراء البحور
ليت شعرى أكنت تدعو إليهم يوم كانوا على تخوم الثغور
يوم كانوا قذى بعين (نيويور ك) وداء مستحكما فى الصدور
يوم نادى واشنجتون فلبا ه من العيل كل ليث هصور

يوم سجلتم على صفحات الد هر تاريخ مجدكم بالنور
ووثبتم إلى الحياة وثوبا ونفضتم عنكم تراب القبور
إنما النيل والمسيسبى صنوا ن هما حليتان للمعمور
وعجيب يفوز هذا باطلا ق وهذا فى ذلة المأسور
يانصير الضعيف حبب إليهم هجر مصر تفز بأجر كبير
فعليهم أن يهجروا وعلى المص رى ذكرى المتيم المهجور

قالها فى تهنئة مولانا الخديوى المعظم بعيد الاضحى

سكن الظلام وبات قلبك يخفق وسطا على جنبيك هم مقلق
حال الفراش وحرت فيه فأنتما تحت الظلام معذب ومؤرق
درج الزمان وأنت مفتون المنى ومضى الشباب وأنت ساه مطرق
عجبا يلذلك السكوت مع الهوى وسواك يبعثه الغرام فينطق
خلق الغرام لأصغريك وطالما ظنوا الظنون بأصغريك وأغرقوا
ورموك بالسلوى ولو شهدوا الذى تطويه فى تلك الضلوع لأشفقوا
أخفيت أسرار الفؤاد وإنما سر الفؤد من النواظر يسرق
نفس بربك عن فؤادك كربه وارحم حشاك فانها تتمزق
واذكر لنا عهد الذين بنأيهم جمعوا عليك همومهم وتفرقوا
ما للقوافى أنكرتك ولم تكن لكسادها فى غير سوقك تنفق
ما للبيان بغير بابك واقفا يبكى ويعجله البكاء فيشرق
إنى كهمك فى الصبابة لم أزل ألهو وأرتجل القريض وأعشق
نفسى برغم الحادثات فتية عودى على رغم الكوارث مورق
إن الذى أغرى السهاد بمقلتى متعنت قلبى به متعلق
واثقته أن لا أبوح وإنما يوم الحساب يحل ذاك الموثق
وشفيت منه بقربه وبعاده وأخو الشقاء إلى الشقاء موفق

صاحبت أسباب الرضا لركوبه متن الخلاف لما به أتخلق
وصبرت منه على الذى يعنى به حلم الحليم ويتقيه الأحمق
أصبحت كالدهرى أعبد شعره وجبينه وأنا الشريف المعرق
وغدوت انظم من ثنايا ثغره دراً أقلدها المهى وأطوق
صبرى استثرت دفائنى وهززتنى وأريتنى الابداع كيف تنسق
فأبحت لى شكوى الهوى وسبقتنى فى مدح (عباس) ومثلك يسبق
قال الرئيس فما لقول بعده باع تطول ولا لمدح رونق
شوقى نسبت فما ملكت مدامعى من أن يسيل بها النسيب الشيق
أعجزت أطواق الأنام بمدحه سجد البيان لربها والمنطق
لم تترك لى فى المدائح فضلة يجرى بها قلمى الضعيف ويلحق
نفسى على شوق لمدح أميرها وبراعتى بين الانامل أشوق
ماذا أقول وأنتما فى مدحه بحران بات كلاهما يتدفق
العجز أقعدنى وإن عزائمى لولا كما فوق السماء تحلق
فليهنىء العباس أن بكفه علمين هزهما الولاء المطلق
وليبق ذخراً للبلاد وأهلها يعفو ويرحم من يشاء ويعتق
عباس والعيد الكبير كلاهما متألق بأزائه متألق
هذا له تجرى الدماء وذا له تجرى القرائح بالمديح وتعنق
صدق الذى قد قال فيه وحسبه أن الزمان لما يقول مصدق
لك مصر ماضيها وحاضرها معاً ولك الغد المتحتم المتحقق

السياسة فى الشعر

قالها فى وداع اللورد كرومر

بنات الشعر بالنفحات جودى فهذا يوم شاعرك المجيد
أطلى واسفرى ودعيه يحيى بما توحين أيام الرشيد

إذا ما جل قدرك عن هبوط مريه إلى سمائك بالصعود
وأولى ذلك الفانى بيانا يتيه به على أهل الخلود
وحلى عقدة من أصغريه يلن لهتافه قاسى الحديد
فما أنا واقف برسوم دار أسائلها ولا كلف برود
ولا مستنزل هبة بمدح ولا مستنجز حر الوعود
ولكنى وقفت أنوح نوحاً على قومى وأهتف بالنشيد
وأدفع عنهم بشبا يراع يصول بكل قافية شرود

***

بنات الشعر إن هى أسعدتنى شكوت من العميد إلى العميد
ولم أجحد عوارفه ولكن رأيت المن داعية الجحود
أذيقونا الرجاء فقد ظمئنا بعهد المصلحين إلى الورود
ومنوا بالوجود فقد جهلنا بفضل وجودكم معنى الوجود
إذا اعلولى الصياح فلا تلمنا فان الناس فى جهد جهيد
على قدر الأذى والظلم يعلو صياح المشفقين من المزيد
جراح فى النفوس تغرن نغراً وكن قد اندملن على صديد
إذا ما هاجهن أسى جديد هتكن سرائر القلب الجليد
إلى من تشتكى عنت الليالى إلى العباس أم عبد الحميد
ودون حماهما قامت رجال تروعنا بأصناف الوعيد
فما جئنا نطاولكم بجاه يطولكم ولا ركن شديد
ولا بتنا نعاجزكم بعلم يبين به القوى من الرشيد
ولكنا نطالبكم بحق أضر بأهله نقض العهود

***

رمانا صاحب التقرير ظلما بكفران العوارف والكنود

وأقسم لا يجيب لنا نداء ولو جئنا بقرآن مجيد
وبشر أهل مصر باحتلال يدوم عليهم أبد الأبيد
وأنبت فى النفوس لكم جفاء تعهده بمنهل الصدود
فأثمر وحشة بلغت مداها وزكاها بأربعة شهود

***

قتيل الشمس أورثنا حياة وأيقظ هاجع القوم الرقود
فليت كرومراً قد دام فينا يطوق بالسلاسل كل جيد
ويتحف مصر آنا بعد آن بمجلود ومقتول شهد
لننزع هذه الاكفان عنا ونبعث فى العوالم من جديد

***

رمى دار المعارف بالرزايا وجاء بكل جبار عنيد
يدل بحوله ويتيه تيها ويعبث بالنهى عبث الوليد
فبدد شملها وأذل منها وصاح بها سبيلك أن تبيدى
هبوا (دنلوب) أرحبكم جناناً وأقدركم على نزع الحقود
وأعلى من (غلادستون) رأيا وأحكم من فلاسفة الهنود
فإنا لا نطيق له جواراً وقد أودى بنا أو كان يودى
مللنا طول صحبته وملت سوابقنا من المشى الوئيد
بحمد الله ملككم كبير وأنتم أهل مرحمة وجود
خذوه فأمتعوا شعبا سوانا بهذا الفضل والعلم المفيد
إذا استوزرت فاستوزر علينا فتى كالفضل أو كابن العميد
ولا تثقل مطاه بمستشار يحيد به عن القصد الحميد
وفى الشورى بنا داء عهيد قد استعصى على الطب العهيد
شيوخ كلما همت بأمر زأرتم دونه زأر الأسود

لحى بيضاء يوم الرأى هانت على حمر الملابس والخدود
أترضى أن يقال وأنت حر بأنك قين هاتيك القيود
وهل فى دار ندوتكم أناس بهذا الموت أو هذا الجمود
فنح غضاضة التاميز عنا كفانا سائغ النيل السعيد
أرى أحداثكم ملكوا علينا بمصر موارد العيش الرغيد
وقد ضقنا بهم وأبيك ذرعا وضاق بحملهم ذرع البريد
أكل موظف منكم قدير على التشريع فى ظل العميد
فضع حداً لهم وانظر إلينا إذا أنصفتنا نظر الودود
وخيرهم وأنت بنا خبير بأن الذل شنشنة العبيد
وإن نفوس هذا الخلق تأبى لغير إلهها ذل السجود
وول أمورنا الأخيار منا نثب بهم إلى الشأو البعيد
وأشركنا مع الأخيار منكم إذا جلسوا لايقام الحدود
وأسعدنا بجامعة وشيد لنا من مجد دولتك المشيد
وإن أنعمت بالاصلاح فابدأ بتلك فانها بيت القصيد
وفرج أزمة الأموال عنا بما أوتيت من رأى سديد
وسل عنها اليهود ولا تسلنا فقد ضاقت بها حيل اليهود
إذا ما ناح فى أسوان باك سمعت أنين شاك فى رشيد
جميع الناس فى البلوى سواء بأدنى الثغر أو أعلى الصعيد

***

تدارك أمة بالشرق أمست على الأيام عاثرة الحدود
وأيد مصر والسودان واغنم ثناء القوم من بيض وسود
وما أدرى وقد زودت شعرى وظنى فيك بالأمل الوطيد
أجئت تحوطنا وترد عنا وترفعنا الى أوج السعود

أم اللورد الذى أنحى علينا أتى فى ثوب معتمد جديد

﴿ كلمة الوداع قالها على قبر فقيد الأمة المرحوم مصطفى كامل باشا ﴾

أيا قبر هذا الضيف آمال أمة فكبر وهلل والق ضيفك جاثيا
عزيز علينا أن نرى فيك مصطفى شهيد العلا فى زهرة العمر ذاويا
أيا قبر لو أنا فقدناه وحده لكان التأسى من جوى الحزن شافيا
ولكن فقدنا كل شىء بفقده وهيهات أن يأتى به الدهر ثانيا
فيا سائلى أين المروءة والوفى ؟ وأين الحجا والرأى ؟ ويحك هاهيا
هنيئا لهم فليأمنوا كل صائح فقد أسكت الصوت الذى كان عاليا
ومات الذى أحيا الشعور وساقه إلى المجد فاستحيا النفوس البواليا
مدحتك لما كنت حيا فلم أجد وإنى أجيد اليوم فيك المراثيا
عليك وإلا ما لذا الحزن شاملا وفيك وإلا ما لذا الشعب باكيا
يموت المداوى للنفوس ولا يرى لما فيه من داء النفوس مداويا
وكنا نياما حين ما كنت ساهدا فأسهدتنا حزنا وأمسيت غافيا
شهيد العلا لا زال صوتك بيننا يرن كما قد كان بالأمس راويا
يهيب بنا هذا بناء أقمته فلا تهدموا بالله ما كنت بانيا
يصيح بنا لا تشعروا الناس أننى قضيت وان الحى قد بات خاليا
يناشدنا بالله ان لا تفرقوا وكونوا رجالا لا تسروا الأعاديا
فروحى من هذا المقام مظلة تشارفكم عنى وان كنت باليا
فلا تحزنوها بالخلاف فاننى أخاف عليكم فى الخلاف الدواهيا
اجل ايها الداعى إلى الخير إننا على العهد ما دمنا فنم انت هانيا
بناؤك محفوظ وطيفك ماثل وصوتك مسموع وان كنت نائيا
عهدناك لا تبكى وتنكر أن يرى أخو اليأس فى بعض المواطن باكيا
فرخص لنا اليوم البكاء وفى غد ترانا كما تهوى جبالا رواسيا
فيا نيل إن لم تجر بعد وفاته دما أحمراً لا كنت يا نيل جارياً

ويا مصر ان لم تحفظى ذكر عهده إلى الحشر لا زال انحلالك باقيا
ويا أهل مصر إن جهلتم مصابكم ثقوا أن نجم السعد قد غار هاويا
ثلاثون عاما بل ثلاثون درة بجيد الليالى ساطعات زواهيا
ستشهد فى التاريخ أنك لم تكن فتى مفردا بل كنت جيشا مغازيا

﴿ وقال فى حفلة تأبين فقيد الشرق والاسلام المرحوم مصطفى كامل باشا ﴾

نثروا عليك نوادى الأزهار وأتيت أنثر بينهم أشعارى
زين الشباب وزين طلاب العلا هل أنت بالمهج الحزينة دارى؟
غادرتنا والحادثات بمرصد والعيش عيش مذلة وإسار
ماكان أحوجنا إليك إذا عدا عاد وصاح الصائحون بدار
أين الخطيب وأين خلاب النهى طال انتظار السمع والأبصار
بالله مالك لا تجيب مناديا ما ذا أصابك يا أبا المغوار
قم وامح ما خطت يدين كرومر جهلا بدين الواحد القهار
قد كنت تغضب للكنانة كلما همت وهم رجاؤها . بعثار
غضب التقى لربه وكتابه أو غضبة الفاروق للمختار
قد ضاق جسمك عن مداك فلم يطق صبراً عليك وأنت شعلة نار
أودى به ذاك الجهاد وهده عزم يهد جلائل الأخطار
لعبت يمينك باليراع فأعجزت لعب الفوارس بالقنا الخطار
وجريت للعلياء تبغى شأوها فجرى القضاء وأنت فى المضمار
أو كلما هز الرجاء مهنداً بدرت إليه غوائل الأقدار

***

عز القرار على ليالى نعيه وشهدت موكبه فقر قرارى
وتسابقت فيه النعاة فطائر بالكهرباء وطائر ببخار
شاهدت يوم الحشر يوم وفاته وعلمت منه مراتب الاقدار

ورأيت كيف تفى الشعوب رجالها حق الولاء وواجب الاكبار
تسعون ألفاً حول نعشك خشع يمشون تحت لوائك السيار
خطوا بأدمعهم على وجه الثرى للحزن أسطاراً على أسطار
آناً يوالون الضجيج كأنهم ركب الحجيج بكعبة الزوار
وتخالهم آناً لفرط خشوعهم عند المصلى ينصتون لقارى
غلب الخشوع عليهم فدموعهم تجرى بلا كلح ولا استئثار
قد كنت تحت دموعهم وزفيرهم ما بين سيل دافق وشرار
أسعى فيأخذنى اللهيب فأنثنى فيصدنى متدفق التيار
لو لم ألذ بالنعش أو بظلاله لقضيت بين مراجل وبحار
كم ذات خدر يوم طاف بك الردى هتكت عليك حرائر الأستار
سفرت تودع أمة محمولة فى النعش لا خبراً من الأخبار
أمنت عيون الناظرين فمزقت وجه الخمار فلم تلذ بخمار
قد قام ما بين العلوم وبينها سترمن الأحزان والأكدار
أدرجت فى العلم الذى أصفيته منك الوداد فكان خير شعار
علمان من فوق الرءوس كلاهما فى طيه سر من الأسرار
ناداهما داعى الفراق فأمسيا يتعانقان على شفير هار
تالله ما جزع المحب ولا بكى لنوى مروعة وبعد مزار
جزع الهلال عليك يوم تركته ما بين حر أسى وحر أوار
متلفتاً متحيراً متخيراً رجلا يناضل عنه يوم فخار

***

إن الثلاثين التى بك فاخرت باتت تقاس بأطول الأعمار
ضمت إلى التاريخ بضع صحائف بيضاء مثل صحائف الأبرار
شبهتهن بنقطة عطرية وسعت محصل روضة معطار

خلفتها كالمشق يحذو حذوها ... راجى الوصول ومقتفى الآثار
ماذا على السارى وهن منائر ... لو سار بين مجاهل وقفار
ما زلت تختار المواقف وعرة ... حتى وقفت لذلك الجبار
وهدمت سوراً قد أجاد بناءه ... فرعون ذو الأوتاد والأنهار
ووصلت بين شكاتنا ومشايخ ... فى البرلمان أعزة أخيار
كشفوا الغطاء عن العيون فأبصروا ... ما فى الكنانة من أذى وضرار
نبذوا كلام اللورد حين تبينوا ... حنق المغيظ ولهجة الثرثار
ورماهما بمجلدين رموهما ... فى رتبة الأصفار لا الأسفار
واها على تلك المواقف إنها ... كانت مواقف ليث غاب ضارى
لم يلوه عنها الوعيد ولا ثنى ... من عزمه قول المريب حذار
فاهنأ بمنزلك الجديد ونم به ... فى غبطة وانعم بخير جوار
واستقبل الأجر الكبير جزاء ما ... ضحيت للأوطان من أوطار
نعم الجزاء ونعم ما بلغته ... فى منزليك ونعم عقبى الدار

قصيدة الذكرى

للمرحوم فقيد الوطن مصطفى كامل باشا

طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا ... واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم
هنا جنان تعافى الا بارئه ... ضاقت بآماله الأقدار والهمم
هنا فم وبنان لاح بينهما ... فى الشرق فجر تحى ضوءه الأمم
هنا فم وبنان طالما نثرا ... نثرا تسير به الأمثال والحكم
هنا الكمى الذى شادت عزائمه ... لطالب الحق ركنا كيف ينهدم
هنا الشهيد، هنا رب اللواء، هنا ... حامى الذمار، هنا الشهم الذى علموا
يأيها النائم الهانى بمضجعه ... ليهنك النوم لا هم ولا سقم

باتت تسائلنا فى كل نازلة عنك المنابر والقرطاس والقلم
تركت فينا فراغا ليس يشغله إلا أبى زكى القلب مضطرم
منفر النوم ، سباق لغايته آثاره عمم ، آماله أمم

***

إنى أرى وفؤادى ليس يكذبنى روحا يحف بها الاكبار والعظم
أرى جلالا ، أرى نورا ، أرى ملكا أرى محبا يحيينا ويبتسم
الله أكبر هذا الوجه أعرفه هذا فتى النيل هذا المفرد العلم
غضوا العيون وحيوه تحيته من القلوب إذا لم تسعد الكلم
وأقسموا أن تذودوا عن مبادئه فنحن فى موقف يحلو به القسم

***

لبيك نحن الألى حركت أنفسهم لما سكنت ولما غالك العدم
جئنا نؤدى حسابا عن مواقفنا ونستعد ونستعدى ونحتكم
قيل اسكتوا فسكتنا ثم أنطقنا عسف الجفاة وأعلى صوتنا الألم
قد اتهمنا ولما نطلب جللا إن الضعيف على الحالين متهم
قالوا لقد ظلموا بالحق أنفسهم والله يعلم أن الظالمين هم
إذا سكتنا تناجوا تلك عادتهم وإن نطقنا تنادوا « فتنة عمم »
قد مر عام بنا والأمر يحزننا آنا وآونة تنتابنا النقم
فالناس فى شدة والدهر فى كلب والعيش قد حار فيه الحاذق الفهم
وللسياسة فينا كل آونة لون جديد وعهد ليس يحترم
بينا نرى جمرها تخشى ملامسه إذا به عند لمس المصطلى فحم
تصغى لأصواتنا طوراً لتخدعنا وتارة يزدهيها الكبر والصمم
فمن ملاينة أستارها خدع إلى مطالبة أستارها وهم
ماذا يريدون لا قرت عيونهم إن الكنانة لا يطوى لها علم

كم أمة رغبت فيها فما رسخت ... لها على حولها فى أرضها قدم
ما كان ربك رب البيت تاركها ... وهى التى بجبال منه تعتصم

***

لبيك إنا على ما كنت تعهده ... حتى نسود وحتى تشهد الأمم
فيعلم النيل أنا خير من وردوا ... ويستطيل اختيالا ذلك الهرم
هذا الغراس الذى واليت منبته ... بخير ما والت الأضواء والنسم
أمسى وأضحى وعين الله تحرسه ... حتى نما وحلاه المجد والشمم
فانظر إليه وقد طالت بواسقه ... تهنأ به ولأنف الحاسد الرغم
يأيها النشء سيروا فى طريقته ... وثابروا رضى الأعداء أو نقموا
فكلكم مصطفى لو سار سيرته ... وكلكم كامل لو جازه السأم
قد كان لا وانيا يوما ولا وكلا ... يستقبل الخطب بساما ويقتحم

***

وأنت ياقبر قد جئنا على ظمأ ... فجد لنا بجواب جادك الديم
أين الشباب الذى أودعت نضرته ... أين الخلال رعاك الله والشيم
وما صنعت بآمال لنا طويت ... ياقبر فيك وأعفى رسمها القدم
ألا جواب يروى من جوانحنا ... ما للقبور إذا ما نوديت تجم

***

نم أنت يكفيك ما عانيت من تعب ... فنحن فى يقظة والشمل ملتئم
هذا وذاك خفاق يظللنا ... وذاك شخصك فى الأكباد مرتسم

﴿ وقال يرثى المرحوم قاسم بك أمين ﴾

لله درك كنت من رجل ... لو أمهلتك غوائل الأجل
خلق كأنفاس الرياض إذا ... أسحرن غب العارض الهطل
وشمائل لو أنها مزجت ... بطبائع الأيام لم تحل

جم المحامد غير متهم جم التواضع غير مبتذل
يا دولة الأخلاق رافلة من قاسم فى أبهج الحلل
كيف انطويت به على عجل أكذا تكون مصارع الدول
يا طالعا للشرق لج به نحس النحوس فقر فى زحل
هلا وصلت سراك منتقلا على السعود تكون فى النقل
مالى أرى الأجداث خالية وأرى ربوع النيل فى عطل
فاذا الكنانة أطلعت رجلا طاح القضاء بذلك الرجل
أو كلما أرسلت مرثية من أدمعى فى أثر مرتحل
هاجت بى الأخرى دفين أسى فوصلت بين مدامع المقل
إن خانى فيما فجعت به شعرى فهذا الدمع يشفع لى
ولقد أقول وما تطاولنى عند البديهة قول مرتجل
يا مرسل الأمثال يضربها قد عز بعدك مرسل المثل
يا رائش الآراء صائبة يرمى بهن مقاتل الخطل
لله آراء شأوت بها فى الخالدين نوابغ الأول
قد كنت أشقانا بنا وكذا يشقى الأبى بصحبة الوكل
لهفى عليك قضيت مرتجلا لم تشك ، لم تستوص ، لم تقل
غل القضاء يد القضاء فذا يبكى عليك وذاك فى جذل
شغلتك عن دنياك أربعة والمرء من دنياه فى شغل
حق تناصره ، ومفخرة تمشى إليها غير منتحل
وحقائق للعلم تنشدها ما للحكيم بهن من قبل
وفضيلة أعيت سواك فلم تمدد إليه يداً ولم تصل
إن رأيت رأيا فى الحجاب ولم تعصم فتلك مراتب الرسل
الحكم للأيام مرجعه فيما رأيت فنم ولا تسل

وكذا طهاة الرأى تتركه للدهر ينضجه على مهل
فاذا أصبت فأنت خير فتى وضع الدواء مواضع العلل
أولا فحسبك ما شرفت به وتركت فى دنياك من عمل
واهاً على دار مررت بها قفرا وكانت ملتقى السبل
أرخصت فيها كل غالية وذكرت فيها وقفة الطلل
ساءلتها عن قاسم فأبت رد الجواب فرحت فى خبل
متعثرا ينتابنى وهن مترنحاً كالشارب الثمل
متذكراً يوم الامام به يوم انتويت بذلك البطل
ـم احتسبت وكنت ذا أمل تحت التراب بقية الامل
جاور أحبتك الألى ذهبوا بالعزم والاقدام والعمل
واذكر لهم حاج البلاد إلى تلك النهى فى الحادث الجلل
قل للامام إذا التقيت به فى الجنتين بأكرم النزل
إن الحقيقة أصبحت هدفا للراكبين مراكب الزلل
لله آثار لكم خلدت صاح الزوال بها فلم تزل
لله أيام لكم درجت طالت عوارفها ولم تطل
نعم الظلال لو انها بقيت أو أن ظلا غير منتقل

وأنشد فى الأوبرا فى حفلة رعاية الأطفال

صفحة البرق أومضت فى الغمام أم شهاب يشق جوف الظلام
أم سليل البخار طار إلى القصـــد فأعيا سوابق الأوهام
مر كاللمح لم تكد تقف العيـــن على ظل جرمه المترامى
أو كشرخ الشباب لم يدر كاسيـــه تولى فى يقظة أو منام
لا يبالى السرى إذا اعتكر الليـــل وخانت مواقع الأقدام
يقطع البيد والفيافى وحيداً لم تضعضعه وحشة الاظلام

ليس يثنيه ما يذيب دماغ الضـ ـضب يوم الهجير بين الموامى
لاولا يعتريه ما يخرس النا ـيح فى الزمهرير بين الخيام
هائم كالظليم ازعجه الصيـ ـد وراعته طائشات السهام
فهو يشتد فى النجاء ويهوى حيث ترمى بجانبيه المرامى

* * *

ياحديداً ينساب فوق حديد كانسياب الرقطاء فوق الرغام
قد مسحت البلاد شرقا وغربا بذراعى مشمر مقدام
بين جنبيك ما بجنبى لكن ما بجنبىّ مستديم الضرام
أنت لا تعرف الغرام وان كنـ ـت ترينا زفير أهل الغرام
أنت لا تعرف الحنين إلى الألـ ـف فما هذه الدموع الهوامى
أنت قاسى الفؤاد جلد على الايـ ـن شديد القوى شديد العرام
لا تبالى أرعت بالبين أحبـا بأ وأسرفت فى أذى المستهام
أم جمعت الأعداء فوق صعيد وخلطت الأسود بالآرام

* * *

إننى قد شهدت فيك عجبا ضاق عن وصفه نطاق الكلام
جزت يوما بنا ونحن على الجسـ ـر قيام والليل ليل التمام
وإذا راكب إلى الجسر يهوى بين صفين من ممات زؤام
مر كالسهم بين تلك الحنايا قد رماه من المقادير رامى
فتردى فى الماء والماء غمر يتقيه القضاء والنهر طامى
وإذا سابح قد انقض فى المـا ء انقضاض العقاب فوق الحمام
غاص فى لجة الحتوف بعزم لم يعود مواقف الاحجام
غاب فيها وعاد يحمل جسما سله من يد الهلاك اللزام
كافح الموج، صارع الهول، أبلى كبلاء المهند الصمصام

وانثنى راجعا إلى شاطىء النهـ ـر رجوع الكمى غب اغتنام
وقف الناس ذاهلين وصاحوا تلك إحدى عجائب الأيام
أنجاة من القطار من الجسـ ـر ، من النهر ، جل رب الأنام
وإذا صيحة علت من فتاة برزت من صفوف ذاك الزحام
وقفت موقف الخطيب ونادت تلك عقبى رعاية الأيتام
دعوة البائس المهذب سور يدفع الشر عن حياض الكرام
وهى حرب على البخيل وذى البغـ ـى وسيف على رقاب اللئام
إن هذا الكريم قد صان عرضى وحمانى من عاديات السقام
عال طفلى وعالنى وحبانى بكساء وبدرة وطعام
وهو من معشر أغاثوا ذوى البؤ س وقاموا فى الله حق القيام
وأقاموا للبر دارا فكانت خير ورد يؤمه كل ظامى
ملئت رحمة وفاضت حنانا فهى للبائسات دار السلام
زرتها والشقاء يجرى ورائى وشعاع الرجاء يسرى أمامى
لم يقولوا : من الفتاة ؟ ولكن سألونى هناك عن آلامى
ثم أهوت إلى الغريق تواسيـ ـه بأحلى من منعشات المدام
قبلت راحتيه شكرا وصاحت قد نجا صاحب الأيدى العظام
قد نجا المنعم الجواد من المو ت بفضل الزكاة والانعام
فأطفنا بها وقد ملك الأنف س منا جلال ذاك المقام
وشهدنا ثغر الوفاء تجلى إذ تجلى فى ثغرها البسام
ورأينا شخص المروءة والسـ ـر تبدى فى شخص ذاك الهمام
وعلمنا أن الزكاة سبيل اللـ ـه قبل الصلاة قبل الصيام
خصها الله فى الكتاب بذكر فهى ركن الأركان فى الأسلام
بدأت مبدأ اليقين وظلت لحياة الشعوب خير قوام

لو وفا بالزكاة من جمع الدنـ يا وأهوى على اقتناء الحطام
ما شكى الجوع أو تصدى لركوب الشرور والآثام
راكبا رأسه ، طريداً ، شريدا ، لا يبالى بسرعة أو زمام
سائلا عن وصية الله فيه آخذا قوته بحد الحسام

***

لم أقف موقفى لأنشد شعرا صب فى قالب بديع النظام
إنما قمت فيه والنفس نشوى من كؤوس الهموم والقلب دامى
ذقت طعم الأسى وكابدت عيشا دون شربى قذاه شرب الحمام
فتقلبت فى الشقاء زمانا وتنقلت فى الخطوب الجسام
ومشى الهم ثاقبا فى فؤادى ومشى الحزن ناخرا فى عظامى
فلهذا وقفت استعطف النا س على البائسين فى كل عام

قالها فى حرب طرابلس

طمع ألقى عن الغرب اللثاما فاستفق ياشرق واحذر أن تناما
واحملى أيتها الشمس إلى كل من يسكن فى الشرق السلاما
واشهدى يوم التنادى أننا فى سبيل الحق قد متنا كراما
مادت الأرض بنا حين انتشت من دم القتلى حلالا وحراما

***

عجز الطليان عن ابطالنا فأعاوا من ذرارينا الحساما
كبلوهم ، قتلوهم ، مثلوا بذوات الخدر طاحوا باليتامى
ذبحوا الاشياخ والزمنى ولم يرحموا طفلا ولم يبقوا غلاما
أحرقوا الدور ، استحلوا كلما حرمت (لاهاى) فى العهد احتراما
بارك المطران فى أعمالهم فسلوه بارك القوم على ما

أبهـذا جاءهم إبجيلهم آمرا يلقى على الأرض سلاما
كشفوا عن نيـة الغرب لنـا وجلوا عن أفق الشرق الظلاما
فقرأناها سطوراً من دم أقسمت تلتهم الشرق التهاما

***

أطلقوا الأسطول فى البحر كما يطلق الزاجل فى الجو الحماما
فمضى غير نعيم وانثنى يحمل الأنباء شؤما وانهزاما
قد ملأنا البر من أشلائهم فدعوهم يملأوا الدنيا كلاما
أعلنوا الحرب وأضمرنا لهم أينما حلوا هـلاكا واختراما
خبروا فيكتور عنا أنه أدهش العالم حربا ونظاما
أدهش العالم لما أن رأوا جيشه يسبق فى الحرب النعاما
لم يقف بالبر إلا ريثما يسلم الأرواح أو يلقى الزماما
حاتم الطليان قد قلدتنا منة نذكرها عاما فعاما
أنت أهديت الينـا عدة ولباسا وشرابا وطعاما
وسلاحا كان فى أيديكم ذا كلال فغدا يفرى العظاما
أكثروا النزهة فى أحيـائنا وربانا إنها تشفى السقاما
وأقيموا كل عام موسما يشبع الأيتام منا والأيامى
لست أدرى بت ترعى أمة من بنى التليان أم ترعى سواما
ما لهم (والنصر من عاداتهم) لزموا الساحل خوفا واعتصاما
أفلتوا من نار (فيزوف) إلى نار حرب لم تكن أدنى ضراما
لم يكن (فيزوف) أدهى حمما من كرات تنفث الموت الزؤاما
إيه (يافيزوف) نم عنهم فقد نفضت أفريقيـا عنهـا المنـاما
فهى بركان لهم سخره مالك الملك جزاء وانتقاما
لو دروا ما خبأ الشرق لهم آثروا (فيزوف) واختاروا المقاما

تلك عقبى أمة غادرة تنكث العهد ولا ترعى الزماما
تلك عقبى كل جبار طغى أو تعالى أو عن الحق تعامى
لو درت (رومة) ما قد نابها فى طرابلس أبت إلا انقساما
وأبى كل اشتراكى بها أن يرى التاج على رأس أقاما

***

أعلنوا ضم مغانينا إلى ملك (فيكتور) ولم يخشوا ملاما
أعلنوا الضم ولما يفتحوا قيد أظفور وزاء أو أماما
فاعجبوا من فاتح ذى مرة يحسب النزهة فى البحر صداما
ويرى الفتح ادعاء باطلا وافتراء واحتجاجا واحتكاما

***

أيها الحائر فى البحر اقترب من حمى (البسفور) إن كنت هماما
كم سمعنا عن لسان البرق ما يزعج الدنيا إذا الأسطول عاما
عام شهرين ولم يفتح سوى هوة فيها الملايين ترامى
دفنوا تاريخهم فى قاعها ورموا فى إثره المجد غلاما
فاطمئنى أمم الشرق ولا تقنطى اليوم فان الجد قاما
إن فى أضلاعنا أفئدة تعشق المجد وتأبى أن يضاما

﴿ وقال عند عودة الأمير من دار الخلافة ﴾

كم تحت أذيال الظلام متيم دام الفؤاد وليله لا يعلم
ما أنت فى دنياك أول عاشق راميه لا يحنو ولا يترحم
أحرمتنى ياليل فى شرخ الصبا كم فيك ساعات تشيب وتهرم
لا أنت تقصر لى ولا أنا مقصر أتعبتنى وتعبت هل من يحكم
لله موقفنا وقد ناجيتها بعظيم ما يخفى الفؤاد ويكتم
قالت من الشاكى تسائل سربها عنى ومن هذا الذى يتظلم ؟

فأجبتها وعجبن كيف تجاهلت ... هو ذلك المتوجع المتألم
أنامن عرفت ومن جهلت ومن له ... لولا عيونك حجة لا تفحم
أسلمت نفسى للهوى وأظنها ... مما يجشمها الهوى لا تسلم
وأتيت يحدوبى الرجا ومن أتى ... متحرما بفنائكم لا يحرم
أشكو لذات الخال ما صنعت بنا ... تلك العيون وما جناه المعصم
لا السهم يرفق بالجريح ولا الهوى ... يبقى عليه ولا الصبابة ترحم
لو تنظرين اليه فى جوف الدجى ... متململا من هول ما يتجشم
يمشى إلى كنف الفراش محاذرا ... وجلا يؤخر رجله ويقدم
يرمى الفراش بناظريه وينثنى ... جزعا ويقدم بعد ذاك ويحجم
فكأنه واليأس ينشف نفسه ... للقتل فوق فراشه يتقدم
رشقت به فى كل جنب مدية ... وانساب فيه بكل ركن أرقم
فكأنه في هوله وسعيره ... وإذا قد أطلعت عليه جهنم
هذا وحقك بعض ما كابدته ... من ناظريك وما كتمتك أعظم

***

قال أهذا أنت ويحك فاتئد ... حتام تنجد فى الغرام وتنهم
كم نفثة لك تستثير بها الهوى ... هاروت فى أثنائها يتكلم
إنا سمعنا عنك ما قد رابنا ... وأطال فيك وفى هواك اللوم
فاذهب بسحرك قد عرفتك واقتصد ... فيما تزين للحسان وتوهم
أصغت إلى قول الوشاة فأسرفت ... فى هجرها وجنت على وأجرموا
حتى إذا يئس الطبيب وجاءها ... أنى تلفت تندمت وتندموا
وأتت تعود مريضها لا بل أتت ... منى تشيع راحلا لو تعلم
أقسمت بالعباس أنى صادق ... فمريهم بجلاله أن يقسموا

***

ملك غدوت على الزمان بحوله وغدوت فى آلائه أتنعم
النجم من حراسه ، والدهر من خدامه وهو العزيز المنعم
هللت حين رأيت ركبك سالما ورأيت عباسا به يتبسم
وحمدت ربى حين حل عرينه متجدد العزمات ذاك الضيغم

* * *

خفقت قلوب المسلمين وأشفقت دار الخلافة والمليك الأعظم
ودعا لك البيت الحرام فأمنت بطحاء مكة ، والحطيم ، وزمزم
ودوى بمصر لك الدعاء فنيلها ، وسهولها ، وفصيحها ، والأعجم
ومشى الصغير إلى الكبير مسائلا يتسقط الأخبار او يتنسم
حتى اطمأنت بالشفاء نفوسهم وطلعت بالسعد العميم عليهم

* * *

مولاى أمتك الوديعة أصبحت وعرى المودة بينها تتفصم
نادى بها القبطى ملء لهاته أن لا سلام وضاق فيها المسلم
وهم أغار على النهى وأضلها فجرى الغبى وأقصر المتعلم
فهموا من الأديان مالا يرتضى دين ، ولا يرضى به من يفهم
ماذا دهى قبطى مصر فصده عن ود مسلمها وماذا ينقم ؟ !
وعلام يخشى المسلمين وكيدهم والمسلمون عن المكايد نوم
قد ضمنا ألم الحياة وكانا يشكو فنحن على السواء وأنتم
إنى ضمين المسلمين جميعهم أن يخلصوا لكم إذا أخلصتم
رب الأريكة إننا فى حاجة لجميل رأيك والحوادث حوم
فأفض علينا من سمائك حكمة تأسو القلوب فان رأيك أحكم
واجمع شتات العنصرين بعزمة تأتى على هذا الخلاف وتحسم
فكلاهما لعزيز عرشك مخلص وكلاهما برضاك صب مغرم

إلى تولستوى

رثاك أمير الشعر فى الشرق وانبرى ... لمدحك من كتاب مصر كبير
ولست أبالى حين أرثيك بعده ... إذا قيل عنى قد رثاه صغير
فقد كنت عونا للضعيف وإننى ... ضعيف ومالى فى الحياة نصير
ولست أبالى حين أبكيك للورى ... حوتك جنان أم حواك سعير
فانى أحب النابغين لعلهم ... وأعشق روض الفكر وهو نضير
دعوت الى عيسى فضجت كنائس ... وهز لها عرش وماد سرير
وقال أناس إنه قول ملحد ... وقال أناس إنه لبشير
ولولا حطام رد عنك كيادهم ... لضقت به ذرعا وساء مصير
ولكن حماك العلم والرأى والحجى ... ومال إذا جد النزال وفير
إذا زرت رهن المحبسين بحفرة [1] ... بها الزهد ثاو والذكاء ستير
وأبصرت أنس الزهد فى وحشة البلى ... وشاهدت وجه الشيخ وهو منير
وأيقنت أن الدين لله وحده ... وأن قبور الزاهدين قصور
فقف ثم سلم واحتشم إن شيخنا ... مهيب على رغم الفناء وقور
وسائله عما غاب عنك فانه ... عليم بأسرار الحياة بصير
يخبرك الأعمى وإن كنت مبصراً ... بما لم تخبر أحرف وسطور
كأنى بسمع الغيب أسمع كلما ... يجيب به أستاذنا ويحير
يناديك أهلا بالذى عاش عيشنا ... ومات ولم يدرج اليه غرور
قضيت حياة ملؤها البر والتقى ... فأنت بأجر المتقين جدير
وسموك فيهم فيلسوفا وأمسكوا ... وما أنت إلا محسن ومجير
وما أنت إلا زاهد صاح صيحة ... يرن صداها ساعة ويطير

---

(١) يريد المعرى .

سلوت عن الدنيا ولكنهم صبوا إليها بما تعطيم ونطير
حياة الورى حرب وأنت تريدها سلاما وأسباب الكفاح كثير
أبت سنة العمران إلا تناحراً وكدحاً ولو أن البقاء يسير
تحاول رفع الشر والشر واقع وتطلب محض الخير وهو عسير
ولو لا امتزاج الشر بالخير لم يقم دليل على أن الاله قدير
ولم يبعث الله النبيين للهدى ولم يتطلع للسرير أمير
ولم يعشق العلياء حر ، ولم يسد كريم ولم يرج الثراء فقير
ولو كان فينا الخير محضا لما دعا إلى الله داع أو تبلج نور
ولا قيل هذا فيلسوف موفق ولا قيل هذا عالم وخبير
فكم فى طريق الشر خير ونعمة وكم فى طريق الطيبات شرور
ألم تر أنى قمت قبلك داعيا إلى الزهد لا يأوى إلى ظهير
أطاعوا (أبيكيرا) و(سقراط) قبله وخولفت فيما أرتئى وأشير
ومت وما ماتت مطامع طامع عليها ولا ألقى القياد ضمير
إذا هدمت للظلم دور تشيدت له فوق أكتاف الكواكب دور
أفاض كلانا فى النصيحة جاهدا ومات كلانا والقلوب صخور
فكم قيل عن كهف المساكين باطل وكم قيل عن شيخ المعرة زور
وما صد عن فعل الأذى قول مرسل وما راع مفتون الحياة نذير

رثاء المرحوم رياض باشا

(الوزير الخطير)

رياض أفق من غمرة الموت واستمع
حديث الورى عن طيب ما كنت تسمع
أفق واستمع منى رثاء جمعته تشاركنى فيه البرية أجمع

لتعلم ما تطوى الصدود من الأسى ... وتنظر مقروح الحشا كيف يجزع
لئن تك قد عمرت دهراً لقد بكى ... عليك مع الباكى خلائق أربع
مضاء ، وإقدام ، وحزم ، وعزمة ... من الصارم المصقول أمضى وأقطع
رحمت فما جاه ينوه فى العلا ... بصاحبه إلا وجاهك أوسع
ولا قام فى أيامك البيض ماجد ... ينازعك الباب الذى كنت تقرع
إذا قيل من للرأى فى الشرق أومأت ... إلى رأيك الأعلى من الغرب أصبع
وإن طلعت فى مصر شمس نباهه ... فمن بيتك المعمور تبدو وتطلع
حكمت فما حكمت فى قصدك الهوى ... طريقك فى الانصاف والعدل مهيع
وقد كنت ذا بطش ولكن تحته ... نزاهة نفس فى سبيلك تشفع

✡ ✡ ✡

وقفت لاسماعيل والأمر أمره ... وفى كفه سيف من البطش يلمع
إذا صاح لباه القضاء وأسرعت ... إلى بابه الأيام والناس خشع
يذل إذا شاء العزيز وترتئى ... إرادته رفع الذليل فيرفع
ففى كرة من حظة وهو عابس ... تدك جبال لم تكن تتزعزع
وفى كرة من لحظة وهو باسم ... تسيل بحار بالعطاء فتمرع
فما أغلب شاكى العزيمة أروع ... يصارعه فى الغاب أغلب أروع
بأجرأ من ذاك الوزير مصادماً ... إرادة اسماعيل والموت يسمع
وفى الثورة الكبرى وقد أحدقت بنا ... صروف الليالى والمنية مشرع
نظرت إلى مصر فساءك أن ترى ... حلاها بأيدى المستطيلين تترع
ولم تستطع صبراً على هتك خدرها ... ففارقتها أسوان والقلب موجع
وعدت إليها حين ناداك نيلها ... أقل عثرتى فالقوم فى الظلم أبدعوا
فكنت أبا محمود غوثا وعصمة ... إليك دعاة الحق تأوى وتفزع

✡ ✡ ✡

وكم نابغ فى أرض مصر حميته ... ومثلك من يحمى الكريم ويمنع
رعيت جمال الدين ثم اصطفيته ... فأصبح فى أفياء جاهك يرتع
وقد كان فى دار الخلافة ناوياً ... وفى صدره كنز من العلم مودع
فجئت به والناس قد طال شوقهم ... إلى ألمعى بالبراهين يصدع
فحرك من أفهامهم وعقولهم ... وعاودهم ذاك الذكاء المضيع
ووليت تحرير (الوقائع) عبده ... فجاء بما يشفى العليل وينقع
وكانت لرب الناس فيه مشيئة ... فأمست إليه الناس فى الحق ترجع
وجاءوا بابراهيم فى القيد راسفاً ... عليه من الأملاق ثوب مرقع
فألفيت ملىء الثوب نفساً طموحة ... إلى المجد من أطمارها تتطلع
فأطلقته من قيده وأقلته ... وما كان فى تلك السعادة يطمع
وكم لك فى مصر وفى الشام من يد ... لها أين جلت نفحة تتضوع
رفعت عن الفلاح عبء ضريبة ... ينوء بها أيام لا غوث ينفع
وأرهبت حكام الأقاليم فارعووا ... وكانوا أناساً فى الجهالة أوضعوا
فخافوك حتى لو تناجوا بنجوة ... لخالوا رياضاً فوقهم يتسمع
أقمت عليهم زاجراً من نفوسهم ... إذا سولت أمراً لهم قام يردع
سل الناس أيام الرشا مستفيضة ... وأيام لا تجنى الذى أنت تزرع
أكان رياض عنهمو غير غافل ... يرد الأذى عن أهل مصر ويدفع
أمؤتمر الاصلاح والعرف قدمضى ... رياض وأودى الوازع المتورع

***

وكان على كرسيه خير جالس ... لهيبته تعنو الوجوه وتخشع
فياويلنا إن لم تسدوا مكانه ... بذى مرة فى الخطب لا يتضعضع
بعيد مرامى الفكر أما جنانه ... فرحب وأما عزه فممنع
فياناصر المستضعفين إذا عدا ... عليهم زمان بالعداوة مولع
عليك سلام الله ما قام بيننا ... وزيراً على دست العلا يتربع

المنظومة التمثيلية

وهى القصة الشعرية التى وضعها الناظم

فى ضرب الأسطول الطليانى لمدينة بيروت

الجريح :

ليـــلاى ما أنا حى يرجى ولا أنا ميت
لم أقض حق بلادى وهأنا قد قضيت
شفيت نفسى لو انى لما رميت رميت
بيروت لو أن خصما مشى إليك مشيت
أو داس أرضك باغ لدستـــه وبغيت
أوحل فيك عدو منـــازل ما أتقيت
لكن رماك جبان لو بان لى لاشتفيت
ليـــلاى لا تحسبينى على الحياة بكيت
ولا تظنى شكاتى من مصرعى إن شكوت
ولا يخيفنك ذكرى بيروت أنى سلوت
بيروت مهد غرامى فيها وفيك صبوت
جررت ذيل شبابى لهواً وفيها جريت
فيها عرفتك طفلا ومن هواك انتشيت
ومن عيون رباها وعذب فيك ارتويت
فيها لليلى كناس ولى من العز بيت
فيها بنى لى مجـــداً أوائـــلى وبنيت
ليـــلى سراج حياتى خبا فما فيه زيت

قد أطفأته كرات ما من لظاهن فوت
رمى بهن بغاة أصبنى فثويت

***

ليلى :

لو تفتدى بحياتى من الردى لفديت
ولو وقاك وفى بمهجتى لوقيت
إن عشت أومت إنى كما نويت نويت

الجريح :

ليلاى عيشى وقرى إذا الحمام دعانى
ليلاى ساعات عمرى معدودة بالثوانى
فكفكفى من دموع تفرى حشاشة فان
ومهدى لى قبرا على ذرى لبنان
ثم اكتبى فوق لوح لكل قاص ودان
هنا الذى مات غدرا هنا فتى الفتيان
رمته أيدى جناة من جيرة النيران
قرصان بحر تولوا من حومة الميدان
لم يخرجوا قيد شبر عن مسبح الحيتان
ولم يطيقوا ثباتا بين أوجه الفرسان
فشمروا لانتقام من غافل فى أمان
وسودوا وجه روما بالكيد والجيران
تبا لهم من بغات فروا من العقبان
لو أنهم نازلوا فى الشام يوم طعان
رأوا طرابلس تبدو لهم بكل مكان

يا ليتنى لم أعاجل بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو رغم اعتداء الزمان
ويسترد جلالا له ورفعة شان
وليعلم الغرب أنا كأمة اليابان
لا نرتضى العيش يجرى فى ذله أو هوان
أراهم أنزلونا منازل الحيوان
وأخرجونا جميعا من رتبة الانسان
وسوف تقضى عليهم طبائع العمران
فيصبح الشرق غربا ويستوى الخافقان
لا هم جدد قوانا لخدمة الأوطان
فنحن فى كل صقع نشكو بكل لسان
يا قوم أنجيل عيسى وأمة القرآن
لا تقتلوا الدهر حقداً فالملك للديان

ليلى :

إنى أرى من بعيد جماعة مقبلينا
لعل فيهم نصيراً لعل فيهم معينا
هون عليك تماسك إنى سمعت أنينا
أظن هذا جريحا يشكو الأسى أو طعينا
بالله ماذا دهاه يا هذه خبرينا

ليلى :

لقد دهته المنايا من غارة الخائنينا
صبوا علينا الرزايا لم يتقوا الله فينا
نخففوا من أذاه إن كنتم فاعلينا

العربى :

لا تيأسى وتجلد أراك شهماً ركينا
أبشر فانك ناج واصبر مع الصابرينا

الطبيب :

أواه إنى أراه للموت أمسى رهينا
جراحه بالغات تعيى الطبيب الفطينا
وعن قريب سيقضى غض الشباب حزينا

العربى :

أف لقوم جياع قد أزعجوا العالمينا
قراهم أين حلوا ضرب يقد المتونا
عقوا المروءة هدوا مفاخر الأولينا
عاثوا فساداً وفروا يستعجلون السفينا
وألبسوا الغرب خزيا فى قرنه العشرينا
وألجموا كل داع وأحرجوا المصلحينا
فيا (أُربّة) مهلا أين الذى تدعينا ؟
ماذا تريدين منا والداء أمسى دفينا ؟
أين الحضارة ؟ إنا بعيشنا قد رضينا
لم نؤذ فى الدهر جارا ولم نحاتل خدينا

✡ ✡ ✡

« مسرة » الشام إنا اخوانكم ما حيينا
ثقوا فانا وثقنا بكم وجئنا قطينا
إنا نرى فيك عيسى يدعو إلى الخير فينا
قربت بين قلوب قد أوشكت أن تبينا

فانت فخر النصارى وصاحب المسلمينا

الجريح :

رأيت يأس طبيبى وهمسه فى فؤادى
لا تنديبنى فأنى أقضى وتحيا بلادى

العربى :

أستودع الله شهماً ندبا طويل النجاد
فيا شهيداً رمته غدراً كرات الأعادى
نم هانئا مطمئنا فلم تنم أحقادى
فسوف يرضيك ثأر يذيب قلب الجماد

قالها فى صديق له

ملكت على مذاهبى وعصانى الطبع السليم
وجفا يراعى الصاحبا ن فلا النثير ولا النظيم
أشقى وأكتم شقوتى والله بى وبها عليم
حلم الأديم وما الذى أرجو وقد حلم الأديم
لا مصر تنصفنى ولا أنا عن مودتها أريم
وإذا تحول يائس عن ربعها فأنا المقيم
فيها صحبتك واصطفيـ تك أيها الخل الحميم
أنا من عرفت ، ومن خبر ت ، ومن مودته تدوم
لله ذياك الجوا ر ، وذلك العيش الرخيم
بالجانب الغربى فو ق النيل والدنيا نعيم
أيام يعرفنا السرو ر بها وتنكرنا الهموم
أيام نلهو بالظبا ء ، وفى مسارحها نهيم

لا أنت تصغى للعذو ل ، ولا أبالى من يلوم
لله أندية لنا قد زانها الخلق الكريم
لم يغشها وغد ولم ينزل بساحتها لئيم
تمشى الخلاعة فى نوا حيها تراقبها الحلوم
لهوا كما شاء الصبا وحجاً كما شاء الحكيم
ومدامة يسعى بها متأدب ويطوف ريم
يجرى على كاساتها أنس يخف له الحليم
لا تشتكى منا ولا يشكو عواقبها النديم
والنيل مرآة تنف س فى صحيفتها النسيم
سلب السماء نجومها فهوت بلجته تعوم
نشر عليه غلالة بيضاء حاكتها الغيوم
شفت لأعيننا سوى ما شابه منها الأديم
وكأننا فوق السماء وتحتنا ذاك السديم
تجرى الحوادث حيث تجـ رى لا نضام ولا نضيم
لا الصبح يزعجنا بأن باء الزمان ولا الصريم (١)
يا ليت شعرى كيف أنت وكيف حالك يا زعيم
أما أنا فكما أنا أبلى كما يبلى الرديم (٢)
لا خل بعدك مؤنس نفسى ولا قلب رحيم
كاد الزمان لنا ولا عجب إذا كاد الغريم
أمسى احتواك الزمهرير وظل يصهرنى الجحيم
فشرابك الماء الشنا ن وشربى الماء الحميم

(١) الليل (٢) ثوب قديم.

ومناك لو طلعت ذكا ... ء عليك فى يوم يصوم
ومناى لو محقت ذكا ... وغالها ليـــل بهـيم
فبليـنى الحر الأليـ ... ـم وخطبك القر الأليم
فكأننى فرعون مص ... ر وأنت شيطان رجيم
فابعث إلى بنفحـة ... برداً بهـا يحدو الهزيم
أبعث إليـك بلفحة ... حرا بها تجرى السموم
أما تحيتنـا إليـ ... ـك فسوف يشرحها الرقيم

وقال يصف صوت جناب السرى الوجيه

جاك رومانو

ارحمونى بنى اليهود كفاكم ... ما جمعتم بحذقكم من نقود
واضفحوا عن عقولنا ودعوا الخلـ ... ـق بسر التوراة والتلمود
لا تزيدوا على الصكوك نفاخاً ... من غثاء ما بين دف وعود
ويحكم إن (جاك) أسرف حتى ... زاد فى قومه على داوود
أسكتوه لا أسكت الله ذاك الـ ... ـصوت صوت المتيم الغريد
أودعوه فداؤه إن تغنى ... كل نفس وكل مافى الوجود

وقال فيه أيضا

يا جاك إنك فى زمانك واحد ... ولكل عصر واحد لا يلحق
إن الألى قد عاصروك وفاتهم ... أن يسمعوك كأنهم لم يخلقوا
فقد جاء موسى بالعصا وأتيتنا ... بالعود يشدو فى يديك وينطق
فاذا ارتجلت لنـا الغناء فكلنـا ... مهج تسيل وأنفس تتحرق
فمطالب باعادة ومطالب ... بزيادة ومهلل ومصفق
تتسابق الأسماع صوبك كلما ... غنيتها شوقاً إليك وتعنق
وتود أفئدة هتكت شغافهـا ... لو أنهـا بذيولهـا تتعلق

خلق كما شاء الجليس وشيمة يزكو بها صدر الندى ويعبق
ومروءة لو أنها قد قسمت بين اليهود لأحسنوا وتصدقوا

وقال عن لسان بنت صغيره

أخشى مربيتى إذا طلع النهار وأفزع
وأظل بين صواحبى لعقابها أتوقع
لا الدمع يشفع بى ولا طول التضرع ينفع
وأخاف والدتى إذا جن الظلام وأجزع
وأبيت أرتقب الجزا ء وأعينى لا تهجع
ما ضرنى لو صنت أث وابى فلا تتقطع
وحفظت أوراقى بمح فظتى فلا تتوزع
فأعيش آمنة وأم رع فى الهناء وأرتع

وقال فى احتفال الجامعة

﴿ ألقاها فى تياترو برنتانيا ﴾

حيا كم الله أحيوا العلم والأدبا إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
ولا حياة لكم إلا بجامعة تكون أما لطلاب العلا وأبا
تبنى الرجال وتبنى كل شاهقة من المعانى وتبنى العز والغلبا
ضعوا القلوب أساسا لا أقول لكم ضعوا النضار فأنى أصغر الذهبا
وابنوا بأكبادكم سوراً لها ودعوا قيل العدو فانى أعرف السببا
لا تقنطوا إن قرأتم ما يزوقه ذاك العميد ويرميكم به غضبا
وراقبوا يوم لا تغنى حصائده فكل حى سيجزى بالذى اكتسبا
بنى على الأفك أبراجا مشيدة فابنوا على الحق برجا ينطح الشهبا
وجاوبوه بفعل لا يقوضه قول المفند أنى قال أو خطبا
لا تهجعوا إنهم لن يهجعوا أبدا وطالبوهم ولكن أجملوا الطلبا

هل جاءكم نبأ القوم الألى درجوا ... وخلفوا للورى من ذكرهم عجبا
عزت (بقرطاجة) الأمراس فارتهنت ... فيها السفين وأمسى حبلها اضطربا
والحرب فى لهب والقوم فى حرب ... قد مد نقع المنايا فوقهم طنبا
ودوا بها وجواريهم معطلة ... لو أن أهديهم كانت لهم سببا
هنالك الغيد جادت بالذى بخلت ... به دلالا فقامت بالذى وجبا
جزت غدائر شعر سرحت سفناً ... واستنقذت وطناً واسترجعت نشبا
رأت حلاها على الأوطان فابتهجت ... ولم تحسر على الحلى الذى ذهبا
وزادها ذاك حسنا وهى عاطلة ... تزهى على من مشى للحرب أو ركبا
(وبرثران) الذى حاك الاباء له ... ثوبا من الفخر أبلى الدهر والحقبا
أقام فى الأسر حينا ثم قيل له ... ألم يئن أن تفدى المجد والحسبا
قل واحتكم أنت مختار فقال لهم ... إنا رجال نهين المال والنشبا
خذوا القناطير من تبر مقنطرة ... يخور خازنكم فى عدها تعبا
قالوا حكمت بما لا تستطيع له ... حملا نكاد نرى ما قلته لعبا
فقال والله ما فى الحى غازلة ... من الحسان ترى فى فديتى نصبا
لو أنهم كلفوها بيع مغزلها ... لآثرتنى وضحت قوتها رغبا
هذا هو الأثر الباقى فلا تقفوا ... عند الكلام إذا حاولتم أربا
ودونكم مثلا أوشكت أضربه ... فيكم وفى مصر إن صدقا وإن كذبا
سمعت أن امرأ قد كان يألفه ... كلب فعاشا على الاخلاص واصطحبا
فمر يوما به والجوع ينهبه ... نهبا فلم يبق إلا الجلد والعصبا
فظل يبكى عليه حين أبصره ... يزول ضعفا ويقضى نحبه سغبا
يبكى عليه وفى يمناه أرغفة ... لو شامها جائع من فرسخ وثبا
فقال قوم وقد رقوا لذى ألم ... يبكى وذى ألم يستقبل العطبا
ما خطب ذا الكلب قال الجوع يخطفه ... منى وينشب فيه الناب مغتضبا
قالوا وقد أبصروا الرغفان زاهية ... هذا الدواء فهل عالجته فأبى

أجابهم ودواعى الشح قد ضربت بين الصديقين من فرط القلى حجبا
لذلك الحد لم تبلغ مودتنا أما كفى أن يرانى اليوم منتحبا
هذى دموعى على الخدين جارية حزنا وهذا فؤادى يرتمى لهبا

***

أقسمت بالله إن كانت مودتنا كصاحب الكلب ساء الأمر منقلبا
أعيذكم أن تكونوا مثله فترى منكم بكاء ولا نلفى لكم دأبا
أن تقرضوا الله فى أوطانكم فلكم أجر المجاهد طوبى للذى اكتتبا

وقال فى الدمع

يامن خلقت الدمع لط فامنك بالباكى الحزين
بارك لعبدك فى الدمو ع فانها نعم المعين

لوعة وأنين

أنا فى بأس وهم وأسى حاضر اللوعة موصول الأنين
مستهين بالذى لاقيته وهو لا يدرى بماذا يستهين
سور عندى له مكتوبة ودلو يسرى بها الروح الأمين
إننى لا آمن الرسل ولا آمن الكتب على ما يحتوين

وقال فى جلسة أنس

مرت كعمر الورد بينا أجتلى إصباحها إذ آذنت برواح
لم أقض من حق المدام ولم أقم فى الشاربين بواجب الأقداح
والزهر يحتث الكؤوس بلحظه ويشوبها بأريجه الفياح
أخشى عواقبها وأغبط شربها وأجيد مدحتها مع المداح
وأميل من طرب إذا مالت بهم فاعجب لنشوان الجوانب صاحى
أستغفر الله العظيم فانى أفسدت فى ذاك النهار صلاحى

القصيدة العمرية

حسب القوافى وحسبى حين ألقيها ... أنى إلى ساحة الفاروق أهديها
لا همَّ هب لى بيانا أستعين به ... على قضاء حقوق نام قاضيها
قد نازعتنى نفسى أن أوفيها ... وليس فى طوق مثلى أن يوفيها
فمر سرى المعانى أن يواتينى ... فيها فإنى ضعيف الحال واهيها

مقتل عمر

مولى المغيرة لا جادتك غادية ... من رحمة الله ما جادت غواديها[1]
مزقت منه أديم حشوه همم ... فى ذمة الله عاليها وماضيها
طعنت خاصرة الفاروق منتقما ... من الحنيفة فى أعلى مجاليها
فأصبحت دولة الاسلام جائرة ... تشكو الوجيعة لما مات آسيها
مضى وخلفها كالطود راسخة ... وزان بالعدل والتقوى معانيها
تنبو المعاول عنها وهى قائمة ... والهادمون كثير فى نواحيها
حتي إذا ما تولاها مهدمها ... صاح الزوال بها فاندك عاليها
واها على دولة بالأمس قد ملأت ... جوانب الشرق رغداً من مآقيها
كم ظللتها وحاطتها بأجنحة ... عن أعين الدهر قد كانت تواريها
من العناية قد ريشت قوادمها ... ومن ضميم التقى ريشت خوافيها
والله ما غالها قدما وكاد لها ... واجتث دوحتها إلا مواليها
لو أنها فى صميم العرب قد بقيت ... لما نعاها على الأيام ناعيها
ياليتهم سمعوا ما قاله عمر ... والروح قد بلغت منه تراقيها
لا تكثروا من مواليكم فان لهم ... مطامعا بسمات الضعف تخفيها

اسلام عمر

رأيت فى الدين آراء موفقة ... فأنزل الله قرآنا يزكيها
وكنت أول من قرت بصحبته ... عين الحنيفة واجتازت أمانيها
قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها ... بنعمة الله حصناً من أعاديها
خرجت تبغى أذاها فى محمدها ... وللحنيفة جبار يواليها
فلم تكد تسمع الآيات بالغة ... حتى انكفأت تناوى من يناويها
سمعت سورة طه من مرتلها ... فزلزلت نية قد كنت تنويها
وقلت فيها مقالا لا يطاوله ... قول المحب الذى قد بات يطريها
ويوم أسلمت عز الحق وارتفعت ... عن كاهل الدين أثقال يعانيها
وصاح فيه بلال صيحة خشعت ... لها القلوب ولبت أمر باريها
فأنت فى زمن المختار منجدها ... وأنت فى زمن الصديق منجيها
كم استراك رسول الله مغتبطا (١) ... بحكمة لك عند الرأى يلفيها

عمر وبيعة أبو بكر

وموقف لك بعد المصطفى افترقت ... فيه الصحابة لما غاب هاديها
بايعت فيه أبا بكر فبايعه ... على الخلافة قاصيها ودانيها
وأطفئت فتنة لولاك لاستعرت ... بين القبائل وانسابت أفاعيها
بات النبى مسجى فى حظيرته ... وأنت مستعر الأحشاء داميها
تهيم بين عجيج الناس فى دهش ... من نبأة قدسرى فى الأرض ساريها
تصيح من قال نفس المصطفى قبضت ... علوت هامته بالسيف أبريها
أنساك حبك طه أنه بشر ... يجرى عليه شئون الكون مجريها

---

(١) استراك أصلها استراءك أى أخذ رأيك .

وأنه وارد لا بد مورده من المنية لا يعقبه ساقيها
نسيت فى حق طه آية نزلت وقد يذكر بالآيات ناسيها
ذهلت يوما فكانت فتنة عمم وثاب رشدك فانجابت دياجيها
فللسقيفة يوم أنت صاحبه فيه الخلافة قد شيدت أواسيها
مدت لها الأوس كفا كى تناولها فمدت الخزرج الايدى تباريها
وظن كل فريق أن صاحبهم أولى بها وأتى الشحناء آتيها
حتى انبريت لهم فارتد طامعهم عنها وآخى أبو بكر أواخيها

عمر وعلى

وقولة لعلى قالها عمر أكرم بسامعها اعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقى عليك بها إن لم تبالغ وبنت المصطفى فيها
ما كان غير أبى حفص يفوه بها أمام فارس عدنان وحاميها
كلاهما فى سبيل الحق عزمته لا تنثنى أو يكون الحق ثانيها
فاذكرهما وترحم كلما ذكروا أعاظماً ألهوا فى الكون تأليها

عمر وجبلة بن الأيهم

كم خفت فى الله مضعوفا دعاك به وكم أخفت قوياً ينثنى تيها
وفى حديث فتى غسان موعظة (١) لكل ذى نعرة يأبى تناسيها
فما القوى قويا رغم عزته عند الخصومة والفاروق قاضيها
وما الضعيف ضعيفاً بعد حجته وإن تخاصم واليها وراعيها

عمر وأبو سفيان

وما أقلت أبا سفيان حين طوى عنك الهدية معتزاً بمهديها
لم يغن عنه وقد حاسبته حسب ولا معاوية بالشام يجبيها

(١) فتى غسان هو جبلة بن الأيهم أحد أبناء الغسانية ملوك الشام.

قيدت منه جليلا شاب مفرقه ... فى عزة ليس من عز يدانيها
قد نوهوا باسمه فى جاهليته ... وراده سيد الكونين تنويها
فى فتح مكة كانت داره حرما ... قد أمن الله بعد البيت غاشيها
وكل ذلك لم يشفع لدى عمر ... فى هفوة لأبى سفيان يأتيها
تالله لو فعل الخطاب فعلته ... لما ترخص فيها أو يجازيها
فلا الحسابة فى حق يحاملها ... ولا القرابة فى بطن يحابيها
وتلك قوة نفس لو أراد بها ... شمّ الجبال لما قرت رواسيها

عمر وخالد بن الوليد

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت
له الفتوح وهل أغنى تواليها
غزا فأبلى وخيل الله قد عقدت ... باليمن والنصر والبشرى نواصيها
يرمى الأعادى بآراء مسددة ... وبالفوارس قد سالت مذاكيها
ما واقع الروم إلا فر فارحها ... ولا رمى الفرس إلا طاش راميها
ولم يجز بلدة إلا سمعت بها ... الله أكبر تدوى فى نواحيها
عشرون موقعة مرت محجلة ... من بعد عشر بنان الفتح تحصيها
وخالد فى سبيل الله موقدها ... وخالد فى سبيل الله صاليها
أتاه أمر أبى حفص فقبله ... كما يقبل آى الله تاليها
واستقبل العزل فى إبان سطوته ... ومجده مستريح النفس هاديها
فاعجب لسيد مخزوم وفارسها ... يوم النزال إذا نادى مناديها
يقوده حبشى فى عمامته ... ولا تحرك مخزوم عواليها
ألقى القياد إلى الجراح ممتثلا ... وعزة النفس لم تجرح حواشيها
وانضم للجند يجرى تحت رايته ... وبالحياة إذا مالت يفديها

وما عرته شكوك فى خليفته ... ولا ارتضى إمرة الجراح تمويها
فخالد كان يدرى أن صاحبه ... قد وجه النفس نحو الله توجيها
فما يعالج من قول ولا عمل ... إلا أراد به للناس ترفيها
لذاك أوصى بأولاد له عمراً ... لما دعاه إلى الفردوس داعيها
وما نهى عمر فى يوم مصرعه ... نساء مخزوم أن تبكى بواكيها
وقيل خالفت يافاروق صاحبنا ... فيه وقد كان أعطى القوس باريها
فقال خفت افتتان المسلمين به ... وفتنة النفس أعيت من يداويهما
هبوه أخطأ فى تأويل مقصده ... وأنها سقطة فى عين ناعيها
فلن تعيب حصيف الرأى زلته ... حتى يعيب سيوف الهند نابيها
تالله لم يتبع فى ابن الوليد هوى ... ولا شفى غلة فى الصدر يطويها
لكنه قد رأى رأيا فاتبعه ... عزيمة منه لم تثلم مواضيها
لم يرع فى طاعة المولى خؤولته ... ولا غيرها فيما ينافيها
وما أصاب ابنه والسوط يأخذه ... لديه من رأفة فى الحد يبديها
إن الذى برأ الفاروق نزهه ... عن النقائص والأغراض تنزيها
فذاك خلق من الفردوس طينته ... الله أودع فيها ما ينقيها
لا الكبر يسكنها لا الظلم يصحبها ... لا الحقد يعرفها لا الحرص يغويها

عمر وعمرو بن العاص

شاطرت داهية السواس ثروته ... ولم تخفه بمصر وهو واليها
وأنت تعرف عمراً فى حواضرها ... ولست تجهل عمراً فى بواديها
لم تنبت الأرض كابن العاص داهية ... يرمى الخطوب برأى ليس يخطيها
فلم يرغ حيلة أمرت به ... وقام عمرو إلى الأحمال يزجيها
ولم تقل عاملا منها وقد كثرت ... أمواله وفشا فى الأرض فاشيها

عمر ، ولده عبد الله

وما وفى ابنك عبد الله أينقه ... لما اطلعت عليها فى مراعيها
رأيتها فى حماه وهى سارحة ... مثل القصور قد اهتزت أعاليها
فقلت ما كان عبد الله يشبعها ... لو لم يكن ولدى أو كان يرويها
قد استعان بجاهى فى تجارته ... وبات باسم أبى حفص ينميها
ردوا النياق لبيت المال إن له ... حق الزيادة فيها قبل شاريها
وهذه خطة لله واضعها ... ردت حقوقاً فأغنت مستميحيها
ما الاشتراكية المنشود جانبها ... بين الورى غير مبنى من مبانيها
فان نكن نحن أهليها ومنبتها ... فأنهم عرفوها قبل أهليها

عمر ونصر بن حجاج

جنى الجمال على نصر فغربه ... عن المدينة تبكيه ويبكيها
وكم رمت قسمات الحسن صاحبها ... وأتعبت قصبات السبق حاويها
وزهرة الروض لولا حسن رونقها ... لما استطالت عليها كف جانيها
كانت له لمة فبنانة عجب ... على جبين خليق أن يحليها
وكان أنى مشى مالت عقائلها ... شوقاً إليه وكاد الحسن يسبيها
هتفن تحت الليالى باسمه شغفا ... وللحسان تمن فى لياليها
جززت لمته لما أتيت به ... ففاق عاطلها فى الحسن حاليها
فصحت فيه تحول عن مدينتهم ... فإنها فتنة أخشى تماديها
وفتنة الحسن إن هبت نوافحها ... كفتنة الحرب إن هبت سوافيها

عمر ورسول كسرى

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً ... بين الرعية عطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها ... سوراً من الجند والأحراس يحميها

رآه مستغرقاً فى نومه فرأى ... فيه الجلالة فى أسمى معانيها
فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا ... ببردة كاد طول العهد يبليها
فهان فى عينه ما كان يكبره ... من الأكاسر والدنيا بأيديها
وقال قولة حق أصبحت مثلا ... وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها
أمنت لما أقمت العدل بينهم ... فنمت قرير العين هانيها

عمر والشورى (١)

يا رافعاً راية الشورى وحارسها ... جزاك ربك خيراً عن محييها
لم يلهك النزع عن تأييد دولتها ... وللمنية آلام تعانيها
لم أنس أمرك للمقداد يحمله ... إلى الجماعة إنذاراً وتنبيها
إن ظل بعد ثلاث رأيها شعباً ... فجرد السيف واضرب فى هواديها
فاعجب لقوة نفس ليس يصرفها ... طعم المنية مراً عن مراميها
درى عميد بنى الشورى بموضعها ... فعاش ما عاش يبنيها ويعليها
وما استبد برأى فى حكومته ... إن الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به ... رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

مثال من زهده

يا من صدفت عن الدنيا وزينتها ... فلم يغرك من دنياك مغريها
ما ذا رأيت بباب الشام حين رأوا ... أن يلبسوك من الأثواب زاهيها
ويركبوك على البرذون تقدمه ... خيل مطهمة تحلو مرائيها
مشى (٢) فهملج مختالا براكبه ... وفى البراذين ما تزهى بعاليها

---

(١) عمر هو أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة.
(٢) هملج أى تمايل عجباً.

فصحت يا قوم كاد الزهو يقتلنى وداخلتنى حال لست أدريها
وكاد يصبو إلى دنياكم عمر ويرتضى بيع باقيه بفانيها
ردوا ركابى فلا أبغى به بدلا ردوا ثيابى فحسبى اليوم باليها

مثال من رحمته

ومن رآه أمام القدر منبطحاً والنار تأخذ منه وهو يذكيها
وقد تخلل فى أثناء لحيته منها الدخان وفوه غاب فى فيها
رأى هناك أمير المؤمنين على حال تروع لعمر الله رائيها
يستقبل النار خوف النار فى غدة والعين من خشية سالت مآقيها

مثال من تقشفه وورعه

إن جاع فى شدة قوم شركتهم فى الجوع أو تنجلى عنهم غواشيها
جوع الخليفة والدنيا بقبضته فى الزهد منزلة سبحان موليها
فمن يبارى أبا حفص وسيرته أو من يحاول للفاروق تشبيها
يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها من أين لى ثمن الحلوى فاشريها
لا تمتطى شهوات النفس جامحة فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها
وهل يفى بيت مال المسلمين بما توحى اليك إذا طاوعت موحيها
قالت لك الله إنى لست أرزؤه ما لا لحاجة نفس كنت أبغيها
لكن أجنب شيئاً من وظيفتنا فى كل يوم على حال أسويها
حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها شريتها ثم إنى لا أثنيها
قال اذهبى واعلمى إن كنت جاهلة أن القناعة تغنى نفس كاسيها
واقبلت بعد خمس وهى حاملة دريهمات لتقضى من تشهيها
فقال نبهت منى غافلا فدعى هذى الدراهم إذ لا حق لى فيها

ويلى على عمر يرضى بموفية على الكفاف وينهى مستزيديها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمون به أولى فقومى لبيت المال رديها
كذاك أخلاقه كانت وما عهدت بعد النبوة أخلاق تحاكيها

مثال من هيبته

فى الجاهلية والاسلام هيبته تثنى الخطوب فلا تعدوا عواديها
فى طى شدته أسرار مرحمة للعالمين ولكن ليس يفشيها
وبين جنبيه فى أوفى صرامته فؤاد والدة ترعى ذراريها
أغنت عن الصارم المصقول درته فكم أخافت غَوِىَّ النفس عاتيها
كانت له كعصا موسى لصاحبها لا ينزل البطل مجتازاً بواديها
أخاف حتى الذرارى فى ملاعبها وراع حتى الغوانى فى ملاهيها
أريت تلك التى لله قد نذرت أنشودة لرسول الله تهديها
قالت نذرت لئن عاد النبى لنا من غزوه لعلى دفى أغنيها
ويممت حضرة الهادى وقد ملأت أنوار طلعته أرجاء ناديها
واستأذنت ومشت بالدف واندفعت تشجى بألحانها ما شاء مشجيها
والمصطفى وأبو بكر بجانبه لا ينكران عليها من أغانيها
حتى إذا لاح عن بعد لها عمر خارت قواها وكاد الخوف يرديها
وخبأت دفها فى ثوبها فرقا منه وودت لو ان الأرض تطويها
قد كان حلم رسول الله يؤنسها فجاء بطش أبى حفص يخشيها
فقال مهبط وحى الله مبتسما وفى ابتسامته معنى يواسيها
قد فر شيطانها لما رأى عمرا إن الشياطين تخشى بأس مخزيها

مثال من رجوعه إلى الحق

وفتية ولعوا بالراح فانتبذوا ... لهم مكانا وجدوا فى تعاطيها
ظهرت حائطهم لما علمت بهم ... والليل معتكر الأرجاء ساجيها
حتى تبينتهم والخمر قد أخذت ... تعلو ذؤابة ساقيها وحاسيها
سفهت آراءهم فيها فما لبثوا ... أن أوسعوك على ما جئت تسفيها
ورمت تقفيههم فى دينهم فإذا ... بالشرب قد برعوا الفاروق تقفيها
قالوا مكانك قد جئنا بواحدة ... وجئتنا بثلاث لا تباليها
فأت البيوت من الأبواب يا عمر ... فقد يزن [1] من الحيطان آتيها
واستأذن الناس أن تغشى بيوتهم ... ولا تلم بدار أو تحييها
ولا تجسس فهذى الآى قد نزلت ... بالنهى عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد أكبرت حجتهم ... لما رأيت كتاب الله يمليها
وما أنفت وإن كانوا على حرج ... من أن يحجك بالآيات عاصيها

عمر وشجرة الرضوان

وسرحة فى سماء السرح قد رفعت ... ببيعة المصطفى من رأسها تيها
أزلتها حين غالوا فى الطواف بها ... وكان تطوافهم للدين تشويها

الخاتمـــة

هذى مناقبه فى عهـد دولته ... للشاهدين وللأعقاب أحكيها
فى كل واحدة منهن نابلة ... من الطبائع تغذو نفس واعيها
لعل فى أمة الإسلام نابتـة ... تجلو لحاضرها مرآة ماضيها
حتى ترى بعض ماشادت أوائلها ... من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من عمر ... حتى ينبـه منها عين غافيها

---

(١) يزن أى يعاب

آية حافظ

الشعب يدعو الله يا زغلول ... أن يستقل على يديك النيل
أن الذى اندس الأثيم لقتله ... قد كان يحرسه لنا جبريل
أيموت سعد قبل أن تحيا به ... خطب على أبناء مصر جليل
يا سعد إنك أنت أعظم عدة ... ذخرت لنا نسطو بها ونصول
ولأنت أمضى نبلة ترمى بها ... فانفد واقصد فالنبال قليل
النسر يطمع أن يصيد بأرضنا ... سنريه كيف يصيده زغلول
إنا رميناهم بندب حول ... عن قصدوادى النيل ليس يحول
بأشدنا بأساً وأقدمنا على ... خوض الشدائد والخطوب مثول
بفتى جميع القلب غير مشتت ... إن مالت الأهرام ليس يميل

***

فاوض ولاتخفض جناحك ذلة ... إن العدو سلاحه مفلول
فاوض وأنت على المجرة جالس ... لمقامك الاعظام والتبجيل
فاوض فخلفك أمة قد أقسمت ... ألا تنام وفى البلاد دخيل
عزل ولكن فى الجهاد ضراغم ... لا الجيش يفزعها ولا الأسطول
أسطولنا الحق الصراح وجيشنا ال ... حجج الفصاح وحربنا التدليل
ما الحرب تذكيها قنا وصوارم ... كالحرب تذكيها نهى وعقول
خضها هنالك باليقين مدرعاً ... والله بالنصر المبين كفيل
أزعيمهم شاكى السلاح مدجج ... وزعيمنا فى كفه منديل
وكذلك المنديل أبلغ ضربة ... من صارم فى حده التضليل
لك وقفة فى الشرق تعرفها العلا ... ويحفها التكبير والتهليل
زلزل بها فى الغرب كل مكابر ... ليرى ويعلم ما حواه الغيل

***

لا تقرب التاميز واحذر ورده مهما بدا لك انه معسول
الكيد ممزوج بأصفى مائه والختل فيه مذوب مصقول
كم وارد يا سعد قبلك ماءه قد عاد عنه وفى الفؤاد غليل
القوم قد ملكوا عنان زمانهم ولهم روايات به وفصول
ولهم أحابيل إذا ألقوا بها قنصوا النهى فأسيرهم مخبول
فاحذر سياستهم وكن فى يقظة سعدية إن السياسة غول
إن مثلوا فدع الخيال فانما عند الحقيقة يسقط التمثيل
الشبر فى عرف السياسة فرسخ واليوم فى فلك السياسة جيل
ولكل لفظ فى المعاجم عندهم معنى يقال بأنه معقول
نضلت سياستهم وحال صباغها ولكل كاذبة الخطاب نصول
جمعوا عقاقير الدهاء وركبوا ماركبوه وعندك التحليل

***

يا سعد أنت زعيمنا ووكيلنا وعليك عند مليكنا التعويل
فادفع وناضل عن مطالب أمة يا سعد أنت امامها مسئول
النيل منبعه لها ومصبه ما إن له عن أرضها تحويل
وثقت بك الثقة التى لم ينفرد للريب فيها والشكوك سبيل
جعلت مكانك فى القلوب محبة أو بعد ذاك على الولاء دليل
كادت تجن وقد جرحت وخانها صبر على حمل الخطوب جميل
لم يبق فيها ناطق إلا دعا لك ربه ودعاؤه مقبول

***

يا سعد كاد العيد يصبح مأتما الدمع فيه أسى عليك يسيل
لولا دفاع الله لانطوت المنى عند انطوائك وانقضى التأميل

شلت أنامل من رمى فلكفه حز المدى ولكفك التقبيل
هذا وسامك فوق صدرك ماله من بين أوسمة الفخار مثيل
حليته بدم زكى طاهر فى حب مصر مصونه مبذول
فى كل عصر للجناة جريرة ليست على مر الزمان تزول
جاروا على الفاروق أعدل من قضى فينا وزكى رأيه التنزيل
وعلى على وهو أطهرنا فما ويدا وسيف نبينا المسلول
قف ياخطيب الشرق جدد عهدنا قبل الرحيل ليقطع التأويل
فاوض فان أوجست شراً فاعتزم واقطع فحبلك بالهدى موصول
وارجع إلينا بالكرامة كاسيا وعليك من زهراتها اكليل
إنا سنعمل للخلاص ولانى والله يقضى بيننا ويديل
كم دولة شهد الصباح جلالها وأتى عليها الليل وهى فلول
وقصور قوم زاهرات فى الدجى طلعت عليها الشمس وهى طلول

***

يا أيها النشء الكرام تحية كالروض قد خطرت عليه قبول
يا زهر مصر وزينها وحماتها مدحى لكم بعد الرئيس فضول
جدتم لها بالنفس فى ورد الصبا والورد لم ينظر إليه ذبول
كم من سجين دونها ومجاهد دمه على عرصاتها مطلول
سيروا على سنن الرئيس وحققوا أمل البلاد فكلكم مأمول
أنتم رجال غد وقد أوفى غد فاستقبلوه وحجلوه وطولوا

عيد الجلوس

تهنئة الأمة بلسان الشعر

أرأيت رب التاج فى عيد الجلوس وقد تبدى
وشهدت جبريلا يمـ ـد عليه ظل الله مدا

ونظرت تطواف القلو ب بساحة العرش المفدى
وسمعت تسبيح الوفو د بحمده وفداً فوفدا
هذا ابن اسماعيل رب النيـ ـل من أغنى وأسدى
النيل يجرى تحته فيخد وجه الأرض خدا
يهب النضار كأنه من فيض جدواه استمدا
وكأنما هو عالم بالكيمياء أصاب جداً
يدع الثرى تبراً فهل شهد الورى للنيل نداً

***

الناس يوم جلوسه يستقبلون العيش رغدا
أنى سلكت سمعت أد عية له وسمعت حمدا
عش يا أبا الفاروق والبس من نسيج الحمد بردا
ها صولجان الملك من شجر الجنان اليك يهدى
حدت علا صيد الملو ك ولا أرى لعلاك حدا
فأبن الرجال بناءة يشقى العدو بها ويردى
واضرب بسوط البأس أعطاف الزمان إذا استبدا
أى الملوك أجل منك مكانة وأعز جندا
من منهم كفاه يوم البذ ل من كفيك أندى
من منهم نامت رعيته وقام الليل سهدا
من منهمو ساماك أو سا مى جلالك أو تحدى
من منهمو أوفى حجى وحصافة وأبر وعدا
فى الشرق فانظر هل ترى حسباً كاسماعيل عـدا
هذى الجزيرة والعراق وفارس يهددن هدا
وإليك مكة هل ترى أحداً بها وإليك نجداً

وإليك تونس والجزائر قد لبسن العيش نكدا
لم يرتفع فى الشرق تا ج فوق تاج النيل مجدا
جددت عهد الراشدين تقى وإحسانا وزهدا
ونرى عليك مخايل الخلفاء انصـــافا ورشـــدا
جلت صفاتك كم محو ت أسى وكم أوريت زندا
أعطيت لا متربحا أو مخفيا فى الجود قصدا
رويت أفئدة الرعية من هواك فكيف تصدى
وملكتهن كما ملكت زمام مصر أباً وجداً
فاذا نهيت فطاعة وإذا أمرت فلا مرداً
أعطوك طاعة مخلص ومنحتهم عطفاً ووداً

***

أوضحت للمصرى نه ج صلاحه فسعى وجدا
أعددته وكفلته ورعيته حتى استعدا
ودعوته أن يسترد فخار مصر فاستردا
ورد الحياة عزيزة فنجا وكان الموت وردا
وحمى الكنانة بعد ما حفرت لها الأطماع لحدا
فتحت أعيننا فأبصر ن الضياء وكن رمدا
وأقمت جامعة بمص ر تشد أزر العلم شدا
كم سيد بالعلم كا ن برغمه للجهل عبدا
ورفعت فى ثغر الثغور لمنشئات البحر بندا
أسست مدرسة تعيـ د لنا بملك البحر عهدا
فمتى أرى أسطول مص ر يثير فوق البحر رعدا
ومتى أرى جيش البلاد يسد عين الشمس سدا

***

ونظرت فى الطيران نظرة مصلح لم يأل جهداً
أعددت عدته ولم تر منه للأوطان بداً
أعظم بأسطول الهواء إذا انبرى، فسطا فشدا
من راءه يوم النزال رأى النسور تصيد أسدا
وتراه عند السلم سربا من طواويس تبدى
وطوايف العمال كم أوليتها رفدا فرفدا
من ذا يطيق لبعض ما أصلحت أو أسديت عدا
دم يا فؤاد مؤيداً بالمال والأرواح تفدى
وأعد لنا عهد المعز الفاطمى فأنت أهدى

وقال فى الاحتفال « بيوم الشهداء » الذى أقامه الحزب الوطنى

أما أمين فقد ذقنا لمصرعه وخطبه من صنوف الحزن ألوانا
لم تنسنا ذكره الدنيا وإن نسجت للراحلين من النسيان أكفانا
مضى نقيا عفيف النفس محتسبا فهد من دولة الأخلاق أركانا
جرت على سنن التوحيد نشأته فى الله والرأى اخلاصا وإيمانا

* * *

لم يلوه المال عن رأى يدين به (ولو حملت اليه الدهر ملآنا)
ولم يلن عوده للخطب يرهقه قسا عليه شديد العيش أم لانا
ظلم من القبر أن تبلى أنامله فكم رمت فى سبيل الله من خانا
كانت مطية سباق جوانبه يرويك فياضها صدقا وعرفانا

* * *

عشرون عاما على الطرس الطهور جرى
ما خط فاحشة أو خط بهتانا
يجول بين رياض الفكر مقتطفا من طيب مغرسها وردا وريحانا

فينشق الذهن من أسطاره أرجا وتبصر العين فوق الطرس بستانا

***

أمين فارقتنا فى حين حاجتنا إلى فتى لا يرى للمال سلطانا
إلى أمين على أوطانه يقظ ذى مرة يتلقى الخطب جذلانا
أيلبس الخز من لانت مهزته وأنت تخرج من دنياك عريانا
إن القناعة كنز كنت حارسه ترى به القوت ياقوتا ومرجانا
فما سعيت لغير الحمد تكسبه ولا رضيت لغير الحق اذعانا
أودى بك السكر المضنى ولاعجب أن يورث الحلو مر العيش أحيانا
ما هان خطبك والأخلاق والهة تبكى عليك إذا خطب امرىء هانا

***

أمين حسبك ما قدمت من عمل فأنت أرجحنا فى الحشر ميزانا
أبشر فانك فى أخراك أسعدنا حظا وإن كنت فى دنياك أشقانا
بلغ ثلاثتكم عنا تحيتنا واذكر لهم ما يعانى قومنا الآنا
واضرع إلى الله فى الفردوس مبتهلا أن يحرس النيل ممن رام طغيانا

أنقذوا الطفل

أيها الطفل لا تخف عنت الده ر ولا تخش عاديات الليالى
قيض الله للضعيف نفوساً تعشق البر من ذوات الحجال
أى ذوات الحجال عشتن للبر ودمتن قدوة للرجال
لم يكونوا ليدركوا المجد لولا كن أو يسلكوا سبيل المعالى
بسمة تجعل الجبان شجاعاً وتعيد البخيل أكرم نال
وعظام الرجال من كل جنس فى رضا كن أرخصوا كل غال
راعنى من نفوسكن جمال يتجلى فى هالة من جلال

وجمال النفوس والشعر والأ خلاق عندى أسمى مجالى الجمال
قمن علمننا المروءة والعط ف على البائسين والسؤال
قمن علمننا الحنان على الطف ل شريداً فريسة المغتال
قد أجبنا نداءكن وجئنا نسأل القادرين بعض النوال
لو ملكنا غير المقال لجدنا إن جهد المقل حسن المقال

***

أنقذوا الطفل إن فى شقوة الطف ل شقاء لنا على كل حال
إن يعش بائساً ولم يطوه البؤ س يعش نكبة على الأجيال
رب بؤس يخبث النفس حتى يطرح المرء فى مهاوى الضلال
أنقذوه فربما كان فيه مصلح أو مغامر لا يبالى
ربما كان تحت طمريه عزم ذو مضاء يدك شم الجبال
رب سر قد حل جسم صغير وتأبى على شديد المحال
فخفاف الافيال أرفق وقعا لو تبينت من دبيب النمال
شاع بؤس الأطفال والبؤس داء لو أتيح الطبيب غير عضال
أيدوا كل مجمع قام للبر بجاه يظله أو بمال
كم يتيم كادت به البأ ساء لولا (رعاية الأطفال)
ورجال الاسعاف أنبل لولا شهوة الحرب من رجال القتال
يسهرون الدجى لتخفيف ويل أو بلاء مصوب أو نكال
كم جريح لولاهم مات نزفاً فى يد الجهل أو يد الاهمال
كم صريع من صدمة أو صريع من سموم مخدر الأوصال
كم حريق قد أحجم الناس فيه عن ضحايا تئن تحت التلال
يترامون فى اللهيب سراعاً كترامى القطا لورد الزلال
لا لشىء سوى المروءة يحلو طعمها فى فم المرىء الموالى

فاصنعوا البر منعمين وجودوا أيها القادرون قبل السؤال
لانتشار العلوم أو لانطواء البؤ س والشر أو لترفيه حال

دمع السرور

شكرت جميل صنعكم بدمعى ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة قد ذاق جفنى على ما ذاقه دمع السرور

تحية الشام

حي بكور الحيا أرباع لبنان وطالع اليمن من بالشام حيانى
أهل الشآم لقد طوقتم عنقى بمنة خرجت عن طوق تبيانى
قل للكريم الذى أسدى إلى يداً أنى نزحت فأنت النازح الدانى
ما إن تقاضيت نفسى ذكر عارفة هل يحدث الذكر إلا بعد نسيان
ولا عتبت على خل يضن بها ما دام يزهد فى شكرى وعرفانى
أقر عينى أنى قمت أنشدكم فى معهد بحلى العرفان مزدان
وشاع فى سرور لا يعادله رد الشباب إلى شعرى وجثمانى
لى موطن فى ربوع النيل أعظمه ولى هنا فى حماكم موطن ثان
إنى رأيت على أهرامها حللا من الجلال أراها فوق لبنان
لم يمح منها ولا من حسن جدتها على التعاقب ما يمحو الجديدان
حسبت نفسى نزيلا بينكم فاذا أهلى وصحبى وأحبابى وجيرانى
من كل أبلج سامى الطرف مضلع بالخطب مبتهج بالضيف جذلان
يمشى إلى المجد مختالا ومبتسما كأنه حين يبدو عود مران

***

سكنتم جنة فيحاء ليس بها عيب سوى أنها فى العالم الفانى
إذا تأملت فى صنع الإله بها لم تلق فى وشيه صنعا لانسان

فى سهلها واعاليها وسلسلها برء العليل وسلوى العاشق العانى
وفى تضوع أنفاس الرياض بها روح لكل حزين القلب أسوان
إنى تخيرت من لبنان منزلة فى كل منزلة روض وعينان
يا ليتنى كنت من دنياى فى دعة قلبى جميع وأمرى طوع وجدانى
أقضى المصيف بلبنان على شرف ولا أحول عن المشتى (بحلوان)
يا وقفة فى جبال الأرز أنشدها بين الصنوبر والشربين والبان
تستهبط الوحى نفسى من سماوتها وينشئ ملكا فى الشعر شيطانى
علّى أجاودكم فى القول مقتديا بشاعر الأرز فى صنع واتقان
لا بدع إن أخصبت فيها قرائحكم فأعجزت وأعادت عهد حسان
طيب الهواء طيب الروض قد صقلا لوح الخيال فأغراكم وأغرانى
من رام أن يشهد الفردوس ماثلة فليغش أحياءكم فى شهر نيسان
تاهت بقبر صلاح الدين تربتها وتاه أحياؤها تيهاً بمطران
يبنى ويهدم فى الشعر القديم وفى الشـ عر الحديث فنعم الهادم البانى
إذا لمحتم بشعرى ومض بارقة فبعض إحسانه فى القول إحسانى
رعياً لشاعركم رعياً لكاتبكم جزاهما الله عنى ما يقولان

* * *

أرى رجالا من الدنيا الجديدة فى الـ ـدنيا القديمة تبنى خير بنيان
قد شيدوا آية بالشام خالدة شتى المناهل تروى كل ظمآن
لئن هدوكم لقد كانت أوائلكم تهدى أوائلهم أزمان أزمان
لاغرو إن عمروا فى الأرض وابتكروا فيها أفانين إصلاح وعمران
فتلك دنياهم فى الجو قد نزعت أعنة الريح من دنيا سليمان

* * *

أبت أمية أن تفنى محامدها على المدى وأبى أبناء غسان

فمن غطارفة فى جلق نجب ... ومن غطارفة فى أرض حوران
عافوا المذلة فى الدنيا فعندهم ... عز الحياة وعز الموت سيان
لا يصبرون على ضيم يحاوله ... باغ من الانس أو طاغ من الجان
شققت أسواق بيروت فما أخذت ... عيناى فى ساحها حانوت يونانى
فقلت فى غبطة لله درهم ... ليس الفلاح لوان غير يقظان
تيمموا أرض (كولمب) فماشعرت ... منهم بوطء غريب الدار حيران
سادوا وشادوا وأبلوا فى مناكبها ... بلاء مضطلع بالأمر معوان
إن ضاق ميدان سبق عن عزائمهم ... صاحت بهم فأروها ألف ميدان
لا يستشيرون إن هموا سوى همم ... تأبى المقام على ذل وإذعان
ولا يبالون إن كانت قبورهم ... ذرى الشوامخ أو أجواف حيتان
فى الكون مورقهم فى الشام مغرسهم ... والغرس يزكو نقالا بين بلدان
إن لم يفوزوا بسلطان يقرهم ... ففى المهاجر قد عزوا بسلطان
أو ضاقت الشام عن برهان قدرتهم ... ففى المهاجر قد جاءوا ببرهان
إنا رأينا كراما من رجالهم ... كانوا عليهم لدينا خير عنوان
أنى التفينا التقى فى كل مجتمع ... أهل بأهل وإخوان باخوان
كم فى نواحى ربوع النيل من طرف ... لليازجى وصروف وزيدان
وكم لأحيائهم فى الصحف من أثر ... له (المقطم) (والأهرام) ركنان

***

متى أرى الشرق أدناه وأبعده ... من مطمع الغرب فيه غير وسنان
تجرى المودة فى أعراقه طلقا ... كجرية الماء فى أفناء أفنان
لا فرق بين بوذى يعيش به ... ومسلم ويهودى ونصرانى
ما بال دنياه لما فاء وارفها ... عليه قد أدبرت من غير إيذان
عهد الرشيد ببغداد عفى ومضى ... وفى دمشق انطوى عهد ابن مروان

ولا تسل بعده عن عهد قرطبة ... كيف انمحى بين أسياف ونيران
فعلموا كل حى عند مولده ... عليك لله والأوطان دينان
حتم قضاؤهما حتم جزاؤهما ... فاربأ بنفسك أن تمنى بخسران
النيل وهو إلى الأردن فى شغف ... يهدى إلى بردى أشواق ولهان
وفى العراق به وجد بدجلته ... وبالفرات وتحنان لسيحان
إن دام ما نحن فيه من مدابرة ... وفتنة بين أجناس وأديان
رأيت رأى المعرى حين أرهقه ... ما حل بالناس من بغى وعدوان
لاتطهر الأرض من رجس ومن درن ... حتى يعاودها نوح يطوفان

***

ولى الشباب وجازتنى فتوته ... وهدم السقم بعد السقم أركانى
وقد وقفت على الستين أسألها ... أسوفت أم أعدت حر أكفانى
شاهدت مصرع أترابى فبشرنى ... بضجعة عندها روحى وريحانى
كم من قريب نأى عنى فأوجعنى ... وكم عزيز مضى قبلى فأبكانى
من كان يسأل عن قومى فانهم ... ولوا سراعا وخلوا ذلك الوانى
إنى مللت وقوفى كل آونة ... أبكى وأنظم أحزانا بأحزان
إذا تصفحت ديوانى لتقرأنى ... وجدت شعر المراثى نصف ديوانى
أتيت مستشفيا والشوق يدفع بى ... إلى رباكم وعودى غير فينان
فأنزلونى مكانا أستجم به ... وينجلى عن فؤادى برح أجفانى
وجنبونى على شكر موائدكم ... بما حوت من أفاويه وألوان
حسبى وحسب الندى مانلت من كرم ... قد كدت أنسى به أهلى وخلان

بين اليقظة والمنام

أشرق فدتك مشارق الإصباح ... وأمط لثامك عن نهار ضاح
بوركت يا يوم الخلاص ولا ونت ... عنك السعود بغدوة ورواح
بالله كن يمناً وكن بشرى لنا ... فى رد مغترب وفك سراح
أقبلت والأيام حولك مثلُ ... صفين تخطر خطرة المياح
وخرجت من حجب الغيوب محجلا ... في كل لحظ منك ألف صباح
لو صح فى هذا الوجود تناسخ ... لرأيت فيك تناسخ الأرواح
ولكنت يوم « اللابرنت » بعينه ... فى عزة وجلالة وسماح
يوم يريك جلاله وروآؤه ... فى الحسن قدرة فالق الاصباح
خلعت عليه الشمس حلة عسجد ... وحباه آذار أرق وشاح
الله أثبته لنا فى لوحه ... أبد الأبيد فما له من ماح
حييه عنا يا أزاهر واملأى ... أرجآءه بأريحك الفواح
وانفحه عنا يا ربيع بكل ما ... أطلعت من رند ونور أقاح

***

ته يا (فؤاد) فحول عرشك أمة ... عقدت خناصرها على الاصلاح
أبنآؤها وهم أحاديث الندى ... ليسوا على أوطانهم بشحاح
صبروا على مر الخطوب فأدركوا ... حلو المنى معسولة الأقداح
شاكى سلاح الصبر ليس بأعزل ... يغزوه رب عوامل وصفاح
الصبر إن فكرت أعظم عدة ... والحق لو يدرون خير سلاح
قد أنكروا حق الضعيف فهل أتى ... إنكار ذاك الحق فى (إصحاح)
كم خدرت أعصاب مصر نوافخ ... لوعودهم كنوافح التفاح
فتعلل المصرى مغتبطا بها ... أرأيت طفلا علله بداح

وتأنقوا فى الخلف حتى أصبحت أقوالهم تذرى بغير رياح
لما تنبه بالكنانة نائم وأصات بالشكوى الأليمة صاح
وتكشفت تلك الغياهب وانطوت وبدت شموس الحق وهى ضواحى
علموا بحمد الله أن قرارنا فى ظل غير الله غير متاح
فاليوم قرى يا كنانة واهدئى حرم الكنانة لم يكن بمباح
من ذا يغير على الأسود بغابها أو من يعوم بمسبح التمساح
للنيل مجد فى الزمان موثل من عهد (آمون) وعهد (فتاح)
فسل العصور به وسل آثاره فى مصر كم شهدت من السياح

***

يا صاحب القطرين غير مدافع ما مثل ساحك فى العلى من ساح
لم يبد نور فوق نور يجتلى كالتاج فوق جبينك الوضاح
ذكرت بعرشك مصر يوم وليته عرش (المعز) بهاوعرش (صلاح)
فى كل قطر من جلالك روعة ولكل قطر منك ظل جناح
لك مصر والسودان والنهر الذى يختال بين ربى وبين بطاح
وبواسق السودان تشهد أنها غرست بعهد جدودك الفتاح
لا غرو إن غنى بمدحك صائح أو مسجح فى حلبة المداح
حسن الغناء مع الصياح كحسنه عند الخبير به مع الاسجاح
أو لم يكن لك ملك مصر ونيلها ينساب بين مروجها الأفياح
منضورة الجنات حالية الربى مطلولة السرحات والأرواح
قد قال عمرو فى ثراها آية مأثورة نقشت على الألواح
بينا تراه لآلئا وكأنما نثرت بتربته عقود ملاح
وإذا به للناظرين زمرد يشفيك أخضره من الأتراح
وإذا به مسك تشق سواده شق الأديم محارث الفلاح

« البرلمان » تهيأت أسبابه لم يبق من سبب سوى المفتاح
هو فى يديك وديعة لرعية تثنى بألسنة عليك فصاح
رد الوديعة يا « فؤاد » فانما رد الوديعة شيمة المسماح
وانهض بشعبك يا « فؤاد » إلى العلى وإلى مكان فى الوجود براح
فالله يشهد والخلائق أننا طلاب حق فى الحياة صراح

***

هذا منار « البرلمان » أمامكم لهدى السبيل كابرة الملاح
فتيمموه مخلصين فما لكم من دونه من غبطة وفلاح
الفصل للشورى وتلك هى التى تزع الهوى وترد كل جماح
هى لا تضل سبيلها فكأنما خلق السبيل لها بغير نواحى
هى لا براح ترد كيد عدوكم وتفل غرب الغاصب المجتاح
فتكنفوا الشورى على استقلالكم فى الرأى لا توحيه نزعه واح
ويد الإله مع الجماعة فاضربوا بعصا الجماعة تظفروا بنجاح
كونوا رجالا عاملين وكذبوا والصبح أبلج حامل المصباح (١)
ودعوا التخاذل فى الأمور فإنما شبح التخاذل أنكر الأشباح
والله ما بلغ الشقاء بنا المدى بسوى خلاف بيننا وتلاحى

***

قم يا ابن مصر فأنت حر واستعد مجد الجدود ولا تعد لمراح
شمر وكافح فى الحياة فهذه دنياك دار تناحر وكفاح
وانهل مع النهال من عذب الحيا فإذا رقا فامتح مع المتاح
وإذا ألح عليك خطب لا تهن واضرب على الالحاح بالالحاح

---

(١) إشارة إلى الفيلسوف ديوجنس الذى كان يحمل فى رابعة النهار مصباحا يبحث عن رجل .

وخض الحياة وإن تلاطم موجها ... خوض البحار رياضة السباح
واجعل عيانك قبل خطوك رائدا ... لا تحسبن الغمر كالضحضاح
وإذا اجتوتك محلة وتنكرت ... لك فاعدها وانزح مع النزاح
فى البحر لا تثنيك نار بوارج ... فى البر لا يلويك غاب رماح
وانظر إلى الغربى كيف سمت به ... بين الشعوب طبيعة الكداح
والله ما بلغت بنو الغرب المنى ... إلا بنيات هناك صحاح
ركبوا البحار وقد تجمد مآؤها ... والجو بين تناوح الأرواح
والبر مصهور الحصى متأججاً ... يرمى بنزاع الشوى لواح
يلقى فتيهم الزمان بهمة ... عجب ووجه فى الخطوب وقاح
ويشق أجواز القفار مغامراً ... وعر الطريق لديه كالصحصاح
وابن الكنانة فى الكنانه راكد ... يرنو بعين غير ذات طماح
لا يستغل كما علمت ذكاءه ... وذكاؤه كالخاطف اللماح
أمسى كماء النهر ضاع فراته ... فى البحر بين أجاجه المنداح
فانهض ودع شكوى الزمان ولا تنح ... فى فادح البؤسى مع الأنواح
واربح لمصر برأس مالك عزة ... إن الذكاء حبالة الأرباح
وإذا رزقت رياسة فانسج لها ... بردين من حزم ومن إسجاح
واشرب من الماء القراح منعما ... فلكم وددت الماء غير قراح

قال شوقى وهو فى الأندلس :

يا ساكنى مصر إنا لا نزال على ... عهد الوفاء — وإن غبنا — مقيمينا
هلا بعثتم لنا من ماء نهركم ... شيئا نبل به أحشاء صادينا
كل المناهل بعد النيل آسنة ... ما أبعد النيل إلا عن أمانينا

فقال حافظ :

عجبت للنيل يدرى أن بلبله ... صاد ويسقى ربى مصر ويسقينا

والله ما طاب للأصحاب مورده ولا ارتضوا بعدكم من عيشهم لينا
لم تنأ عنه وإن فارقت شاطئه وقد نأينا وإن كنا مقيمينا

الرحلة الى ايطاليا

عاصف يرتمي وبحر يغير أنا بالله منهما مستجير
وكأن الأمواج وهي توالى محنقات أشجان نفس تثور
أزبدت ثم جرجرت ثم ثارت ثم فارت كما تفور القدور
ثم أوفت مثل الجبال على الفلـ ـك وللفلك عزمة لا تخور
تترامى بجؤجؤ لا يبالى أمياه تحوطه أم صخور
أزعج البحر جانبيها من الشد فجنبٌ يعلو وجنبٌ يغور
وهو آنا ينحط من علو كالسيـ ـل وآنا يحوطها منه سور
وهي تزورُّ كالجواد إذا ما ساقه للطعان ندب جسور
وعليها نفوسنا خائرات جازعات كادت شعاعا تطير
في ثنايا الأمواج والزبد المنـ ـدوف لاحت أكفاننا والقبور
مر يوم وبعض يوم علينا والمنايا إلى النفوس تشير
ثم طافت عناية الله بالفلـ ـك فزالت عمن تقل الشرور
ملكت دفة النجاة يد اللـ ـه فسبحان من اليه المصير
أمر البحر فاستكان وأمسى منه ذاك العباب وهو حصير
أيها البحر لا يغرنك حول واتساع وأنت خلق كبير
إنما أنت ذرة قد حوتها ذرة في فضاء ربي تدور
إنما أنت قطرة في إناء ليس يدري مداه إلا القدير

* * *

إيه (اسبيريا) فدتك الجواري منشآت كأنهن القصور

يا عروس البحار إنك أهل ... أن تحليك بالجمان البحور
فالبسى اليوم من ثنائى عقداً ... تشتهيه من الحسان النحور

***

إيه إيطاليا عدتك العوادى ... وتنحى عن ساكنيك الثبور
فيك يا مهبط الجمال فنون ... ليس فيها عن الكمال قصور
ودمى جمع المحاسن فيها ... صنع الكف عبقرى شهير
قد أقيمت من الجماد ولكن ... من معانى الحياة فيها سطور
فهى تبدو من الملائك يكسو ... ها جمال على خفافيه نور
أمرت السكوت من جانب الحق ... بدنيا فيها الأحاديث زور

***

أرضهم جنة حور وولدا ... ن كما تشتهى وملك كبير
تحتها — والعياذ بالله — نار ... وعذاب ومنكر ونكير
إن يوما كيوم (ردجو ومسيـ ... ـنا وكالأبرياء) ليوم عسير
ساعة منه تهلك الحرث والنسـ ... ـل وتمحو ما سطرته الدهور
ذاك (فيزوف) قائما يتلظى ... قد تعالى شهيقه والزفير
ينذر القوم بالرحيل ولكن ... ليس يغنى مع القضاء النذير
وكذاك الأوطان مهما تجنت ... ليس للحر عن حماها مسير

***

شمسهم غادة عليها حجاب ... فهى شرقية حوتها الخدور
شمسنا غادة أبت أن توارى ... فهى غربية جلاها السفور
جوهم فى تقلب واختلاف ... غير أن الثبات فيهم وفير
جونا أثبت الجواء ولكن ... ليس فينا على الثبات صبور
ولديهم من الفنون لباب ... ولدينا من الفنون قشور

انكر الوقف شرعهم فلهذا كل ربع بأرضهم معمور
ليس فيها مستنقع أو جدار قد تداعى أو مسكن مهجور
كل شبر فيها عليـــه بناء مشمخر أو روضة أو غدير
قسموا الوقت بين لهو وجد فى مدى اليوم قسمة لا تجور
كلهم كادح بكور إلى الرز ق ولاه إذا دعاه السرور
لا ترى فى الصباح لاعب نرد حوله للرهان جم غفير
لا ولا باهلا سليم النواحى (للقهاوى) رواحه والبكور
لم يحل بينهم وبين الملاهى او شؤون الحياة جو مطير
لا يبالون بالطبيعة حنت أم تجنت أم احتواها النعور
عصفت فوقهم رياح عوات أم أجازت بها صبا أم دبور
قد أعدوا لحادثات الليالى عدة لا يجوزها التقدير
نضروا الصخر فى رؤوس الرواسى ولدينا فى موطن الخصب بور
قد وقفنا عند القديم وساروا حيث تسرى إلى الكمال البدور
والجوارى فى النيل من عهد نوح لم يقدر لصنعها تغيير
ولع القوم بالنظافة حتى جن فيها غنيهم والفقير
فاذا سرت فى الطريق نهاراً خلت أنى على المرايا أسير
افرط القوم فى النظام وعندى أن فرط النظام أسر ونير
ولذيذ الحياة ما كان فوضى وليس فيها مسيطر أو أمير
فاذا ما سألتنى قلت عنهم أمة حرة وفرد أسير
ذاك رأيى وهل أشارك فيه إنه قول شاعر لا يضير
فى جبال (التيرول) إن أقبل الصيـ ـف نعيم وإن مضى زمهرير
اذكرتنى ما قاله عربى طارقى امسى احتواه : (شلير)
حل ترك الصلاة فى هذه الأر ض وحلت لنا عليها الخمور

إن صدر السعير أحنى علينا من (شلير) وأين منا السعير

***

قد بلوت الحياة فى الشرق والغر ب فما فى الحياة أمر يسير
من ثوآء فيـــه الملال لزام أو رحيل فيه العنـاء كثير

مصر فوق الجميع

(1) وقف الخلق ينظرون جميعا كيف أبنى قواعد المجد وحدى
(2) وبناة الأهرام فى سالف الده ر كفونى الكلام عند التحدى
(3) أنا تاج العلاء فى مفرق الشر ق ودراته فرائد عقدى
أى شىء فى الغرب قد بهر النا س جمالا ولم يكن منه عندى
فترابى تبر ونهرى فرات وسمائى مصقولة كالفرند
أينما سرت جدول عند كرم عند زهر مدنر عنـــد رند
ورجالى لو أنصفوهم لسادوا من كهول ملء العيون ومرد
لو أصابوا لهم مجالا لأبدوا معجزات الذكاء فى كل قصد
إنهم كالظبى ألح عليهـا صدأ الدهر من ثواء وغمد
فاذا صيقل القضاء جلاها كن كالموت ما له من مرد
(5) أنا إن قدر الإله مماتى لا تر الشرق يرفع الرأس بعدى
(6) ما رمانى رام وراح سليما من قديم عناية الله جندى
(7) كم بغت دولة على وجارت ثم زالت وتلك عقبى التعدى
(8) إننى حرة كسرت قيودى رغم رقبى العدى وقطعت قدى
وتماثلت للشفاء وقد دا نيت حينى وهيأ القوم لحدى
قل لمن أنكروا مفاخر قومى مثل ما أنكروا مآثر ولدى
هل وقفتم بقمة الهرم الأكـ بر يوماً فريتم بعض جهدى

هل رأيتم تلك النقوش اللواتى أعجزت طوق صنعة المتحدى
حال لون النهار من قدم العهـ ـد وما مس لونها طول عهد
هل فهمتم أسرار ما كان عندى من علوم مخبوءة طى بردى
ذاك فن التحنيط قد غلب الده ـر وأبلى البلى وأعجز ندى
قد عقدت العهود من عهد فرعو ن فنى مصر كان أول عقد[1]
(4) إن مجدى فى الأوليات عريق من له مثل أولياتى ومجدى
أنا أم التشريع قد أخذ الرو مان عنى الأصول فى كل حد
ورصدت النجوم منذ أضاءت فى سماء الدجى فأحكمت رصدى
وشد (بنتاؤور) فوق ربوعى قبل عهد اليونان أو عهد نجد[2]
وقديما بنى الأساطيل قومى ففرقن البحار يحملن بندى
قبل أسطول (نلسن) كان أسطو لى سريا وطالعى غير نكد
فسلوا البحار عن بلاء سفينى وسلوا البر عن مواقع جردى
(9) أترانى وقد طويت حياتى فى مراس لم أبلغ اليوم رشدى
أى شعب أحق منى يعيش وارف الظل أخضر اللون رغد
(10) أمن العدل أنهم يردون الـ ـماء صفواً وأن يكدر وردى
(11) أمن الحق أنهم يطلقون الـ ـأسد منهم وأن تقيد أسدى
نصف قرن إلا قليلا أعانى ما يعانى هونه فى كل عهد
(12) نظر الله لى فأرشد أبنا ئى فشدوا إلى العلا أى شد
(13) إنما الحق قوة من قوى الديا ن أمضى من كل أبيض هندى
وقد وعدت العلا بكل أبى من رجالى فأنجزوا اليوم وعدى
أمهروها بالروح فهى عروس تشنأ المهر من عروض ونقد

---

(١) يشير إلى المعاهدة السياسية التى عقدت بين فرعون والخيتاس وهى أول معاهدة أبرمت فى التاريخ (٢) بنتاؤور أقدم شاعر عرفه التاريخ وهو مصرى

وردوا بى مناهل العز حتى ... يخطب النجم فى المجرة ودى
وارفعوا دولتى على العلم والأخـ ... ـلاق فالعلم وحده ليس يجدى
وتواصوا بالصبر فالصبر إن فا ... رق قوما فما له من مسد
خلق الصبر وحده نصر القو ... م وأغنى عن اختراع وعد
شهدوا حومة الوغى بنفوس ... صابرات وأوجه غير ربد
فمحا الصبر آية العلم فى الحر ... ب وأنحى على القوى الأشد
إن فى الغرب أعينا راصدات ... كحلتها الأطماع فيكم بسهد
فوقها مجهر يريها خفايا ... كم ويطوى شعاعه كل بعـد
فاتقوها بجنة من وئام ... غير رث العرى وسعى وكـد
واصفحوا عن هنات ما كان منكم ... رب هاف هفا على غير عمد
نحن نجتاز موقفا تعثر الآ ... راء فيه وعثرة الرأى تردى
ونعير الأهواء حربا عوانا ... من خلاف والخلف كالسل يعدى
ونثير الفوضى على جانبيه ... فيعيد الجهول فيها ويبدى
ويظن الغوى أن لا نظام ... ويقول القوى قد جد جدى
فقفوا فيه وقفة الحزم وارموا ... جانبيـه بعزمة المستعد
إننا عنـد فجر ليـل طويل ... قد قطعناه بين سهد ووجد
غمرتنا سود الأهاويل فيـه ... والأمانى بين جزر ومد
وتجلى ضياؤه بعـد لأى ... وهو رمز لعهدى المسترد
فاستبينوا قصد السبيل وجدوا ... فالمعـالى مخطوبة للمجـد

ايا صوفيا

قالها حين خيف على الأستانة أن يدخلها الأعداء

أياصوفيا حان التفرق فاذكرى ... عهود كرام فيك صلوا وسلموا
إذا عدت يوما للصليب وأهله ... وحلى نواحيك المسيح ومريم
ودقت نواقيس وقام مزنر ... من الروم فى محرابه يترنم
فلا تنكرى عهد المآذن إنه ... على الله من عهد النواقيس أكرم
تباركت بيت القدس جذلان آمن ... ولا يأمن البيت العتيق المحرم
أيرضيك أن تغشى سنابك خيلهم ... حماك وأن يمنى الحطيم وزمزم
وكيف يذل المسلمون وبينهم ... كتابك يتلى كل يوم ويكرم
نبيك محزون وبيتك مطرق ... حباء وأنصار الحقيقة نوم
عصينا وخالفنا فعاقبت عادلا ... وحكمت فينا اليوم من ليس يرحم

ملجأ البر

أيها الطفل لك البشرى فقد ... قدر الله لنا أن ننشرا
لا تخف جوعا ولا عريا ولا ... تبك عيناك إذا خطب عرا
لك عند البر فى ملجئه ... حيث تأوى خاطر لن يكسرا
حيث تلقى فيه جدباً وترى ... بين أترابك عيشاً أنضرا
لا تسىء ظناً بمثرينا فقد ... تاب عن آثامه واستغفرا
كان بالأمس وأقصى همه ... إن أتى عارفة أن يظهرا
فغدا اليوم يواسى شعبه ... وهو لا يرغب فى أن يشكرا
نبهت عاطفة البر به ... محنة عمت ومقدار جرى
جمعتنا فى صعيد واحد ... وأرادتنا على أن نقهرا

فتعاهدنا على دفع الأذى بركوب الحزم حتى نظفرا
وتواصينا بصبر بيننا فغدونا قوة لا تزدرى
أنشرت فى مصر شعبا صالحا كان قبل اليوم منفك العرى
كم محب هائم فى حبها ذاد عن أجفانه سرح الكرى
وشباب وكهول أقسموا أن يشيدوا مجدها فوق الذرى
يا رجال الجد هذا وقته آن أن يعمل كل ما يرى
ملجأ أو مصرف أو مصنع أو نقابات لزراع القرى
أنا لا أعذر منكم من ونى وهو ذو مقدرة أو قصرا
فابدأوا بالملجأ الحر الذى جئت للأيدى له مستمطرا
واكفلوا الأيتام فيه واعلموا أن كل الصيد فى جوف الفرا
أيها المثرى ألا تكفل من بات محروما يتيما معسرا
أنت من يدريك لو أنبته ربما أطلعت بدراً نيرا
ربما أطلعت (سعداً) آخراً يحكم القول ويرقى المنبرا
ربما أطلعت منه (عبده) من حمى الدين وزان الأزهرا
ربما أطلعت منه شاعراً مثل (شوقى) نابهاً بين الورى
ربما أطلعت منه فارساً يدخل الغيل على أسد الشرى
كم طوى البؤس نفوسا لو رعت منبتا خصبا لكانت جوهرا
كم قضى العدم على موهبة فتوارت تحت أطباق الثرى
كل من أحيى يتيما ضائعا حسبه من ربه أن يؤجرا
إنما يحمد عقبى أمره من لأخراه بدنياه اشترى

رثاء سعد

إيه ياليل هل شهدت المصابا ... كيف ينصب فى النفوس انصبابا
بلغ المشرقين قبل انبلاج الـ ... ـصبح ان الرئيس ولى وغابا
وانع للنيرات سعداً فسعد ... كان أمضى فى الأرض منها شهابا
قد ياليل من سوادك ثوبا ... للدرارى والضحى جلبابا
انسج الحالكات منك نقابا ... واحب شمس النهار منك النقابا
قل لها غاب كوكب الأرض فى الأر ... ض فغيبى عن السماء احتجابا
والبسينى عليه ثوب حداد ... واجلسى للعزاء والحسن طابا

* * *

أين سعد فذاك أول حفل ... غاب عن صدره وعاف الخطابا
لم يعد جنوده يوم خطب ... أن ينادى فلا يرد الجوابا
عل أمراً قد عاقه عل سقماً ... قد عراه ، لقد أطال الغيابا
أى جنود الرئيس نادوا جهاراً ... فإذا لم يجب فشقوا الثيابا
إنها النكبة التى كنت أخشى ... إنها الساعة التى كنت آبى
إنها اللفظة التى تنسف الأنـ ... ـفس نسفا وتقفر الأصلابا
مات سعد لا كنت يا (مات سعد) ... أسهاماً مسمومة أم حرابا
كيف أقصدت كل حى على الأر ... ض وأحدثت فى الوجود انقلابا
حسرة عند أنة عند آه ... تحتها زفرة تذيب الصلابا
قل لمن بات فى فلسطين يبكى ... إن زلزالنا أجل مصابا
قد دهيتم فى دوركم ودهينا ... فى نفوس أبين إلا احتسابا
فقدتم على الحوادث جفناً ... وفقدنا المهند القرضابا
سله ربه زماناً فأبلى ... ثم ناداه ربه فأجابا

قدر شاء أن يزلزل مصراً فتعالى فزلزل الألبابا
طاح بالرأس من رجالات مصر وتخطى التحوت والأوشابا
والمقادير إن رمت لا تبالى أرؤوسا تصيب أم أذنابا

* * *

خرجت أمة تشيع نعشا قد حوى أمة وبحراً عبابا
حملوه على المدافع لما أعجز الهام حمله والرقابا
حال لون الأصيل والدمع يجرى شفقا سائلا وصبحا مذابا
وسها النيل عن سراه ذهولا حين ألفى الجموع تبكى انتحابا
ظن يا سعد أن يرى مهرجانا فرأى مأتما وحشداً عجابا
لم تسق مثله فراعين مصر يوم كانوا لأهلها أربابا
خضب الشيب شيبهم بسواد ومحا البيض يوم مت الخضابا
واستهلت سحب البكاء على الوا دى فغطت خضراءه واليبابا
ساقت « التيمس » العزاء إلينا وتوخت فى مدحك الاسهابا
لم ينح جازع عليك كما نا حت ولا أطنب المحب وحابى
واعتراف (التاميز) يا سعد مقيا س لما ناب نيلنا وأصابا

* * *

يا كبير الفؤاد والنفس والآ مال أين اعتزمت عنا الذهابا
كيف ننسى مواقفا لك فينا كنت فيها المهيب لا الهيابا
كنت فى ميعة الشباب حساما زاد صقلا فرنده حين شابا
لم ينازلك قارح القوم إلا كنت أقوى يداً وأعلى جنابا
عظم لو حواه كسرى أنوشر وان يوما لضاق عنه إهابا
ومضاء يربك حد قضاء ال له يفرى متنا ويحطم نابا
قد تحديت قوة تملأ المع مور من هول بطشها إرهابا

تملك البر والبحار وتمشى فوق هام الورى وتجبى السحابا
لم ينهنه من عزمك السجن والنف ى وساجلتها بمصر الضرابا
سائلوا (سيشلا) أأوجس خوفا وسلوا (طارقاً) أرام انسحابا ؟
عزمة لا يصدها عن مداها ما يصد السيول تغشى الهضابا

***

ليت سعداً أقام حتى يرانا كيف نعلى على الأساس القبابا
قد كشفنا بهديه كل خاف وحسبنا لكل شىء حسابا
حجج المبطلين تمضى سراعا مثلما تطلع الكؤوس الحبابا
حين قال (انتهيت) قلنا بدأنا نحمل العبء وحدنا والصعابا
فاحجبوا الشمس واحبسوا الروح عنا
وامنعونا طعامنا والشرابا
واستشفوا يقيننا رغم ما نل قى فهل تلمحون فيه ارتيابا
قد ملكتم فم السبيل علينا وفتحتم لكل شعواء بابا
وأتيتم بالحائمات ترامى تحمل الموت جاثما والخرابا
وملأتم جوانب النيل وعداً ووعيداً ورحمة وعذابا
هل ظفرتم منا بقلب أبى أو رأيتم منا إليكم مثابا
لا تقولوا خلا العرين ففيه ألف ليث إذا العرين أهابا
فاجمعوا كيدهم وروعوا حماها إن عند العرين أسداً غضابا

***

جزع الشرق كله لعظيم ملأ الشرق كله إعجابا
علم الشام والعراق ونجداً كيف يحمى الحمى إذا الخطب نابا
جمع الحق كله فى كتاب واستثار الأسود غاباً فغابا
ومشى يحمل اللواء إلى الحق ويتلو فى الناس ذاك الكتابا

كلما أسدلوا عليه حجابا ... من ظلام أزال ذاك الحجابا
واقف فى سبيلهم أين ساروا ... عالم باحتيالهم أين جابا
أى مكر يدق عن ذهن سعد ... أى ختل يريغ منه اضطرابا
شاع فى نفسه اليقين فوقا ... ه به الله عثرة أو ثيابا
عجزت حيلة الشباك وكان الش ... رق للصيد مغنما مستطابا
كلما أحكموا بأرضك فخاً ... من فخاخ الدهاء خابوا وخابا
أو أطاروا الحمام يوماً لزجل ... قابلوا منك فى السماء عقابا
تقتل الدس بالصراحة قتلا ... وتسقى منافق القوم صابا
وترى الصدق والصراحة ديناً ... لا يراه المخالفون صوابا
تعشق الجو صافى اللون صحواً ... والمضلون يعشقون الضبابا
أنت أوردتنا من الماء عذباً ... وأراهم قد أوردونا السرابا
قد جمعت الأحزاب خلفك صفاً ... ونظمت الشيوخ والنوابا
وملكت الزمام واحتطت للغيـ ... ـب وأدركت بالأناة الطلابا
ثم خلفت بالكنانة أبطا ... لا كهولا أعزة وشبابا
قد مشى جمعهم إلى المقصد الأسـ ... ـمى يغذون للوصول الركابا
يبتنون العلا ، يشيدون مجداً ... يسعدون البنين والأعقابا
قد بلوناك قاضياً ووزيراً ... ورئيساً ومدرها خلابا
فوجدناك من جميع نواحيـ ... ـك عظيما موفقاً غلابا
لم ينل حاسدوك منك مناهم ... لا ولم يلصقوا بعلياك عابا
نم هنيئاً فقد سهدت طويلا ... وسئمت السقام والأوصابا
كم شكوت السهاد لى يوم كنا ... « بالبساتين » نستعيد الشبابا
ننهب اللهو غافلين وكنا ... نحسب الدهر قد أناب وتابا
فاذا الرزء كان منا بمرمى ... وإذا حائم الردى كان قابا

حرمتنا المنون ذيالك الوجـ ـه وذاك الحمى وتلك الرحابا
وسجايا لهن فى النفس روح يعدل الفوز والدعاء المجابا
كم وردنا موارد الأنس منها ورشفنا سلافها والرضابا
ومرحنا فى ساحها فنسينا الـ ـأهل والأصدقاء والأحبابا
ثم ولت بشاشة العيش عنا حين ساروا فوسدوك الترابا
خفت فينا مقام ربك حياً فتنظر بجنتيه الثوابا

وداع الشباب

قالها وقد وقف يوماً على داره التى قضى فيها سنى صباه

كم مر بى فيك عيش لست أذكره ومر بى فيك عيش لست أنساه
ودعت فيك بقايا ماعلقت به من الشباب وما ودعت ذكراه
أهفو إليه على ما أقرحت كبدى من التباريح أولاه وأخراه
لبسته ودموع العين طيعة والنفس جياشة والقلب أواه
فكان عونى على وجد أكابده ومر عيش على العلات ألقاه
إن خان ودى صديق كنت أصحبه أو خان عهدى حبيب كنت أهواه
قد أرخص الدمع ينبوع الغناء به والهفتى ونضوب الشيب أغلاه
كم روح الدمع عن قلبى وكم غسلت منه السوابق حزنا فى حناياه
لم أدر ما يده حتى ترشفه فم المشيب على رغمى فأفناه
قالوا تحررت من قيد الملاح فعش حراً ففى الأسر ذل كنت تأباه
فقلت ياليته دامت صرامته ما كان أرفقه عندى وأحناه
بدلت منه بقيد لست أفلته وكيف أفلت قيداً صاغه الله
أسرى الصبابة أحياء وإن جهدوا أما المشيب ففى الأموات أسراه

الترحيب بشوقى

ورد الكنانة عبقرى زمانه فتنظرى يا مصر سحر بيانه
وأتى الحسان فهنئوا ملك النهى بقيام دولته وعود حسانه
النيل قد ألقى إليه بسمعه والماء أمسك فيه عن جريانه
والزهر مصغ والخمائل خشع والطير مستمع على أفنانه
والقطر فى شوق لأندلسية شوقية تشفيه من أشجانه
يصغى لأحمد إن شدا مترنما إصغاء أمة أحمد لأذانه
فاصدح وغن النيل واهزز عطفه يكفيه ما عاناه من أحزانه

***

واذكر لنا (الحمراء) كيف رأيتها و(القصر) ماذا كان من بنيانه
ماذا تحطم من ذراه وما الذى أبقت صروف الدهر من أركانه
واهاً عليه وأهله وبناته أيام كان النجم من سكانه
إذ ملك أندلس عريض جاهه وشبابه المبكى فى ريعانه
الفتح والعمران آية عهده وكتائب الأقدار من أعوانه
لبست به الدنيا لباس حضارة قد كان يخلعه على جيرانه
زالت بشاشته وزال وأقفرت من أنسه الدنيا ومن إنسانه
وطوى الثرى سر الزوال فياترى هل ضاق صدر الأرض عن كتمانه
فتكلمت تلك الطلول وأفصحت لما وقفت مسائلا عن شانه
ولعل نكبته هناك تفرق وتعدد قد كان فى تيجانه
عبر رأيناها على أيامنا قد هونت مانابه فى آنه
وحوادث فى الكون إثر حوادث جاءت مشمرة لهد كيانه
سبحان جبار السموات العلى ومقلب الأكوان فى أكوانه

***

أهلا بشمس المشرقين ومرحباً بالأبلج المرجو من إخوانه
أشكو إليك من الزمان وزمرة جرحت فؤاد الشعر فى أعيانه
كم خارج عن أفقه حصب الورى بقريضه والعجب ملء جنانه
يختال بين الناس متئد الخطى ريح الغرور تهب من أردانه
كم صك مسمعنا بجندل لفظه وأطال محنتنا بطول لسانه
ما زال يعلن بيننا عن نفسه حتى استغاث الصم من إعلانه
نصح الهداة لهم فزاد غرورهم واشتد ذاك السيل فى طغيانه
أو لم تر الفرقان وهو مفصل لم يلفت البوذى عن أوثانه

***

قل للذى قد قام يشأو أحمداً خل القريض فلست من فرسانه
الشعر فى أوزانه لو قسته لظلمته بالدر فى ميزانه
هذا امرؤ قد جاء قبل أوانه إن لم يكن قد جاء بعد أوانه
إن قال شعراً أو تسنم منبراً فتعوذا بالله من شيطانه
تخذ الخيال له براقاً فاعتلى فوق السهى يستن فى طيرانه
ما كان يأمن عثرة لو لم يكن روح الحقيقة ممسكا بعنانه
فأتى بما لم يأته متقدم أو تطمع الأذهان فى أتيانه
هل للخيال وللحقيقة منهل لم يبغه الرواد فى ديوانه
إنا لنلهو إذ نجد وإنه ليجد إذ يلهو بنظم جمانه
أقلامه لو شاء شك قصيرها هام الثريا والسهى بسنانه
يملى عليها عقله وجنانه ما ليس ينكره هوى وجدانه
بسل على شعرائنا أن ينطقوا قبل المثول لديه واستئذانه
عاف القديم وقد كسته يد البلى خلق الأديم فهان فى خلقانه
وأبى الجديد وقد تأنق أهله فى الرقش حتى غر فى ألوانه

فجديده بعث القديم من البلى وأعاد سؤدده إلى إبانه
ورمى جديدهم فخر بناؤه برواء زخرفه وبرق دهانه
شعرآء (نفح الطيب) أنشر ذكرهم فى أرض أندلس أديب زمانه
ود (ابن هانىء) و (ابن عمار) بها لو يظفران معاً بلثم بنانه
ولو استطاعا فوق ذاك لأقبلا رغم البلى والقبر يستبقانه

* * *

ياكرمة المطرية ابتهجى به واستقبلى الظمآن من أخدانه
مدى الظلال على الوفود وجددى عهداً طواه الدهر فى بستانه
كم مجلس للهو فيه شهدته فسكرت من ديوانه ودنانه
غنى مغنيه فهاج غناؤه شجو الحمام على ذوائب بانه
فترنحت أشجاره وتمايلت أعوادها طربا على عيدانه
فكأن مجلسنا هناك قصيدة من نظمه طلعت على عيدانه
فالحمد لله الذى قد رده من بعد غربته إلى أوطانه
فتنظروا آياته وتسمعوا قد قام بلبلكم على أغصانه

نشيد الشبان المسلمين

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا وذودا من تراث المسلمينا
فمن يعنو لغير الله فينا ونحن بنو الغزاة الفاتحينا

ملكنا الأمر فوق الأرض دهرا وخلدنا على الأيام ذكرا
أتى عمر فأنسى عدل كسرى كذلك كان عهد الراشدينا

جبينا السحب فى عهد الرشيد وبات الناس فى عيش رغيد
وطوقت العوارف كل جيد وكان شعارنا رفقا ولينا

سلوا بغداد والاسلام دين أكان لها على الدنيا قرين
رجال للحوادث لا تلين وعلم أيد الفتح المبينا
فلسنا منهم والشرق عان إذا لم تكفه عنت الزمان
ونرفعه إلى أعلى مكان كما رفعوه أو نلقى المنونا

مهرجان شوقى

بلابل وادى النيل بالمشرق اسجعى بشعر أمير الدولتين ورجعى
أعيدى على الأسماع ما غردت به يراعة شوقى فى ابتدآء ومقطع
براها له البارى فلم ينب سنها إذا ما نبا العسال فى كف اروع
مواقعها فى الشرق والشرق مجدب مواقع صيب الغيث فى كل بلقع
لديها وفود اللفظ تنساق خلفها وفود المعانى خشعا عند خشع
إذا رضيت جاءت بأنفاس روضة وإن غضبت جاءت بنكباء زعزع
أحن على المكدود من ظل دوحة وأحنى على المولود من ثدى مرضع
على سنها رفق يسيل ورحمة وروح لمن يأسى وذكرى لمن يعى
تسابق فوق الطرس أفكار ربها سباق جياد فى مجال مربع
تطير بروق الفكر خلف بروقها تناشدها بالله لا تتسرعى
تحاول فوت الفكر لو لم تكفها أناملة كف الجموح المروع
الم تعلموا انا بذخرى نباغة نفاخر اهل الشرق فى أى مجمع
نفاخر من شوقينا ببراعة ونزداد فخراً من (على) بميضع
فذاك شفاء الجسم تدمى جراحه وتلك شفاء الواله المتوجع

* * *

نمتلك ظلال وارفات وانعم ولين عيش فى مصيف ومربع
ومن كان فى بيت الملوك ثواؤه ينشأ على النعمى ويمرح ويرتع

لئن عجبوا أن شاب شوقى ولم يزل ... فتى الهوى والقلب جم التمتع
لقد شاب من هول القوافى ووقعها ... وإتيـــانه بالمعجز المتمنع
كما شيبت هود ذؤابة أحمـــد ... وشيبت الهيجاء رأس المدرع
يعيبون شوقى أن يرى غير منشد ... وما ذاك عن عى به أو ترفع
وما كان عاباً أن يجىء بمنشـد ... لآياته أو أن يجىء بمسمع
فهذا كليم الله قد جاء قبله ... بهارون ما يأمره بالوحى يصدع

* * *

بلغت بوصف النيل من وصفك المدى ... وأيام فرعون ومعبوده (رع)
وما سقت من عاد البلاد وأهلها ... وماقلت فى أهرام (خوفو) (وخفرع)
فأطلعتها شوقية لو تنسقت ... مع النيرات الزهر خصت بمطلع
أ (من أى عهد فى القرى) قد تفجرت ... ينابيع هذا الفكر أم (أخت يوشع)
وفى (توت) ما أعيى ابتكار موفق ... وفى (ناشىء فى الورد) إلهام مبدع
أسالت (سلا قلبى) شؤونى تذكراً ... كما نثرت (ريم على القاع) أدمعى
و (سل يلدزاً) إنى رأيت جمالها ... على الدهر قد أنسى جمال المقنع
أطلت علينا (أخت أندلس) بما ... أطلت فكانت للنهى خير مشرع
وفى نسج (صداح) أتيت بآية ... من السهل لا تنقاد لابن المقفع
ورائع وصف فى (أبى الهول) سقته ... كبستان نور قبل رعيك ما رعى
خرجت به عن طوق كل مصور ... يجيد دقيق الفن فى جوف مصنع
وفى (انظر إلى الأقمار) زفرة واجد ... وأنة مقروح الفؤاد موزع
بكيت على سر السماء وطهرها ... وما ابتذلوا من خدرها المترفع
شياطين أنس تسرق السمع خلسة ... ولا تحـــذر المخبوء للمتسمع
وسينية للبحترى نسختها ... بسينية قد أخرست كل مدع
أتى لك فيها طائعا كل ما عصى ... على كل جبار القريحة ألمعى

شجا البحترى إيوان كسرى وهاجه ... وهاجت بك الحمراء أشجان موجع
وقفت بها تبكى الربوع كما بكى ... فيالكما من واقفين بأربع
فنسجك كالديباج حلاه وشيه ... وفى النسج ما يأتى بثوب مرقع
وشعرك ماء النهر يجرى مجددا ... وشعر سواد الناس ماء بمنقع
أ (أفضى إلى ختم الزمان ففضه) ... من الوحى والإلهام أم قول لوذعى
و (قلبى ادكرت اليوم غير موفق) ... رقى السحر أم أنات اسوان مولع
تملكت من ملك القريض فسيحه ... فلم تبق يا شوقى لنا قيد أصبع
فبالله دع للناثرين وسيلة ... تفىء عليهم واتق الله واقنع
عملت على نيل الخلود فنلته ... فقل فى مقام الشكر يا رب أوزع

***

جلا شعره للناس مرآة عصره ... ومرآة عهد الشعر من عهد تبع
يجىء لنا آنا (بأحمد) ماثلا ... وآونة (بالبحترى) المرصع
ويشأو رقى (هوجو) ويأتى نسيبه ... لنا من ليالى (ألفريد) بأربع
وإن خطرت ذكرى الفحول بفارس ... وما خلفوا فى القول من كل مشبع
أتانا بروض مزهر من رياضهم ... و (حافظهم) فيه يغنى ويرتعى
فقل للذى يبغى مداه منافساً ... طمعت لعمر الله فى غير مطمع
فذلك سيف سله الله قاطعا ... فأيان يضرب يفر درعاً ويقطع
وهل تدفع الدرع المنيعة صارما ... به يضرب المقدار فى كف سلفع

***

نفيت فلم تجزع ولم تك ضارعا ... ومن ترمه الأيام يجزع ويضرع
وأخصبت فى المنفى وما كنت مجدبا ... وفى النفى خصب العبقرى السميدع
لقد زاد (هوجو) فيه خصب قريحة ... وآب إلى أوطانه جد ممرع
وأدرك (سامى) بالجزيرة غاية ... إليها ملوك القول لم تتطلع

تذكرت عذب النيل والنفس صبة ... إلى نهلة من كوب ماء مشعشع
وأرسلت تستسقى بنى مصر شربة ... فقطعت أحشائى وأضرمت أضلعى
أنروى ولا تروى وأنت أحقنا ... برى فيا قلب النبوغ تقطع
وإن شئت عنا يا سماء فاقلعى ... وياماءها فاكفف ويا أرض فابلعى
حرام علينا ان نلذ بنهلة ... وانت تنادينا ونحن بمسمع
أبى الله إلا أن يردك سالما ... ومن يرعه يسلم ويغنم ويرجع
وعدت فقرت عين مصر وأصبحت ... رياض القوافى فى ربيع موشع
وأدركت ما تبغى وشيدت آية ... على الشاطىء الغربى خير موقع
يحف بها روض يحيى بدورها ... بكوراً بريا عرفه المتضوع
حمى يتهادى النيل تحت ظلاله ... تهادى خود فى رداء مجزع
لقد كنت ترجو منه بالأمس قطرة ... فدونكه فابرد غليلك وانقع

***

أمير القوافى قد أتيت مبايعاً ... وهذى وفود الشرق قد بايعت معى
فغن ربوع النيل واعطف بنظرة ... على ساكن النهرين واصدح وأبدع
ولا تنس نجداً إنها منبت الهوى ... ومرعى المها من سارحات ورتع
وحى ذرى لبنان واجعل لتونس ... نصيباً من السلوى وقسم ووزع
ففى الشعر حث الطامعين إلى العلا ... وفى الشعر زهد الناسك المتورع
وفى الشعر ما يغنى عن السيف وقعه ... كما روع الأعداء بيت لأشجع
وفى الشعر إحياء النفوس وريها ... وأنت لرى النفس أعذب منبع
فنبه عقولا طال عهد رقادها ... وأفئدة شدت إليها بأنسع
فقد غمرتها محنة فوق محنة ... وأنت لها يا شاعر الشرق فادفع
وأنت بحمد الله ما زلت قادراً ... على النفع فاستنهض بيانك وانفع
وخذ بزمام القوم وانزع بأهله ... إلى المجد والعلياء أكرم منزع

وقفنا على النهج القويم فاننا ... سلكنا طريقا للهدى غير مهيع
ملأنا طباق الأرض وجداً ولوعة ... بهند ودعد والرباب وبوزع
وملت بنات الشعر منا مواقفاً ... بسقط اللوى والرقمتين ولعلع
وأقوامنا فى الشرق قد طال نومهم ... وما كان نوم الشعر بالمتوقع
تغيرت الدنيا وقد كان أهلها ... يرون متون العيس ألين مضجع
وكان بريد العلم عيراً وأينقاً ... متى يعيها الايجاف فى البيد تظلع
فأصبح لا يرضى البخار مطية ... ولا السلك فى تياره المتدفع
وقد كان كل الأمر تصويب نبلة ... فأصبح بعض الأمر تصويب مدفع
ونحن كما غنى الأوائل لم نزل ... نغنى بأرماح وبيض وأدرع
عرفنا مدى الشىء القديم فهل مدى ... لشىء جديد حاضر النفع ممتع
لدى كل شعب فى الحوادث عدة ... وعدتنا ندب التراث المضيع
فياضيعة الأقلام إن لم نقم بها ... دعامة ركن المشرق المتزعزع
أتمشى به شم الأنوف عداته ... ورب الحمى يمشى بأنف مجدع
عزيز عليه يا بنى الشرق أن يرى ... كواكبه فى أفقه غير طلع
وأعلامه من فوقه غير خفق ... وأقلامه من تحتها غير شرع
وكيف يوقى الشر أو يبلغ المنى ... على ما ترى من شمله المتصدع
فان كنت قوالا كريما مقاله ... فقل فى سبيل النيل والشرق أو دع

عيد المقتطف

شيخان قد خبرا الوجود وأدركا ... ما فيه من علل ومن أسباب
واستبطنا الأشياء حتى طالعا ... وجه الحقيقة من وراء حجاب
خمسون عاما فى الجهاد كلاهما ... شاكى اليراعة طاهر الجلباب
لا تعجبوا إن خضبا قلميهما ... وبياض شيبهما بغير خضاب
فلكل حسن حلية يزهى بها ... وأرى اليراعة حلية الكتاب

إنى نظرت إلى اليراعة فى يدى ... فحسبتها فى القدر عود ثقاب
ونظرتها تنقض من كفيهما ... فوق الطروس فخلتها كشهاب
يزهى مدججنا برمح واحد ... وأراهما لا يزهيان بغاب
متواضعان ولا أرى متكبرا ... غير الجهول مدنسا بالعاب
يتجاذب القطران فى فضليهما ... ذيل الفخار وليس ذا بعجاب
فهما هنا علمان من أعلامنا ... وهما هنالك نخبة الانجاب
جازا مدى السبعين لم يتوانيا ... عن وصل حمد واجتناب سباب
نسباهما قلماهما فليسحبا ... ذيلا على الأحساب والأنساب
قلمان مشروعان فى شقيهما ... وحى يفيض على أولى الألباب
متساندان إذا الخطوب تألبت ... متعانقان تعانق الأحباب
نفحات آذار إذا لم يظلما ... فاذا هما ظلما فلفحة آب
ما سودا بيضاء إلا بيضا ... بالكاتبين صحيفة الاعجاب
للمقصد الأسمى لدى حرم النهى ... رفعا قبابا حوجزت بقباب
خطا (بمقتطف) العلوم بدائعا ... وروائعا بقيت على الأحقاب
جاءا لنا من كل علم نافع ... أو كل فن ممتع بلباب
فى كل لفظ حكمة مجلوة ... وبكل سطر مهبط لصواب
فاللفظ فيه مقوم بصحيفة ... والسطر فيه مقوم بكتاب
دانى القطوف كريمة افياؤه ... عذب الورود مفتح الأبواب
ذلل مسالكه فأنى جئته ... الفيت نفسك فى فسيح رحاب
تتسابق الأقلام فيه ولا ترى ... من عاثر فيها ولا من ناب
كم من يراعة كاتب جالت به ... ولعابها فى الطرس حلو رضاب
كم من سؤال فيه كان جوابه ... إلهام نابغة وفصل خطاب
كم فيه من نهر جرى بطريقة ... ترد النهى منه الذ شراب

وقفت سقاة الفضل فى جنباته ... تروى النفوس بمترع الأكواب
ماذا أعد وهـذه آياته ... فى العد تعجز أمهر الحساب
قد نسقت وتآلفت فكأنها ... فى الحسن مثل تآلف الأحزاب
وترى تهافتنا عليه وحرصنا ... فتخال فيه مقاعد النواب
يا ثروة القرآء من علم ومن ... فضل ومن حكم ومن آداب
الشرق أثبت بوم عيدك أنه ... مازال فى رى وخصب جناب
عادت سمآء الفضل فيه فأطلعت ... زهراً من الأعلام والأقطاب
العلم شرقى تغافل أهله ... عنه فعاقبهم بطول غياب
وتنبهوا لمصابهم فتضرعوا ... فعفا وعاودهم بغير عتاب
فتذوقوا طعم الحياة وأدركوا ... ما فى الجهالة من أذى وتباب
العلم فى البأساء مزنة رحمة ... والجهل فى النعماء سوط عذاب
ولعل ورد العلم مالم يرعه ... ساق من الأخلاق ورد سراب
إنى قرأتك فى الكهولة والصبا ... وملأت من ثمر العقول وطابى
وأتيت أقضى بعض ما أوليتنى ... وأقول فيك الحق غير محاب
لو كنت فى عهد الفتوة لم أزل ... لوهبت للشيخين برد شبابى
لكننى أبليته وطويته ... وتخذت من نسج المشيب ثيابى
وأرى ركابى حين شابت لمتى ... يحثها سفر بغير إياب
(يعقوب) إنك قد كبرت ولم تزل ... فى العلم لا تزداد غير تصاب
لاحت برأسك هزة ولعلها ... من وقع فكرك لا من الأعصاب
فكر سريع كره متدفع ... كتدفع الأمواج فوق عباب
لا يستقر ولا يحدث نفسه ... أن ينثنى عن جيئة وذهاب
أو أنها طرب بنفسك كلما ... وفقت فى بحث وكشف نقاب
أو أنها استنكار ما شاهدته ... فى الناس من لهو وسوء مآب

لم يلهك الاثرآء عن طلب العلا بالجد لا بتصيد الألقاب
لك فى سبيل العلم أجر مجاهد والصبر أجر ملازم المحراب
وإليك من جهد المقل قصيدة يغنيك موجزها عن الاسهاب
لولا السقام وما أكابد من أسى للحقت فى هذا المجال صحابى

إلى لطفى السيد

يا كاسى الأخلاق فى بلد عن الأخلاق عار
لم يبق فينا من يجا دل فى مقامك أو يمارى
بالأمس قد علمتنا أدب الكتابة والحوار
واليوم قد ألطفتنا بالطيبات من الثمار
بكتاب (رسطاليس) تا ج نوادر الفلك المدار
جاهدت فى تفصيله ووصلت ليلك بالنهار
تزن الكلام كأنه ماس بميزان التجار
وتصون معنى ربه صون اللآلىء فى المحار
وتضن دهقان الكلا م كضن دهقان النضار
حتى حسبتك فى الأنا ة والاختبار والاختيار
صنعاً يصور فى الفصو ص لدى الفراعنة الكبار

* * *

انى قرأت كتابه بين الخشوع والاعتبار
فاذا المترجم ماثل جنب المؤلف فى إطار
وعليهما نور يفيـ ض من المهابة والوقار

* * *

قالوا لقد هجر السيا سة وانزوى فى عقر دار

ترك المجال لغيره ورأى النجاة مع الفرار
لا تظلموا رب النهى وحذار من خطل حذار
هجر السياسة للسيا سة لا لنوم أو قرار
لو أنهم علموا الذى يبنى لهم خلف الستار
لسعوا إلى حامى الفضيـ لة والحقيقة والذمار
وافاهم بدعائم الـ أخلاق والحكم السوارى
أس السياسة والنجا ح وحصن (سيدة البحار)
كلفت بها وتمسكت قبل الفيالق والجوارى

***

ياعاشق الخلق الصر يح وشانىء الخلق الموارى
إنى اختبرتك فى الكهو لة والصبا حق اختبار
لم يجر فى ناديك هجـ ر القول أو خلع العذار
حلو التواضع والتوا ضع آية القوم الخيار
مر التكبر حين يدعو ك التواضع للصغار
سر فى طريقك وادعاً فلأنت مأمون العثار
واجعل على لقم الطر يق صوى تلوح لكل سار[1]
إنا إلى كتب السيا سة ياحكيم على أوار
عجل بها قبل (الفسا د) وقبل عادية البوار[2]
إنا نناضل أمة أقطابها أسد ضوار
عركوا الزمان وأهله وتحصنوا من كل طارى

---

(١) لقم الطريق : جوانبه — الصوى : العلامات كالمنائر .

(٢) إشارة إلى كتاب الكون والفساد الذى ترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وعزم على نشره قبل كتاب السياسة . وحافظ يطلب العكس .

أمست سياستهم كطلّ سُمّ يحير كل قارى

***

إن ينكروا بعض الغمو ض على أديب ذى اقتدار
فلأنهم لم يذكروا أن المترجم فى إسار
لم يعى أحمد أن يجى ء بآى قيس أو نزار
وهو المجلى فى أسا ليب الفصاحة والمبارى
لغة العلوم حقائق هى عن زخارفنا عوار
تأبى الغلو وتحسب الـ إغراق كالثوب المعار
والنقل إن عدم الأما نة كان عنوان الخسار

الى وزير كبير

لا غرو إن أشرق فى منزلى فى ليلة القدر محيا الوزير
فالبدر فى أعلى مداراته للعين يبدو وجهه فى الغدير

رثاء حافظ نفسه (*)

آذنت شمس حياتى بمغيب ودنا المنهل يانفس فطيبى
إن من سار إليه سيرنا ورد الراحة من بعد اللغوب

(*) لهذه القصيدة قصة عجيبة هى أنه لما توفى المرحوم الشيخ محمد عبده رثاه على القبر أولا الشيخ أحمد أبو خطوة ثم حسن عاصم باشا ثم حسن عبد الرازق باشا الكبير ثم قاسم أمين بك ثم حفنى ناصف بك ثم حافظ إبراهيم بك واتفق أن مات الأربعة الأولون على ترتيب وقوفهم فى الرثاء فلاحظ ذلك المرحوم حفنى بك ناصف فبعث إلى حافظ بهذه الأبيات :

أتذكر اذ كنا على القبر سته نعدد آثار الامام ونندب
وقفنا بترتيب وقد دب بيننا ممات على وفق الرثاء مرتب
أبو خطوة ولى وقفاه عاصم وجاء لعبد الرازق الموت يطلب

قد مضى (حفنى) وهذا يومنا ... يتدانى فاستثيبى وأنيبى
وارقبيه كل يوم إنما ... نحن فى قبضة علام الغيوب
أذكرى الموت لدى النوم ولا ... تغفلى ذكرته عند الهبوب
واذكرى الوحشة فى القبر فلا ... مؤنس فيها سوى تقوى القلوب
قدمى الخير احتساباً فكفى ... بعض ماقدمت من تلك الذنوب
راعنى فقد شبابى وأنا ... لا أراع اليوم من فقد مشيبى
حن جنباى إلى برد الثرى ... حيث أنسى من عدو وحبيب
مضجع لايشتكى صاحبه ... شدة الدهر ولا شد الخطوب
لا ولا يسئمه ذاك الذى ... يسئم الأحياء من عيش رتيب
قد وقفنا ستة نبكى على ... عالم المشرق فى يوم عصيب
وقف الخمسة قبلى فمضوا ... هكذا قبلى وإنى عن قريب
وردوا الحوض تباعا فقضوا ... باتفاق فى منياهم عجيب
انا مذ بانوا وولى عهدهم ... حاضر اللوعة موصول النحيب
هدأت نيران حزنى هدأة ... وانطوى (حفنى) فعادت للشبوب
فتذكرت به يوم انطوى ... صادق العزمة كشاف الكروب
يوم كفناه فى آمالنا ... وذكرنا عنده قول (حبيب)

فلبى وغابت بعده شمس قاسم ... وعما قليل نجم محياى يغرب
فلا تخش هلكا ما حييت وإن أمت ... فما أنت إلا خائف تترقب
فخاطر وقع تحت القطار ولا تخف ... ونم تحت بيت الوقف وهو مخرب
وخض لجج الهيجاء أعزل آمنا ... فان المنايا عنك تنأى وتهرب

فلما توفى حفنى بعد ذلك نظم حافظ مرثيته هذه وألقاها فى حفلة ذكرى الشيخ محمد عبده سنة ١٩٢٢ وحسب احد الأدباء بهذه المناسبة حسبة انتهى منها إلى أن حافظاً يموت بعد حفنى بثلاث سنين ولكن حافظاً صحح الحساب وانتهى إلى أن وفاته ستكون بعد ثلاث عشرة سنة وقد كان ذلك فان وفاة حفنى كانت سنة ١٩١٩ رحمهم الله جميعاً.

(عرفوا من غيبوه وكذا تعرف الأقمار من بعد المغيب)
وفجعنا بامام مصلح عامر القلب وأواب منيب
كم له من باقيات فى الهدى والندى بين شروق وغروب
يبذل المعروف فى السر كما يرقب العاشق إغفاء الرقيب
يحسن الظن به أعداؤه حين لا يحسن ظن بقريب
تنزل الأضياف منه والمنى والخلال الغر فى مرعى خصيب
قد مضت عشر وسبع والنهى فى ذبول والأمانى فى نضوب
نرقب الأفق فلا يبدو به لامع من نور هاد مستثيب
وننادى كل مأمول وما غير أصداء المنادى من مجيب
دوى الجرح ولم يقدر له بعد ثاوى (عين شمس) من طبيب
أجدب العلم وأمسى بعده رائد العرفان فى واد جديب
رحمة الدين عليه كلما خرج التفسير عن طوق الأريب
رحمة الرأى عليه كلما طاش سهم الرأى فى كف المصيب
رحمة الفهم عليه كلما دقت الأشياء عن ذهن اللبيب
رحمة الحلم عليه كلما ضاق بالحدثان ذو الصدر الرحيب
ليس فى ميدان مصر فارس يركب الأخطار فى يوم الركوب
كلما شارفه منا فتى غاله المقدار من قبل الوثوب
ما ترى كيف تولى (قاسم) وهو فى الميعة والبرد القشيب
أنسى الأحياء ذكرى (عبده) وهى للمستاف من مسك وطيب
إنهم لو أنصفوها لبنوا معهداً تعتاده كف الوهوب
معهداً للدين يسقى غرسه من نمير فاض من ذاك القليب
ونسينا ذكر (حفنى) بعده ودفنا فضله دفن الغريب
لم تسل منا عليه دمعة وهو أولى الناس بالدمع الصبيب

سكنت أنفاس (حفنى) بعد ما طيبت فى الشرق أنفاس الأديب
عاش خصب العمر موفور الحجى صادق العشرة مأمون المغيب

تهنئة السلطان حسين

هنيئاً أيها الملك الأجل لك العرش الجديد وما يطل
تسنم عرش إسماعيل رحباً فأنت لصولجان الملك أهل
وحصنه بإحسان وعدل فحصن الملك إحسان وعدل
وجدد سيرة العمرين فينا فانك بيننا لله ظل
لقد عز السرير وتاه لما تبوأه المليك المستقل
وهش التاج حين علا جبيناً عليه مهابة وعليه نبل
تمنى لو يقر على أبى تذل له الخطوب ولا يذل
وقد نال المرام وطاب نفساً فها هو ذا بلابسه يدل
وما كنت الغريب عن المعالى ولا التاج الذى بك بات يعلو
وإنك منذ كنت ولا أغالى حسام للأريكة لا يفل
فكم نهنهت من غرب العوادى وكم لك فى ربوع النيل فضل
وما من مجمع للخير إلا ومن كفيك سح عليه وبل
فقد عرف الفقير نداك قدماً وقد عرف الكبير علاك قبل
لك العرشان هذا عرش مصر وهذا فى القلوب له محل
فألف ذات بينهما برأى وعزم لا يكل ولا يمل
فعرش لا تحف به قلوب تحف به الخطوب ويضمحل

ومنها :

فعش للنيل سلطاناً أبيا له فى ملكه عقد وحل
ووال القوم إنهم كرام ميامين النقيبة أين حلوا

لهم ملك على (التاميز) أضحت ذراه على المعالى تستهل
وليس كقومهم فى الغرب قوم من الأخلاق قد نهلوا وعلوا
فان صادقتهم صدقوك ودا وليس لهم إذا فتشت مثل
وإن شاورتهم والأمر جد ظفرت لهم برأى لا يزل
وإن ناديتهم لباك منهم أساطيل وأسياف تسل
فمادهم حبال الود وانهض بنا فقيادنا للخير سهل
وخفف من مصاب الشرق فينا فنحن على رجال الغرب ثقل
إذا نزلت هناك بهم خطوب ألم بنا هنا قلق وشغل
حيارى لا يقر لنا قرار تنازلنا الخطوب ونحن عزل
فأهلا بالدليل إلى المعالى ألا سريا (حسين) ونحن نتلو
وأسعدنا بعهدك خير عهد به أيامنا تصفو وتحلو
فأمرك طاعة ورضاك غنم وسيفك قاطع وندك جزل

وقال وقد ساءه التصفيق فى حفلة تأبين إسماعيل صبرى باشا :

أكثرتم التصفيق فى موطن كان البكا فيه بنا أليقا
فأكرموا (صبرى) باصغائكم وليعذر الدمع إذا صفقا

رثاء اسماعيل صبرى باشا

نعاك النعاة وحم القدر ولم يغن عنا وعنك الحذر
طوت ذبحة الصدر صدر الندى فلم تطو إلا سجل العبر
فأمسيت تذكر فى الغابرين وإن قل مثلك فيمن غبر
إذا ذكرت سير النابهين فسيرة (صبرى) تجب السير
لقد كنت برا بظل الشباب فلما تقلص كنت الأبر
فلم تستبق نزوة فى الصبا ولم تستبح هفوة فى الكبر

* * *

أهنى الثرى أم أعزى الورى ... لقد فاز هذا وهذا خسر
أأول يوم لعهد الربيع ... تجف الرياض ويذوى الزهر
ويذبل زهر القريض الثرى ... ويقفر روض القوافى الغرر
ليهدأ (عمان) فغواصه ... أصيب وأمسى رهين الحفر
فقد كان يعتاده دائباً ... بكوراً رؤوحاً لنهب الدرر
يقول فيرخص در النحور ... ويغلى جمان بنات الفكر
يسوق القصار فيأبى العثار ... وكم من مطيل ممل عثر
قصار وحسب النهى أنها ... لها معجزات قصار السور
رحمت فقد كنت حلو اللسان ... جلى البيان صدوق الخبر
قليل التعجب جم الأناة ... حكيم الورود حكيم الصدر
شمائلك الغرُّ هنّ الرياض ... روى عن شذاها نسيم السحر
لها مثل روح الدعاء استجيب ... فعافى وآوى وأغنى وسر
إذا ماوردت لها منهلا ... وردت نميراً لذيذ الخصر
وفكرك فى خصبه ثروة ... لفكر الأديب إذا ما افتقر
وشعرك كالماء فى صفوه ... على صفحتيه تراءى الصور
عيون القصائد مثل العيون ... وشعرك فيهن مثل الحور
وكم لك شكوى هوى أو أسى ... لها نفثات تذيب الحجر
هتفت بها مرة فى الهجير ... فكاد يدب إليك الشجر
وكم كنت تشعل فحم الدجى ... بأنفاس صب طويل السهر
فياويح قلبك ماذا ألح ... عليه من الداء حتى انفطر
أيخفق تحت الدجى وحده ... لذكرى أليف سلا أو هجر

* * *

إذا قيل (صبرى) ذكرت (الوليد) ... ومرت بنفسى ذكرى (عمر)

يزين تواضعه نفسه كما زان حسن الملاح الخفر
زكى المشاعر عف الهوى شهى الأحاديث حلو السمر
لقد كنت أغشاه فى داره ونادیه فيها زها وازدهر
وأعرض شعرى على مسمع لطيف يحس نبو الوتر
على سمع باقعة حاضر يميز القـــديم من المبتكر
فيصقل لفظى صقل الجمان ويكسوه رقة أهل الحضر
يرقرق فيه عبير الجنان فتستاف منه النهى والفكر
كذلك كان عليه السلام إماما لكل أديب شعر
فكنا الجداول نروى الظماء ظماء العقول وكان النهر

* * *

زهدت على شهرة طبقت وجاه أظل وفضل بهر
خلعت الشباب فلم تبكه وساءك أنك لم تختضر
وقد ذقت طعم الردى عندما أصيب قطارك يوم السفر
فأقسمت أنك ألفيته لذيذ المذاقة إذ تحتضر
تمنيت أن لم تعد للحياة ولكن أباها عليك القدر
وكم ساعة بين ساع الحياة سقتك المرار بكأس الضجر
فرحت إلى أختها شاكيا أذانك منها فكانت أمر
ففتشت أثناءها جاهدا بعينى بصير بعيد النظر
فلم تر فيها على طولها هنيهة صفو خلت من كدر
وما زلت تشكو إلى أن أتت كما تشتهى ساعة لم تذر
فلا صد تخشاه بعد الوصال ولا ضعف تشكوه بعد الأشر
أزيح فؤادك مما ضناه وصدرك مما عليه انكدر
تمنيتها خطوة للمهات تفرج عنك كروب الغير

وها قد خطاها ونلت المنى فهل فى الممات بلوغ الوطر
صدقت ففى الموت نصر الأبى على الدهر إن هو يوما غدر

* * *

مللت الثوآء بدار الزوال فماذا رأيت بدار المقر
أتحت التراب يضام الكريم ويشقى الحليم ويخفى القمر
ويهضم حق الأديب الأريب ويطمس فضل النبيه الأغر
أتحت التراب تساق الشعوب بسوط العبودة سوق البقر
ويعقد مؤتمر للسلام فتخرج منه إلى مؤتمر
فان كان ما عندنا عندكم فليس لنا من شقاء مقر

* * *

خضم الحياة بعيد النجاة فطوبى لركبه إن عبر
فعد سالما غانماً للتراب كرأيك فى الموت واهنأ وقر

إلى واصف غالى بك

ياصاحب الروضة الغناء هجت بنا ذكرى الأوائل من أهل وجيران
نشرت فضل كرام فى مضاجعهم جر الزمان عليهم ذيل نسيان
إنى أحييك عنهم فى جزيرتهم وفى العراق وفى مصر ولبنان
جلوت للغرب حسن الشرق فى حلل لا يستهان بها نساج (هرنان)
ظنوك منهم وقد أنشأت تخطبهم بما عنا لك من سحر وتبيان
ما زلت تبهرنا طوراً وتبهرهم حتى ادعاك وحياك الفريقان

(*) ألقاها فى الحفلة التى أقيمت لتكريم واصف غالى بك سنة ١٩١٤ بمناسبة تأليفه كتاباً بالفرنساوية عن الشعر العربى وتمدن العرب والقائه المحاضرات والخطيب فى فرانسا فى هذا الموضوع .

لولا اسمرارك فازوا فى ادعائهم (بواصف) وخسرنا أى خسران
غرست من زهرات الشرق طائفة
فى أرض (هيجو) فجاءت طرفة الجانى
(حديقة) لك لم نعهد لها شبهاً بين الحدائق فى زهر وأفنان
يحيى شذاها نفوس الوافدين وما مروا بورد ولا طافوا بريحان
لكنها من أزاهير النهى جمعت مالا تنافحه أزهار بستان
بالأمس كان لها شرق تضوع به واليوم صار لها بالغرب شرقان
اسمعتم من نسيب القوم فانطلقت شؤون كل شجى القلب ولهان
وردتهم من كلام البحترى (قطعاً) مثل الرياض كستها كف نيسان
سل (الفريد) (ولامارتين) هل جريا
مع (الوليد) أو (الطائى) بميدان
وهل هما فى سماء الشعر قد بلغا شأو النواسى فى صوغ وإتقان
ودا وقد شهدا بالحق أنهما فى بيت (أحمد) لو يرضى نديمان
أمسى كتابك (كالسيما) يعيد لهم مرآى الحوادث مرت منذ أزمان
قد شاهدا فيه تحت النقع عنترة يصارع الموت عن عبس وذبيان
وشاهدوا أسداً يمشى إلى أسد كلاهما غير هياب ولا وانى
هذا من العرب لا يلوى به فزع وذاك أروع من آساد خفان
لله در يراع أنت حامله لو كان فى أنملى يوما لأغنانى
وقفت تدفع عن ادابنا تهما كادت تقوض منها كل بنيان
فكنت أول مصرى أقام لهم على نبالة مصر ألف برهان
مازلت تلقى على أسماعهم حججا فى كل ناد وتأتيهم بسلطان
حتى انثنيت وما الغرب بمجترىء على البناء ولا زار على الباقى
محوت ما كتبوا عنا بقاطعة من البراهين قلت قول رينان

أنحى على الأدب الشرقى مفتريا عليه ما شاء من زور وبهتان
ظن الحقيقة فى الأشعار تنقصنا واللفظ والقصد والتصوير فى آن
وأننا لم نصل فيها إلى مئة عدا وذاك لعمى أو لنقصان
ولو رأى ابن (جريح) فى قصائده لقال آمنت فى سرى وإعلانى

***

مالى أفاخر بالموتى وبين يدى من شعر أحيائنا ما ليس بالفانى
فى شعر (شوقى) و(صبرى) مانتيه به على نوابغهم دع شعر (مطران)
بوركت يا ابن الوزير الحر من رجل لم يختلف فيه أو فى فضله اثنان
بلغ .إذ جئت بارازاً أفاضلها عنا التحيات واشفعها بشكران
وخص كاتبهم (جولا) بأطيبها كيما نقابله إحسان باحسان
واجعل لسفرك ذيلا فى شواعرنا وقف لهن هناك الموقف الثانى
وانثر على الغرب من تلك الحلى وأشد بكل حسانة فينا وحسان
وعد إلى الشرق عود الفاتحين له وخذ مكانك فيه فوق كيوان
واشكر رعاية (عباس) ومنته واشرح ولاءك يا (غالى) لعثمان
واضرع إلى الله أن يرعى أريكتنا مرفوعة الشأن ما مر الجديدان

فى حفلة تكريمه

ملكتم على عنان الخطب وجزتم بقدرى سماء الرتب
فمن أنا بين ملوك الكلام ومن أنا بين كرام الحسب
أنسعى إلى حماة القريض وتمشى إلى سراة العرب
وتنظم فى عقود الجمان وتنثر فوقى نثار الذهب
وأكرم حتى كأنى نبغت وقمت لمصر بما قد وجب
فماذا أتيت من الباقيات وهذا شبابى ضياعا ذهب

عملت لقومى جهد المقل ... على أنه عمل مقتضب (١)
فلم يغن شيئا ولم يجدهم ... ولم يبق إلا بقاء الحبب
وهل أنا إلا امرؤ شاعر ... كثير الأمانى قليل النشب
يقول ويطرب أترابه ... ويقنع منهم بذاك الطرب
تعلقت حينا بذيل البيان ... وأدخلت نفسى فى من كتب
فلا السبق لى فى مجال النهى ... ولا لى يوم بالفخار الغلب
ولا أنا من علية الكاتبين ... ولا أنا بالشاعر المنتخب
ولكن سما بى عطف الأمير ... ورأى الوزير وفضل الأدب
وما كنت أحلم لولا الوزير ... بهذا الهناء وهذا اللقب
على أياد له جمة ... وفضل قديم شريف السبب
فآنا أقال به عثرتى ... وأورى زنادى وآنا وهب
تفيأت به ظلال النعيم ... وأصبحت أعرف لبس القصب
وأمشى اختيالا إلى (عابدين) ... يطالعنى بدرها عن كثب
وألثم كف كريم الجدود ... غياث العفاة مزيل الكرب
واحتث بين وفود السراة ... مطايا الرجاء لذاك الرحب
أتو خالصين لوجه الأمير ... فلا عن رياء ولا عن رهب
لهم ما يشاؤون من ربهم ... رضاء الأمير ونيل الأرب
وللكاشحين نكال الزمان ... ونحس النجوم ذوات الذنب
فعهد الأمير كعهد الرشيد ... يمت إليه بحبل النسب

* * *

إليك (أبا حسن) أنتمى ... فما زل إليك مولى انتسب

---

(١) إشارة إلى ترجمته «البؤساء» وعدم إتمامه

عرفت مكانى فأدنيتنى وشرفت قدرى بدار الكتب
وعرفت قدرى مكان الأديب وقد كان دهرى شديد الكلب
فلو أن لى مرقصات (الخليل) وإعجاز (شوقى) إذا ما رغب
لقمت بشكرك حق القيام ولكن طلبت فعز الطلب
فشكرى لصنعك شكر النبات ببطن الفلاة لقطر السحب
وشكراً لشوقى رسول القريض الكريم الاخاء المتين السبب
وشكرا (لداود) رب اليراع وشكرا (لسركيس) رب العجب
وشكرا لكل كريم سعى إلى وكل أديب خطب
هم شجعونى على أن أقول وما كان لى بينهم مضطرب
هم الهمونى فصيح الكلام هم علمونى طريق النخب
فعنهم أخذت وعنهم صدرت ومن عندهم فضلى المكتسب
فحيوا عزيز البلاد الذى على السحب ذيل المعالى سحب
وحيوا (سعيداً) وزير الأمير قريب الصواب بعيد الغضب
تولى الرئاسة والحادثات تروع النفوس بوقع النوب
فساس البلاد وأرضى العباد وأرضى الأمير وأرضى الأدب

رثاء الشيخ على يوسف

صونوا يراع (على) فى متاحفكم وشاوروه لدى الأرزآء والنوب
واستلهموه إذاما الرأى أخطأكم يوم النضال عن الأوطان والنشب
قد كان سلوة مصر فى مكارهها وكان جمرة مصر ساعة الغضب
فى شقه ومراميه وريقته مافى الأساطيل من بطش ومن عطب
كم ردعنا وعين الغرب طامحة من الرزايا وكم جلى من الكرب
له صرير إذا جد النزال به ينسى الكماة صليل البيض والقضب

ما ضر من كان هذا فى أنامله أن يشهد الحرب لم يسكن إلى يلب
فلو رآه (ابن أوس) ما قرأت له «السيف أصدق أنباء من الكتب»
ألا فتى عربى يستقل به بعد الفقيد ويحمى حوزة الأدب
ويمنع الحق أن يغشى تبلجه ما فى السياسة من زور ومن كذب
أودى فتى الشرق بل شيخ الصحافة بل شيخ الوفائية الوضاحة الحسب
أقام فينا عصاميا فعلمنا معنى الثبات ومعنى الجد والدأب
وراح عنا ولم تبلغ عزائمنا مدى مناها ولم تقرب من الأرب
قالوا عجبنا لمصر يوم مصرعه وقد عجبت لهم من ذلك العجب
إن الألى حسبوها غير جازعة لا ينظرون إلى الأشياء من كثب
تالله ما جهلت فيه مصيبتها ولا الذى فقدت من كاتب العرب
لكنها ألفت والأمر يحزبها فقد الرجال وموت السادة النجب
وعلمتها الليالى أن تصابرها فى الحادثات وإن أمعن فى الحرب
كم أرجفوا بعد موت الشيخ وارتقبوا
موت (المؤيد) فينا شر مرتقب
وإن يمت تمت الآمال فى بلد لولا (المؤيد) لم ينشط إلى طلب
صبابة من رجاء بين أضلعنا قد بات يرشف منها كل مغتصب
ألم يكن لبنى مصر وقد دهموا من ساسة الغرب مثل المعقل الأشب
كم أنبرت فيه أقلام وكم رفعت فيه منائر من نظم ومن خطب
وكان ميدان سبق للألى غضبوا للدين والحق من داع ومحتسب
فكم يراع حكيم فى مشارعه قد التقى بيراع الكاتب الأرب
أى الصحائف فى القطرين قد وسعت رد (الامام) مزيل الشك والريب
أيام يحصب (هانوتو) بفريته وجه الحقيقة والاسلام فى نحب
مالى أعدد آثار الفقيد لكم والشرق يعرف رب السبق والغلب

لولا (المؤيد) ظل المسلمون على تناكر بينهم فى ظلمة الحجب
تعارفوا فيه أرواحا وضمهم رغم التنائى زمام غير منقضب
فى مصر فى تونس فى الهند فى عدن
فى الروس فى الفرس فى البحرين فى حلب
هذا يحن إلى هذا وقد عقدت مودة بينهم موصولة السبب
ابا (بثينة) نم يكفيك ما تركت فينا يداك وما عانيت من تعب
جاهدت فى الله والأوطان محتسبا فارجع إلى الله مأجوراً وفز وطب
واحمل بيمناك يوم النشر مانشرت تلك الصحيفة فى دنياك وانتسب

رثاء الدكتور شميل

سكن الفيلسوف بعد اضطراب إن ذاك السكون فصل الخطاب
لقى الله ربه فاتركوا المر ء لديانه فسيح الرحاب
حزن العلم يوم مت ولكن أمن الدين صيحة المرتاب
كنت تبغى برد اليقين على الأر ض وتسعى وراء لب اللباب
فاسترح أيها المجاهد واهدأ قد بلغت المراد تحت التراب
وعرفت اليقين وانبلج الحق لعينيك ساطعا كالشهاب
ليت شعرى وقد قضيت حياة بين شك وحيرة وارتياب
هل أتاك اليقين من طرق الشك فشك الحكيم بدء الصواب
كم سمعنا مسائلا قبل (شبلى) عاش فى البحث طارقا كل باب
أطلق الفكر فى العوالم حراً مستطيراً يريغ هتك الحجاب
يقرع النجم سائلا ثم يرتد إلى الأرض باحثا عن جواب
أعجزته من قدرة الله أسبا ب طواها مسبب الأسباب
وقفت دونها العقول حيارى وانثنى هبرزيها وهو كابى

لم يكن ملحدا ولكن تصدى لشؤون المهيمن الوهاب
رام إدراك كنه ما أعجز النا س قديما فلم يفز بالطلاب

***

إيه شبلى قد أكثر الناس فيك ا قول حتى تفننوا فى عتـــابى
قيل ترثى ذاك الذى ينكر النو ر ولا يهتدى بهدى الكتاب
قلت كفوا فإنما قمت أرثى منه خلا أمسى طويل الغيـاب
أنا والله لا أحابيه في القو ل فقد كان صاحبى لا يحابى
أنا أرثى شمائلا منه عندى كن أحلى من الشهاد المذاب
كان حر الآراء لا يعرف الخت ل ولا يستبيح غيب الصحاب
مفضل محسن على العسر واليس ر جميع الفؤاد رحب الجناب
عاش ما عاش لا يليق على الأيـــام مالا ولم يلن للصعاب
كان فى الود موضع الثقة الكب رى وفى العلم موضع الإعجاب
نكب الطب فيه يوم تولى وأصيبت روائع الآداب
وخلا ذلك الندى من الأن س وقد كان مرتع الكتاب
وبكت فقـــده الشآم وناءت فوق ما نابهـــا بهذا المصاب
كل يوم يهد ركن من الشا م لقد آذنت إذاً بالخراب
فهى باليازجى وجرجى وشبلى فجعت بالثلاثة الأقطـــاب
فعلى الراحل الكريم سلام كلمـــا غيب الثرى ليث غاب

ذكرى شكسبير

يحييك من أرض الكنانة شاعر شغوف بقول العبقريين مغرم
ويطربه فى يوم ذكراك إن مشت إليك ملوك القول عرب وأعجم
نظرت بعين الغيب فى كل أمة وفى كل عصر ثم أنشأت تحكم

فلم تخطىء المرمى ولا غرو إن دنت ... لك الغاية القصوى فإنك ملهم
أفق ساعة وأنظر إلى الخلق نظرة ... تجدهم وإن راق الطلاء هم هم
على ظهرها من شر أطماعهم دم ... وفوق عباب البحر من صنعهم دم
تفانوا على دنيا تغر وباطل ... يزول إلى أن ضجت الأرض منهم
فليتك تحيى يا أبا الشعر ساعة ... لتنظر ما يصمى ويدمى ويؤلم
وقائع حرب أججج العلم نارها ... فكاد بها عهد الحضارة يختم
وتعلم أن الطبع لا زال غالباً ... سواء جهول القوم والمتعلم

وختام القصيدة :

فقل لبنى التاميز والجمع حافل ... به ينثر الدر الثمين وينظم
لئن كان فى ضخم الأساطيل فخركم ... لفخركم بالشاعر الفرد أعظم

رثاء محمد بك فريد

من ليوم نحن فيه من لغد ... مات ذو العزمة والرأى الأسد
وبدا شعرى على قرطاسه ... لوعة سالت على دمع جمد
أيها النيل لقد مل الأسى ... كن مدادا لى إذا الدمع نفد
واذبلى يا زهرة الروض ولا ... تبسمى للطل فالعيش نكد
والزم النوح أيا طير ولا ... تبتهج بالشدو فالشدو حدد
فلقد ولى (فريد) وانطوى ... ركن مصر وفتاها والسند
خالد الآثار لا تخش البلا ... ليس يبلى من له ذكر خلد
زرت (برلين) فنادى سمتها ... نزلت شمس الضحى برج الأسد
واختفت شمسك فيها وكذا ... تختفى فى الغرب أقمار الأبد
يا غريب الدار والقبر ويا ... سلوة النيل إذا ما الخطب جد
وحساما فل حديه الردى ... وشهابا ضاء وهناً وخمد

قل لصب النيل [1] إن لاقيته ... فى جوار الدائم الفرد الصمد
إن مصراً لا تنى عن قصدها ... رغم ما تلقى وإن طال الأمد
جئت عنها أحمل البشرى إلى ... أول [1] البانين فى هذا البلد
فاسترح واهنأ ونم فى غبطة ... قد بذرت الحب والشعب حصد

رثاء السلطان حسين

دك ما بين ضحوة وعشى ... شامخ من صروح آل على
وهوى عن سماوة العرش ملك ... لم نمتنع بعهده الذهبى
قد تساءلت يوم مات حسين ... أفقدنا بفقده كل شى
أم ترى يسعد الكنانة بارى ... ها ويقضى لها بلطف خفى
لم تكد تدرك النفوس مراداً ... فى زمان المتوج العلوى
لم تكد تبلغ البلاد مناها ... تحت أفياء عدله الكسروى
لم يكد ينعم الفقير بعيش ... من نداه وفيضه الحاتمى
حجب الموت مطلع الجود يامص ... ر فجودى له بدمع سخى
ومضى واهب الألوف فولت ... يوم ولى بشاشة الأريحى
وقضى كافل اليتامى فويل ... لليتامى من الزمان العتى
كم تمنى لو عاش حتى يرانا ... أمة ذات منعة ورقى
غاله الضعف حين شمر للاص ... لاح فى ملكه بعزم قتى

* * *

حبس الخطب فيك ألسنة القو ... ل وأعيى قريحة العبقرى
وإذا جلت الخطوب وطمت ... أعجزت فى القريض طوق الروى
إن شر المصاب ما أطلق الدم ... ع وراع المفوهين بعى

---

(١) هو مصطفى كامل باشا

لهف نفسى على انبساطك للضيـ ـف وذيالك الحديث الشهى
يحسب الدار داره وهو يمشى فوق زاهى بساطك الأحمدى
خلق مثلما نشقت أريج الز هر جادته زورة الوسمى
واهتزاز للعرف مثل اهتزاز السـ ـيف فى قبضة الشجاع الكمى
وحياء عند العطية ينفى خجل السائل الكريم الأبى
واختبار يثنى عنان العوادى ووقار يزين صدر الندى
رحم الله يا حسين خلالا فيك لم يجتمعن فى نفس حى
يا كريماً حللت ساح كريم وضعيفاً حللت ساح القوى
قد كفاك السهاد فى العيش فاهنأ يا أليف الضنى بنـــوم هنى
ويح مصر فأى خيط رجاء قطعته رنات صوت النعى

بانى الهرم

سخر العـــلم ليبنى آية فوق شط النيل تبدو كالعلم
هى ذكر خالد لكنه عابس الوجه إذا الذكر ابتسم
كل ما فيها على إعجازها أنها قبر لجبـار حطم
ليته سخر ما فى عهده من قوى فى غير تقديس الرمم
من فنون أعجزت أطواقنا وعلوم عندها الفهم وجم
وبنان مبدعات صورت أوجه العذر لعباد الصنم
أبدعت ما أبدعت ثم انطوت وعلى أسرارها الدهر ختم

رثاء باحثة البادية

ملك النهى لا تبعدى فالخلق فى الدنيـا سير
إنى أرى لك ســـيرة كالروض أرجه الزهر
ربى أبوك الناشئيـ ـن فعاش محمود الأثر

وسلكت انت سبيله في الناشئات من الصغر
ربيتهن على الفضيـ لة والطهارة والخفر
وعلى اتباع شريعة نزلت بها آى السور
فلبيتكم فضل على الـ أحياء أنثى أو ذكر
لله درك إن نشر ت ودر (حفنى) أو نثر

***

قد كنت زوجا طبة في البدو عاشت والحضر
سادت على أهل القصو ر وسودت أهل الوبر
غربية في علمها مرموقة بين الأسر
شرقية في طبعها مخدورة بين الحجر
بينا تراها في الطرو س تخط آيات العبر
وتريك حكمة نابه عرك الحوادث واختبر
فاذا بها في مطبخ تطهى الطعام على قدر
وإذا بها قعدت تخيـ ط وترتضى وخز الإبر
فخرت بوالدها ووا لدها بحليتها افتخر
بالعلم حلت صدرها لا باللآلىء والدرر
فانظر شمائل فكرها بالله يوم (المؤتمر)
واقرأ محاضرة (الجريـ دة) والمقالات الغرر
وارجع إلى ما أودعت عند المجلات الكبر
تعلم بأنا قد فقد نا خير ربات الفكر
ذنب المنية في اغتيا ل شبابها لا يغتفر
ياليتها عاشت لمص ر ولم تغيبها الحفر
كانت مثالا صالحاً يرجى وكنزاً يدخر

إنى رأيت الجاهلا ت السافرات على خطر
ورأيت فيهن الصيا نة والعفاف على سفر
لا وازع — وقد انطوت ملك — يقيهن الضرر

* * *

لا كان يومك يوم لا ح الحزن مختلف الصور
علمت هاتفة القصو ر نواح هاتفة الشجر
وتركت أتراب الصبا حزنا يقطن الشعر
يبكين عهدك فى الصبا ح وفى المساء وفى السحر
وتركت شيخك لايعى هل غاب زيد أو حضر
ثملا ترنحه الهم م إذ تحامل أو خطر
كالفرع هزته العوا صف فالتوى ثم انكسر
أو كالبناء يريد أن ينقض من وقع الخبر
قد زعزعته يد القضآ ء وزلزلته يد القدر
أنا لم أذق فقد البنيـ ن ولا البنات على الكبر
لكننى لما رأيـ ت فؤاده وقد انفطر
ورأيته قد كاد يحـ رق زائريه إذا زفر
وشهدته أنى خطا خطواً تخبل أو عثر
أدركت معنى الحزن حز ن الوالدين كما أمر
وشهدت زوجك مطرقا مستوحشاً بين السمر
كالمدلج الحيران فى الـ بيداء أخطأه القمر
فعلمت أنك كنت عقـ د هنائه وقد انتثر
صبرا أبا ملك فان الباقيات لمن صبر
وبقدر صبر المبتلى طول المصيبة والقصر

كن أنت أنت إذا تساء ، كأنت أنت إذا تسر

***

يابـــرة بالـــوالديـ ـن أبوك بعدك لا يقر
فسلى إلهك سلوة لأبيك فهو به أبر
وليهتك الخدر الجديـ ـد فذاك دار المستقر

رثاء الطبيبين

إبراهيم حسن باشا ومحمد شكرى باشا

لا مرحباً بك أيهذا العـام لم يرع عندك للأساة ذمام
فى مستهلك رعتنـا بمـآتم للنافعـــين من الرجال تقام
علمان من أعلام مصر طواهما فيك الردى فبكتهما الأهرام
غيبت (شكرى) وهو نابه عصره وأصبت (إبراهيم) وهو إمام
خدما ربوع النيل فى عهـديهما والطب نبت لم يجـده عمام
والناس بالغربى فى تطبيبه ولعوا على بعـد المزار وهاموا
حتى انبرى (شكرى) فأثبت سبقه أن ابن مصر مجرب مقدام
وأقام (إبراهيم) أبلغ حجة أن العرين يحله ضرغام
وترسم المتعلمون خطاهما فانشق من عليهما أعلام
قد أقسموا للطب أن يسمو به فوق السماك فبرت الأقسام
وغدت ربوع الطب تحـكى جنة فيهـا (لبقراط) الحكيم مقام
ورأى عليل النيل أن أساته بزوا الأساة فلم يرعه سقام
يا مصر حسبك ما بلغت من المنى صدق الرجآء وصحت الأحلام
ومشى بنوك كما اشتهيت إلى العلى وعلى الولاء كما علمت أقاموا
ومددت صوتك بعد طول خفوته فدعا بعافيـة لك الإسلام

ورفعت رأسك عند مفتخر النهى بين الممالك حيث تحنى الهام

* * *

كم فيك جراح كأن يمينه عند الجراحة بلسم وسلام
قد صيغ مبضعه وإن أجرى دماً من رحمة فجريحه بسام
وموفق جم الصواب إذا التوى داء العليل وحارت الأفهام
يلقى بسمع لا يخون إذا هفت أذن وخان المسمعين صمام
وإذا عضال الداء أبهم أمره عرفت خفيّ دبيبه الابهام
يستنطق الآلام وهى دفينة خرساء حتى تنطق الآلام
كم سل من أيدى المنايا أنفسا وثنى عنان الموت وهو زؤام
ومطبب للعين يحمل ميله نوراً إذا غشى العيون قتام
وكأن إثمده ضياء ذرّه (عيسى بن مريم) فانجلى الاظلام
ومطبب للطفل لم تنبت له سن ولم يدرج إليه فطام
يشكو السقام بناظريه وماله غير التفزز والأنين كلام
فكم استشف وكم أصاب كأنما فى نظرتيه الوحى والالهام
ومولد عرف الأجنة فضله إن أعسرت بولادها الأرحام
كم قد أنار لها بحالكة الحشا سبلا تضل سلوكها الأوهام
لولا يداه سطا على أبدانها كرب المخاض وشفها الايلام
فبهؤلاء الغر يا مصر أهنئى فبمثلهم تتفاخر الأيام
وعلى طبيبيك اللذين رماهما رامى المنون تحية وسلام

رثاء على باشا أبى الفتوح

جل الأسى فتجملى وإذا أبيت فأجملى
يا مصر قد أودى فتا ك ولا فتى إلا على

قدمات نابغة القضآ ء وغاب بدر المحفل
وعدا القضآء على القضآ ء فصابه فى المقتل
حلال عقد المعضلا ت قضى بداء معضل
ويح الكنانة مالها فى غمرة لا تنجلى
باتت وكارثة تمر بها وكارثة تلى

* * *

يا زهرة الماضى ويا ريحانة المستقبل
كنا نعدك للشدا ئد فى الزمان المقبل
يا لابس الخلق الكري م المطمئن الأمثل
فارقتنا فى حين حا جتنا ولم تتمهل
ياراميا صدر الصعا ب رماك رامى الأجدل
يا حافظا غيب الصدي ق ويا كريم المقول
أى المحامد غضة بحلاك لم تتجمل
تلهو لداتك بالصبا لهواً وأنت بمعزل
تسعى وراء الباقيا ت الصالحات وتعتلى
بين المحابر والدفا تر دائباً لا تأتلى
أدركت علم الاخري ن وحزت فضل الأول
أدنى مرامك همة فوق السماك الأعزل
وأجل قصدك أن ترى مصراً تسود وتعتلى
درج الأحبة بعد ما تركوا الأسى والحزن لى
لم يحل لى من بعدهم عيش ولم أتعلل
لى كل عام وقفة حرى على مترحل
أبكى بكاء الثاكلا ت وأصطلى ما أصطلى

لم يبق فى يوم الفقيـ ـد عزيمة لم تفلل
يوم عبوس قد مضى بفتى أغر محجل
من لم يشاهد هوله عند القضاء المنزل
لم يدر ما قصم الظهو ر ولا انخزال المفصل

* * *

ياقبر ويحك ما صنعـ ـت بوجهه المتهلل
عبست منه نضارة كانت رياض المجتلى
وعبثت منه بطرة سوداء لما تنصل
يا قبر هل لعب البلى بلطاف تلك الأنمل
لهفى عليها فى الطرو س تسيل سيل الجدول
لهفى عليها فى الجدا ل تحل عقد المشكل
لهفى عليها للرجآ ء وللعفاة السؤل
يا قبر ضيفك بيننا قد كان خير مؤمل
لم ينقبض كبراً بنا ديه ولم يتبذل
إنى حللت رحابه فنزلت أكرم منزل
ونهلت من أخلاقه فوردت أعذب منهل

الطيارة العثمانية

أخت الكواكب مارما ك وأنت رامية النسور
ماذا دهاك وفوق ظهـ ـرك مربض الأسد الهصور
(فتحى) وهل لى إن سألـ ـت عن المصيبة من محير
ويلاه هل جزت الحدو د وأنت مخترق الستور
فرماك حراس السما ء وتلك قاصمة الظهور

حاولت أن ترد المجر ة والورود من العسير
فوردت يا (فتحى) الحما م وأنت منقطع النظير
وهويت من كبد السما ء وهكذا مهوى البدور
إن كان أعياك الصعو د بذلك الجسد الطهور
فاسبح بروحك وحدها واصعد إلى الملك الكبير

رثاء جرجى زيدان

دعا رفاقى والقوافى مريضة وقد عقدت هوج الخطوب لسانى
فجئت وبى ما يعلم الله من أسى ومن كمد قد شفنى وبرانى
مللت وفوقى بينكم متلهفا على راحل فارقته فشجانى
أفى كل يوم يبضع الحزن بضعة من القلب إنى قد فقدت جنانى
كفانى مالقيت من لوعة الأسى وما نابنى يوم (الإمام) كفانى
تفرق أحبابى وأهلى وأخرت يد الله يومى فانتظرت أوانى
ومالى صديق إن عثرت أقالنى ومالى قريب إن قضيت بكانى
أرانى قد قصرت فى حق صحبتى وتقصير أمثالى جناية جانى
فلا تعذرونى يوم (فتحى) فاننى لأعلم ما لا يجهل الثقلان
فقد غاب عنا يوم غاب ولم يكن له بين هالات النوابغ ثان
وفى ذمتى (لليازجى) وديعة وأخرى (لزيدان) وقد سبقانى
فياليت شعرى ما يقولان فى الثرى إذا التقيا يوماً وقد ذكرانى
وقد رميا بالطرف بين جموعكم ولم يشهدا فى المشهدين مكانى
يحمل بى هذا العقوق وانما على غير هذا العهد قد عرفانى
دعانى وفائى يوم ذاك فلم أكن ضنينا ولكن القريض عصانى

وقد تخرس الأحزان كل مفوه ... يصرف فى الانشاد كل عنان
أأنساهما والعلم فوق ثراهما ... تنكس من أعلامه علمان
وكم فزت من رب (الهلال) بحكمة ... وكم زنت من رب (الضياء) بيانى
(أزيدان) لا تبعد وتلك علالة ... ينادى بها الناعون كل حسان
لك الأثر الباقى وإن كنت نائياً ... فأنت على رغم المنية دانى
ويا قبر زيدان طويت مؤرخا ... تجلى له ما أضمر الفتيان
وعقلا ولوعا بالكنوز فانه ... على الدر غواص ببحر عمان
وعزماً شآميا له أينما مضى ... شبا هندوانى وحد يمانى
وكفا إذا جالت على الطرس جولة ... تمايل إعجاباً بها البلدان
أشادت بذكر الراشدين كأنما ... فتى القدس ممن ينبت الحرمان
سألت حماة النثر عد خلاله ... فمالى بما أعيى القريض يدان

رثاء الدكتور صروف

أبكى وعين الشرق تبكى معى ... على الأريب الكاتب الألمعى
جرى عصى الدمع من أجله ... فزاد فى الجود على الطيع
نقص من الشرق ومن زهوه ... فقد اليراع المعجز المبدع
ليس لمصر فى رجالاتها ... حظ ولا للشام فى أروع
مصاب صروف مصاب النهى ... فليبكه كل فؤاد يعى
كرم بالأمس وأكفانه ... تنسجها الأقدار للمصرع
ياصائغ الدر لتكريمه ... صغه لمنعاه من الأدمع
قد زين العلم بأخلاقه ... فعاش ملء العين والمسمع
تواضع والكبر دأب الفتى ... خلا من الفضل فلم ينفع
تواضع العلم له روعة ... ينهار منها صلف المدعى

وحله الفضل لها شارة أزهى من السيفين والمدفع
يشبع من حصل من علمه وهو من التحصيل لم يشبع
مبكرا تحسبه طالبا يسابق الفجر إلى المطلع
قد غالت الأسقام أضلاعه والرأس فى شغل عن الأضلع
مات وفى أنمله صارم لم ينب فى الضرب عن المقطع
صاحبه خمسين عاماً فلم يخن له عهداً ولم يخدع
موفق أنى جرى ملهم ماضل فى الورد عن المشرع
لم يبره بار سوى ربه ولم يحزه جاهل أو دعى
فى النقل والتصنيف أربى على مدى ابن بحر ومدى الأصمعى
أى سبيل للهدى لم يرد وأى باب منه لم يقرع
يقتطف الزهر ويختاره كالنحل لا يعفو عن الأينع
فتحسب القرآء فى جنة عقولهم فى روضها ترتعى
(صروف) لا تبعد فلست الذى يطويه طاوى ذلك المضجع
أسكتك الموت ولكنه لم يسكت الآثار فى المجمع
ذكراك لا تنفك موصولة فى معهد العلم وفى المصنع

الى العالم الجديد

أى رجال الدنيا الجديدة مدوا لرجال الدنيا القديمة باعا
وأفيضوا عليهم من أياديـ ـكم علوماً وحكمة واختراعا
كل يوم لكم روائع آثا ر تتوالون بينهن تباعا
كم خلبتم عقولنا بعجيب وأمرتم زمانكم فأطاعا
وبذرتم فى أرضنا وزرعتم فرأينا ما يعجب الزراعا
ولمحنا من نوركم فى نواصى حفلة اليوم لمعة وشعاعا

وشهدنا من فضلكم أثراً فيـ ـها يروق العيون والأسماعا
ليتنا نقتدى بكم أو نجاريـ ـكم عسى نسترد ما كان ضاعا
إن فينا لولا التخاذل أبطا لا إذا ما هم استقلوا اليراعا
وعقولا لولا الخمول تولا ها لفاضت غرابة وابتداعا
ودعاة للخير لو أنصفوهم ملأوا الشرق عزة وامتناعا
كاشف الكهرباء ليتك تعنى باختراع يروض منا الطباعا
آلة تسحق التواكل فى الشر ق وتلفى عن الرياء القناعا
قد مللنا وقوفنا فيه نبكى حسباً زائلا ومجـــداً مضاعا
وسئمنا مقالهم كان زيد عبقرياً وكان عمرو شجاعا
ليت شعرى متى تنازع مصر غيرها المجد فى الحياة نزاعا
ونراها تفاخر الناس بالأ حياء فخراً فى الخافقين مذاعا
أرض كولومب أى نبتيك أغلى قيمة فى الملا وأبقى متاعا
أرجال بهم ملكت المعالى أم نضار به ملكت البقاعا
لاعداك السماء والخصب والأم ن ولا زلت للسلام رباعا
طالعى الكون وانظرى مادهاه إن ركن السلام فيه تداعى

إلى غليوم الثانى

لله آثار هناك كريمة حسدت روائع حسنها (برلين)
طاحت بها تلك المدافع تارة لما أمرت وتارة (زبلين)
ماذا رأيت من النبالة والعلى فى عدمهن وكلهن عيون
لو أن فى (برلين) عندك مثلها لعرفت كيف تجلها وتصون
إن كنت أنت هدمت رمس فانه أودى بمجدك ركنها الموهون
لم يغن عنها معبـــد خربته ظلما ولم يمسك عنانك دين

لا تحسبن الفخر مما أحرزته ... الفخر بالذكر الجميل رهين
هل شدت فى برلين غير معسكر ... قامت عليه معاقل وحصون
وجمعت شعبك كله فى قبضة ... إن لم تكن لانت فسوف تلين
نظمت تجارتك المدائن والقرى ... فالنيل ناء بها وناء (السين)
فبكل أرض من رجالك عصبة ... وبكل بحر من لدنك سفين
تسرى ونسرك أين لحن يظلها ... لا الليث يزعجها ولا التنين
فالأمر أمرك والمهند مغمد ... والنهى نهيك والسرى مأمون
قد كان فى (برلين) شعبك وادعا ... يستعمر الأسواق وهى سكون
فتحت له أبوابها فسبيله ... وقف عليه ورزقه مضمون
فعلام أرهقت الورى وأثرتها ... شعواء فيها للهلاك فنون
تالله لو نصرت جيوشك لانطوى ... أجل السلام وأقفر المسكون
سبعون مليوناً إذا وزعتها ... بين الحواضر نالنا مليون
ويل لمن يستعمرون بلاده ... القحط أيسر خطبه والهون
أكثرت من ذكر الاله تورعاً ... وزعمت أنك مرسل وأمين
عجباً أتذكره وتملأ كونه ... ويلا لينعم شعبك المغبون
وكذلك القصاب يذكر ربه ... والنصل فى غمد الذبيح دفين

الى المندوب السامى

ألم تر فى الطريق إلى كياد ... تصيد البط بؤس العالمينا
ألم تلمح دموع الناس تجرى ... من البلوى ؟ ألم تسمع أنينا ؟
ألم تخبر بنى التاميز عنا ... وقد بعثوك مندوبا أمينا
بأنا قد لمسنا الغدر لمساً ... وأصبح ظننا فيكم يقينا
كشفنا عن نوايا كم فلستم ؛ ... وقد برح الخفاء ؛ محايدينا
سنجمع أمرنا وترون منا ... لدى الجلى كراما صابرينا

ونأخذ حقنا رغم العوادى تطيف بنا، ورغم القاسطينا
ضربتم حول قادتنا نطاقا من النيران يعيى الدارعينا
على رغم المروءة قد ظفرتم ولكن بالأسود مصفدينا

الحياد الكاذب

قصر الدوبارة قد نقضت الـ عهد نقض الغاصب
أخفيت ما أضمرته وأبنت ود الصاحب
الحرب أروح للنفو س من الحياد الكاذب

إلى الحياد

حولوا النيل واحجبوا الضوء عنا واطمسوا النجم واحرمونا النسيما
واملأوا البحر، إن أردتم، سفيناً واملأوا الجو، إن أردتم، رجوما
وأقيموا للعسف فى كل شبر (كنستبلا) بالسوط يفرى الأديما
إننا لن نحول عن عهـــد مصر أو ترونا فى الترب عظما رميما

* * *

عاصف صان ملككم وحماكم وكفاكم بالأمس خطباً جسيما
غال ارمادة [1] العدو ففزتم وبلغتم فى الشرق شأواً عظيما
فعدلتم هنيهة وبغيتم وتركتم فى النيل عهداً ذميما
فشهدنا ظلماً يقال له العـــد ل ووداً يسقى الحميم الحميما
فاتقوا غضبة العواصف انى قد رأيت المصير أمسى وخيما

نحن والانجليز وجها لوجه

بنيتم على الاخلاق آساس ملككم فكان لكم بين الشعوب ذمام
فمالى أرى الاخلاق قدشاب قرنها وحل بها ضعف ودب سقام

---

(١) الارمادة هى الاسطول الاسبانى الذى تحطم فى القرن السادس عشر بعاصفة حالت بينه وبين مهاجمة الأسطول الانجليزى الذى كان دونه قوة وعددا

أخاف عليكم عثرة بعـــد نهضة فليس لملك الظالمين دوام
أضعتم وداداً لو رعيتم عهوده لما قام بين الامتين خصام
أبعد حياد لارعى الله عهده وبعد الجروح الناغرات وئام
اذا كان فى حسن التفاهم موتنا فليس على باغى الحياة ملام

نحن والانجليز وجها لوجه

قل للمحايد هل شهدت دماءنا تجرى وهل بعد الدماء سلام ؟
سفكت مودتنا لكم وبدا لنا ان الحياد على الخصـــام لئام
ان المراجل شرها لا يتقى حتى ينفس كربهن صمام
لم يبق فينا من يمنى نفسه بودادكم فودادكم احـــلام
امن السياسة والمروءة اننا نشقى بكم فى أرضـــنا ونضام
انا جمعنا للجهاد صفوفنا سنموت أو نحيى ونحن كرام

إلى المستشار غالب والعالم لطفى

قَدْ رَاعَ دَار العدْل وَرَاعَ الجامعة
فَحَمَيتمَا حَرَميهمَا رَغْم الخطوب الفَاجِعة
وَقَهَرْتُمَا على رَدّ الحقُوق النَّاصِعَة
لله در المسْتَشَـــار وَدر ذَاكَ الباقعـة
فهُمَا اللذَانِ تَـكفَّلاَ عَنَّا بِصَـدّ القَارِعـة

* * *

نَظَرَ الحيادُ بِعَيْنِهِ فِى النَّاسِ هَوْلَ الوَاقعة
أُمنَى المحايدِ أَنْ يَرَى مِصْرَ العَزيزةَ ضارِعة
كَذِبَ الحيادُ فَلَنْ تكُونَ جُهُودِ مصر ضائعة
فالحقُّ لا تلوى به تِلكَ السيُوفُ اللامعة

أصبحتُ أسألُ خاطرى والنَّفسُ منّى جازعة
أنعيشُ تحتَ الليلِ أمْ تحتَ الشموسِ الساطعة؟

رثاء محمود باشا سليمان

مسدى الجميل بلا من يكدره ومكرم الضيف أمسى ضيف رضوان
يجتازنا عيفه من روضة أنف إذا ألمت بنا ذكرى سليمان
فقل لآل سليمان إذا جزعوا ردوا النفوس إلى صبر وسلوان
ما إن رأيت دفينا قبل شيخكم تحت التراب وفوق النجم فى آن

* * *

قضيتها مائة فى كل واحدة تعد زادك من بر واحسان
فكم صفحت عن الجانى ولم تره وكم غرست وكان المعوز الجانى
وكم أقلت كريما عند عثرته وكم مشيت بصلح بين اخوان
انى رأيتك قبل الموت فى فلك من الجلال على جنبيه نوران
نور اليقين ونور الشيب بينهما سكينة حركت نفسى ووجدانى
على جبينك آيات الرضا ارتسمت وبين جنبيك قلب غير وسنان

* * *

قسمت ما جمعت كفاك من نشب على بنيك فكنت الوالد الحانى
مال حلال مزكى ما خلطت به مليم سحت ولاحق لانسان
زهدت فيها وهام العابدون لها بجمع فان يعانى جمعه فان
بكسرة وكساء عشت مغتبطا تسبح الله فى سر واعلان
أقر عينيك فى دنياك أن رأتا محمدا مترآى فوق كيوان
قضيت فى الأوج من عزيكما وكذا يقضى سليمان فى عز وسلطان

* * *

أنجبت أربعة سادوا بأربعة فضل ونبل واحسان وعرفان
أورثتهم شمما هش الإباء له وأدرمت فى ذراه عزة الشان

يذكرن برا رحيما قد أقام لهم صرحا من المجد أعلى ركنه البانى
كم نعمة لك يا محمود عند أبى بشكرها لك عند الموت أوصانى

رثاء عبد الخالق باشا ثروت

لعب البلى بملاعب الألباب ومحا بشاشة فمك الخلاب
وطوى الردى (عمر الكنانة) غافلا ورمى شهاب دهائه بشهاب
من كان يدرى يوم سافر أنه سفر من الدنيا بغير اياب
حزنت عليه عقولنا وقلوبنا وبكت، وحزن العقل شر مصاب
القلب ينسيه الغياب أليفه والعقل لا ينسيه طول غياب
بالأمس مات اجلنا وأعزنا جاها وأبقانا على الأحقاب
واليوم قد غال الحمام أسدنا رأيا فطاح بحكمة وصواب

* * *

رأس يدبر فى الخفاء كأنه قدر يدبر من وراء حجاب
حتى إذا أرضى النهى وتناسقت آياته راع الورى بعجاب
يمشى على سنن الحجا متمهلا بين العداة الكثر والأحباب
تتناثر الأقوال عن جنباته من شانىء ومناصر ومحابى
لا المدح يغريه ولا يلوى به عن نجده المرسوم وقع سباب
حلو التواضع لم يخالط نفسه زهو المدل يحاط بالاعجاب
حلو الأناة إذا يسوس، وعنده أن التعجل آفة الأقطاب
حلو السكوت ككوكب متألق والليل ساج أسود الجلباب
يهدى السبيل لسالكيه ولم يرد شكراً ولم يعمل لنيل ثواب

* * *

متمكن من نفسه لم يعره قلق الضعيف وحيرة المرتاب
يزن الأمور كأنما هو صيرف يزن النضار بدقة وحساب

يحل غامضها بثاقب ذهنه حل الطبيب عناصر الأعشاب
ويقيس شقتها بمقياس النهى فترى صحيح قياس الأسطرلاب
متبسم وعلى معارف وجهه آيات ما يلقى من الأوصاب
شيم ترد الناقمين لوده وشمائل تستل حقد الناب
يرضى المرتل فى الكنيسة صنعه كيساً ويرضى ساكن المحراب
يرتاح للمعروف لا متربحا فيه ولا هو فى الجميل مرابى
يروى الصديق من الوفاء ولم يكن بالحاسد النعمى ولا المغتاب
لم يبد فينا جازعا أو غاضباً اللهم إلا غضبة النواب
وبكاؤه فى يوم سعد زادنى علما بأن اليوم يوم تباب
قامت صعاب فى مسالك سعيه من بعد سعد دعمت بصعاب
فظهيره عند النضال وركنه أمسى حديث جنادل وتراب
لله سر فى بناءة ثروت سبحان بانى هذه الأعصاب
إنى سألت العارفين فلم أفز منهم على عرفانهم بجواب
هو مستقيم ملتو هو لين صلب، هو الواعى، هو المتغابى
هو حول هو قلب هو واضح هو غامض هو قاطع هو نابى
هو ذلك الطلسم من أعلى الحجا خلا ومات ولم نفز بطلاب
وما تراه مفاوضاً كيف انبرى لكبيرهم بذكائه الوثاب
ألم يأت من باب لصيد دهائه إلا نجا بدهائه من باب
ويظل يرقبه ويغزو كبره بليونة ولباقة وخلاب
ويروضه حتى يرى أسطوله خشباً تناثر فوق ظهر عباب
ويرى صفوفا من ذكاء صففت دون الحمى تعيى أسود الغاب
وأتى بأقصى ما ينال مفاوض يسعى بغير كتائب وحراب
واستل من أشداق آساد الشرى علما عضضن عليه بالأنياب

خلفا خبا ضوء الهلال لعليه ... جم التوجع دامى الأهداب
فاخضر فوق ربوع مصر عوده ... فى منبت خصب ورحب جناب
ان فاته بعض الامانى فاذكروا ... أنا أمام محتكين صلاب
قد جاز تيهاء الأمور ولم يكن ... فى وعرها وكؤودها بالكابى
رجل يفاوض وحده عن أمة ... إن لم يفز فوزاً فليس يعاب
رفع الحماية بعد ما بسطت على ... أبناء مصر وأيدت بكتاب
وأتى لمصر وأهلها بسيادة ... مرفوعة الأعلام والأطناب

***

فقرا فلست ببالغ فيك المدى ... إنى غززت إلى مداك وكاب
كم موقف لك فى الجهاد مسجل ... بشهادة الأعداء والأصحاب
فى خطب مصر (لبطرس) أخمدتها ... مشبوبة كانت على الأبواب
ألفت بين العنصرين فأصبحا ... رتقا وكنت موفق الأسباب
خالفت فيك الجازعين فلم أنح ... حزنا عليك وأنت من أترابى
النوح فى الجلى اجتهاد مقصر ... الفى دعاء الصبر غير مجاب
فأنا الذى يبكى بشعر خالد ... يبقى على الأجيال للأعقاب
قد كنت تحسن بى وترقب جولتى ... فى حلبة الشعراء والكتاب
وتهش إن لاقيتنى وتخصنى ... بالبشر فى ناديك والترحاب
فاذهب كما ذهب الربيع بنوره ... كأس الرياضى عليه غب ذهاب

رثاء عبد الحليم العلايلى بك

مضيت ونحن أحوج ما نكون ... إليك ومثل خطبك لا يهون
برغم النيل إن عدت العوادى ... عليك وأنت خادمه الأمين
برغم الثغر إن غيبت عنه ... وإن نزلت بساحتك المنون
أجل مناه لو يحويك ميتاً ... ليجبر كسره ذاك الدفين

المكتبة الحجازية
(بشارع زاوية الأعرج)
(بإسكندرية)

اسال من الدموع عليك بحرا نكاد بلجه تجرى السفين
وقام النادبات بكل دار وكبر فى مآذنه الأذين
أصيب بذى مضاء أريحى به عند الشدائد يستعين

***

فتى الفتيان غالتك المنايا وغصنك لا تطاوله غصون
صحبتك حقبة فصحبت حرا أبيا لا يهان ولا يهين
نبيل الطبع لا يغتاب خلا ولا يؤذى العشير ولا يمين
تطوع فى الجهاد لوجه مصر فما حامت حواليه الظنون
ولم يثن الوعيد له عنانا ولم تحنث له أبدا يمين
ولم تنزل بعزته الدنايا ولم يعلق به ذل وهون
ومضى لسبيله لم يحن رأسا ولم يبرح [illegible]رته اليقين

***

تركت أليفة ترجو معينا وليس سوى الدموع لها معين
تنوح على القرين واين منها وقد حال الردى ذاك القرين
سمعت أنينها والليل ساج فمزق مهجتى ذاك الأنين
فقد عانيت قدما ما يعانى على علاته القلب الحزين
من الخفرات قد نعمت بزوج سما بجلاله أدب ودين
أقامت فى النعيم ولم تروع فكل حياتها رغد ولين
لقد نسج العفاف لها رداءا وزان رداءها الخدر المصون
دهاها الموت فى الالف المفدى وكدر صفوها الدهر الخئون
فكاد مصابها يأتى عليها لساعتها وتقتلها الشجون
ربيبة نعمة لم تبل حزنا ولم تشرق بأدمعها الجفون
وفت لأليفها حيا وميتاً كذاك كريمة اللوزى تكون
ستكفيها العناية كل شر ويحرس خدرها الروح الأمين

22 OCT 1986

من قلعه الاحرار، ومنبت الثوار، قلب العروبه الناطقه
بلسان الحرمه، إنطلقه في السادس من اكتوبر ١٩٧٣ أسراب
الطائرات المصريه لتحرر الضفه الشرقه، وكان من الممكن لجيوشنا
الابيه أن تهتك كرامه اليهود بأقدام جنودنا الأوفياء.
ولكن بعد ما تأكد النصر لنا، ~~وانقلب الدائره على البا~~ وعلى
الباغي داره الدائره. وقف العالم مذهولاً، لا مما فوجئوا
به من عدة وعتاد وخبرة في الحرب وإنما من نداء السلام من
أرض السلام الذي أطلق أصداءه لتهز العالم الرئيس
الراحل محمد أ

PJ
7828
F5
A6
1935

NEW BOOK DISPLAY

22 OCT 1986